

جامعة القديس يوسف

كلية الآداب والعلوم الانسانية  
فرع الآداب العربية

بيروت



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٠٥٨٦

الايجابية والسلبية في الشعر العربي  
بين الجاهلية والاسلام

أطروحة دكتوراة اعدھا

علي شواخ اسحاق

وأشرف عليها

الدكتور

بكري شيخ أمين



١٤٠١هـ - ١٩٨١م

مقدمة البحث ..... ٢٧ - ٢

## الباب الاول العصر الجاهلي

٢٨ - ١٥٠

الفصل الاول : ..... المفاهيم السلبية ٢٦ - ٩٤

المناحي الاجتماعية : ٢٩ - ٥٥

التفاخر بالانساب : ..... ٢٩ - ٣٦

العصبية القبلية : ..... ٣٧ - ٤٢

شعر التحريض : ..... ٣ - ٥٥

المناحي الفكرية : ٥٦ - ٧٦

الطيوة والامام والخرافات : ..... ٥٨ - ٦٢

الغيلان والسحلا ومزاعم اخرى ..... ٦٣ - ٧٦

المناحي الاقتصادية : ٧٧ - ٨٦

البخل : ..... ٧٨ - ٨٠

الفدر والطمع : ..... ٨١ - ٨٣

احتقار المهن : ..... ٨٤ - ٨٦

المناحي التربوية : ٨٧ - ٩٤

توجيه السلوك الاجتماعي والاخلاقي

بشكل خاطئ ..... ٨٨ - ٩٤

الفصل الثاني : ..... المفاهيم الايجابية : ٩٥ - ١٥٠

المناحي الاجتماعية : ٩٦ - ١٢٣

حل المشاكل الاجتماعية : ..... ٩٨ - ١٠٥

تسجيل خيانة القبائل : ..... ١٠٦ - ١٠٩

مواقف وقيم ايجابية اخرى : ..... ١٠٩ - ١١٠

المناحي الفكرية ١١١ - ١٢٣

المظاهر العقلية : ..... ١١٢ - ١١٨

علم - فلسفة - حكمة

حركة التوحيد : ..... ١١٩ - ١٢٣

( ب )

- المناحي الاقتصادية ١٢٤ - ١٣٥  
مواقف الشعراء من تضخم الثروة : ١٢٧ - ١٢٩  
اثر المال في العلاقات الاجتماعية : ١٢٩ - ١٣٠  
دور المرأة في سياسات المال : ١٣٠ - ١٣٥  
المناحي التربوية : ١٣٦ - ١٥٠  
الخصال الحميدة التي يربى بها  
الفتي : ١٣٧ - ١٤١  
الخصال الحميدة التي تربى بها  
الفتاة : ١٤١ - ١٤٣  
مظاهر أخرى في التربية لجاهلية : ١٤٤ - ١٤٦  
استنتاج : ١٤٧ - ١٥٠

الباب الثاني العصر الاسلامي

١٥١ - ٢٩٩

- الفصل الأول : ١٥٢ - ١٦٦  
الشعر ونفوذه في الاسلام : ١٥٣ - ١٥٩  
التغيرات البيئية في المجتمع العربي : ١٦٠ - ١٦٦  
الفصل الثاني : ١٦٧ - ٢١١  
المفاهيم السلبية : ١٦٧ - ١٨٢  
المناحي الاجتماعية : ١٦٨ - ١٨٢  
شعر الفتن : ١٦٩ - ١٨٠  
شعر التحريض : ١٧١ - ١٧٤  
العممية القبلية : ١٧٥ - ١٨٢  
المناحي الفكرية : ١٨٣ - ١٩٤  
مفاهيم جاهلية : ١٨٣ - ١٨٧  
الاستخفاف بالدين : ١٨٨ - ١٩٤  
المناحي الاقتصادية : ١٩٥ - ٢٠١  
التواكل : ١٩٧ - ١٩٨  
المدح الكاذب : ١٩٨ - ١٩٩  
سرقة أموال الدولة : ١٩٩ - ٢٠١

( ج ) -

٢١١ - ٢٠٢	المناحي التربوية :
٢٠٤ - ٢٠٢	مايوذى التربية عامة : .....
	توجيه السلوك الاجتماعي والاخلاقي
٢٠٦ - ٢٠٤	بشكل خاطئ : .....
٢٠٧ - ٢٠٦	تصعيد النزوات : .....
٢٠٨ - ٢٠٨	التقليل من قيمة العلم : .....
٢١٠ - ٢٠٨	ذكر الضحايا والموت والدمار : .....
٢١١ - ٢١٠	ذكر الجن والعفاريت والاشباح : .....
٢١٩ - ٢١٢	الفصل الثالث : .....
٢٣٥ - ٢١٣	المناحي الاجتماعية :
٢٢٤ - ٢١٤	حل المشكلات الاجتماعية : .....
٢٣٥ - ٢٢٥	التدبير بالفساد وفضح المرتشين : .....
٢٥٤ - ٢٣٦	المناحي الفكرية :
٢٤٣ - ٢٣٩	المحاكمة العقلية : .....
٢٤٧ - ٢٤٤	إظهار كلمة الحق وفضح الباطل : .....
٢٥٤ - ٢٤٨	الاخلاق الفاضلة : .....
٢٧٧ - ٢٥٥	المناحي الاقتصادية :
	بداية الاقتصاد العربي في الدولة
٢٦٤ - ٢٥٦	الاسلامية : .....
	تصوير الواقع السلبي الذى خلفه
٢٦٨ - ٢٦٤	التناقض الطبقي : .....
	فضح أصحاب الخراج وأصحاب
٢٧٨ - ٢٦٩	الصدقات : .....
٢٩٩ - ٢٧٩	المناحي التربوية :
٢٩٢ - ٢٨٠	التربية وبناء الشخصية : .....
٢٩٦ - ٢٩٣	الفضائل التى دعى اليها الشعر التربوى :
٢٩٩ - ٢٩٧	نتائج التربية الفاضلة : .....
٣٠٣ - ٣٠٠	ثمرة البحث : .....



( د )

٣٢٦ — ٣٠٤	.....: الفهارس الفنية
٣١١ — ٣٠٥	.....: فهرس المصادر والمراجع
٣٢٩ — ٣١٢	.....: فهرس الاعلام
٣٣٤ — ٣٣٠	.....: فهرس الاماكن والموضوعات
٣٣٦ — ٣٣٥	.....: فهرس الفهارس

## شكر وتقدير

جامعتي وأساتذتي وأحابي وأصدقائي خير من أقدم لهم  
شكري وتقديري .

فجامعتي خير من تقدمت في مواقع الأمور على سابق من العلم  
وتحتوم من الأدب . قد أنبأت عنها الدراسات ، وتتابعت عليها  
الطلبات وتخرج منها كبار العلماء والأدباء ، فتأهوا ذلك بأجمعه  
إلى أساتذتي منها .

أخص منهم الدكتورين بكري شيخ أمين ، وأسعد علي ، وأرجو  
أن أكون لهما وفيًا ، وبهما متصلاً .

وجزيل شكري أخص به الدكتور سليم قهوجي الذي أسبغ عليّ  
نعمه ، وأسقاني من كأس علمه ، وفيض نصحه ، فله مني الشكر  
والتقدير . ولا يسمني إلا أن أخص الدكتور غالب غانم - الذي أهدى  
إليّ عيوي ليرفع عني حملاً ثقيلاً - بالشكر والتقدير أيضاً .  
وأما أحابي وأصدقائي ، فقد صبروا عليّ ، وأعطوني من وقتهم  
المخصص لهم لمساعدتي على إخراج هذه الثمرة .

وما رجال - عندنا - بعد الأنبياء والعلماء ، أرفع في الذكر  
ولا أنه في المكانة من قادة دور العلم والكتب ، وأمناء مكتباتها  
فلهم مني جزيل الاحترام والتقدير لما يقدمونه من مساعدات  
لكل طالب علم أو أدب .

إلى هؤلاء جميعاً أقدم شكري .

علي شواخ اسحاق

## مقدمة البحث

(١١)

تحدثت كتب النقد عن الخصومة والسَّرة بين الشعراء ، كما تحدثت عن الصراع بين القديم والجديد في المعاني والمباني . وغدا مانعرفه عن الشعر القديم مقسماً إلى عصور تاريخية ضمت نظريات مدرسية ؛ وما نعرفه عن الشعراء موزعاً إلى زمر متعددة ؛ فمنهم شعراء للمديح وآخرون للغزل ، وغيرهم للوصف ، وتسميات أخرى كثيرة ومعروفة مرتبطة بأغراض الشعر المختلفة .

ويظل الحديث دائماً يدور في ساحة محصورة بين جدارين من القول الأول : يمثل السلف من الشعراء ، كما يمثل نوعية الشعر الذي قالوه والثاني : يمثل الخلف من الشعراء ، كما يمثل نوعية الشعر الذي قالوه أيضاً . والناقد المصير لهذا وذاك ، يمثل حكم لعبة الكرة ، يحدثنا عن انتقالها من فريق إلى آخر .

والسمي في الخروج إلى نوع آخر من الدراسة الأدبية ضروري في عالمنا المعاصر ، فقد ملنا نظرية النقد على أساس هذا أمدح بيت قالته العرب ، أو أهجى بيت سمعناه ؛ كما ملنا نظرية هذا جديد وهذا قديم . نريد وضع شعر الخلف والسلف في طرف ، ووضع مقياس جديد للشعر العربي نُبصر بموجبه الإيجابي والسلبي في طرف تقابل .

ومهمة هذا المقياس أن نعرف في الشعر ما كان ، وما يجب أن يكون بما قد كان .

وانطلاقاً من إيماننا بدور الأديب الفعال في حياة المجتمعات البشرية ، نعلن ثقتنا بقدرة الشعر العربي على التفسير والتأثير إذا أحسن من ممارسة دوره الموكل إليه .

إن الفائدة المرجوة من ذلك تبصير الإنسان العربي المعاصر بالصفحات الأخرى من التاريخ حين يكون بعيداً عن ضغط عامل من العوامل مهما قل ،

(١) : لا حظ مثلاً نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة الشئبي بيغداد ١٩٦٣ م .

— النقد الأدبي ، يوسف بيومي ، دار الجيل ، القاهرة . ١٩٧٤ م

— العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، دار الجيل ،

بيروت ١٩٧٢ م .

وقد يبدو هذا مستحيلا ، ولكن المقياس الذي نضعه هو الضابط الذي نأمل فيه منع التهور أو الشطط في القول .

إن أكثرنا من الكتب الأدبية التي تفصّلها المكتبة العربية ، ولا سيما الكتب التي تتناول العصور القديمة غير كافية ، ولا تعطي الصورة الكاملة لشعر تلك العصور ، وهي كما نراها ونلاحظها تسير على خطوط كثيرة أهمها خطان اثنان .

الأول : خط يحتوي على كتب تاريخ الأدب بما فيها مصادر حياة الشعراء ، وهي كثيرة .

الثاني : خط يحتوي على كتب الحياة الأدبية عامة بما فيها مصادر المادة الفنية ، ومصادر النقد الأدبي ، ودواوين الشعراء .

ربما كان من المفيد أن ندرس خطأ جديداً في الأدب يرفد الخطوط السابقة بناءً على نظرة أخرى جديدة . وهذا هو هدف البحث الذي يسعى إلى ترسيخ خط جديد في دراسة الشعر العربي مستخدماً خلال كشف واسع بالمواقف الإيجابية والسلبية التي اتخذها الشعراء من المفاهيم المتعددة في العصور التي ندرسها .

وفي مثل هذا البحث خطوة تظهر في مراجعة بعض فصول التاريخ ومراجعة بعض المفاهيم الأدبية ، وربما قلب البحث كثيراً من المفاهيم الفكرية الموروثة ، وهذا يساعد الشعراء المعاصرين والقادمين من العرب فسي التعرف على الخطوات الإيجابية التي يجب أن تكون ، كما يساعدهم في تجنب الخطوات السلبية التي كانت .

إن التاريخ يكتب باليد الحاكمة ، وليس الذي يكتب نفسه شقيقاً بحاقل مادام القلم بيده . وإن اللوحة الفكرية التي رسمتها قصائد المشهورين من الشعراء والتي تصدر الأدب العربي القديم ليست وحيدة ، وليست تامة . هناك لوحة أخرى غيرها ترسمها المقطعات الشعرية .

إن عدد الشعراء الذين ذكروا في المدارس الأدبية يكاد يكون محصوراً ، وإننا نتساءل : هل يعقل أن يكون عدد الشعراء محصوراً ، في أمة لها تراثها الضخم العظيم !؟ . والجواب عندنا : لا ، طبعاً . فهل من ضير إذا راحت كلمات شعراء آخرين ترسم لنا صورة أخرى ، وهل من ضير إذا وقفنا عند صور أخرى للشعراء المشهورين المعروفين أنفسهم؟ . إن الشاعر ذو دور عظيم في المجتمع العربي . والشعر سجل بالإنشائي والسلب

مثل مواقف الشعراء والحاكمين ، والمحكومين ، سجل بالمفاهيم المختلفة التي تسود في كل عصر من العصور ، ومن هنا فإنه يمكن الاعتماد على الشعر في إعادة تسجيل جزء من التاريخ . لكن العديد عن نفوذ الشعر والشاعر في حياة العرب قد يجد معارضين ، فلا بد من التثبت واليقين في هذه المسألة لأهميتها من جهة ، ولأننا نعتمدها في بحثنا كله من جهة ثانية .

كان ملوك العرب وزعماءهم يدركون أثر الشعراء في حياتهم ، فكانوا يحسبون حسابهم ، ويرضونهم لكسب الرضى العام ، ويأخذون بآرائهم ، ويعطون غالباً على كسب جانبهم ، والا فلا بد للحاكم من ملك أو أمير أن يأخذ الشاعر بالمقاب ليتخلص منه بطريقة يضمن فيها بعبده ، ونجاته من لسانه . أرسل الملك عمرو بن هند طرفة بن عبد الشاعر الجاهلي بكتاب إلى المكمبر عامله على البحرين ، وعمان ، يأمره فيه بقتله ، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه (بها) ، فتخلص منه .

كما روى أن النوار زوجة الفرزدق ، كانت احتكمت إلى عبد الله بن الزبير في زوجها . فقال : إِمَّا أَنْ تَرْجِعِي مَعَ ابْنِ عَمِّكَ وَتَتَزَوَّجِيهِ وَإِمَّا أَنْ نَقْتُلَهُ فَلَا يَهْجُونَا (١) وهكذا يصبح الشاعر مرهوب الجانب مما يحمل القوم على معاملته بالحسنى والعناية به بوصفه ضيفاً خارقاً للعادة (٢) . ولسيرورة الشعر على الأفواه ، تجنب الأشراف مازحة الشعراء (٣) خوفاً (٤) ألفاظ تسمع منهم . فالشعراء أصحاب أسنة حداد ، على الصورات موفية ، ومن الخبايا باعثة . والاحتكاك المباشر بهم من أجل قضائية ما قد يولد شعراً لا يريده الأشراف ، فيحاولون كبح جماح الشاعر بالقوة ، ولكن تلك القوة لم تكن دون انتشار الشعر في جانب سلبى أو إيجابى .

(١) : انظر الجبري : " الشعر والشعراء " ص ٤٩ - وفي سمط اللآلي : ص ٣١٩

والاغاني ج ٣٢٢/٩ ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٩ م .

(٢) : عاشت بخلاف مع زوجها ، انتهى إلى طلاقها . انظر خبرها في ديوان : ص ١٤٠/١٤١ .

(٣) : بلاشير ، ر . تاريخ الأدب العربي : ج ٢ / ص ١٧٨ ، وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٣

(٤) : الممددة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق ج ١ / ص ٧٧ . بيروت

دار الجيل - الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م .

وقد تحدث صاحب العقد الفريد عن مداراة الشعراء وتقيتهم ، فاطلبه في العقد :

ج ١ / ص ١٣٤ . المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة ، ١٩٥٣ م

روى أن الشَّعْبِيَّ (١) - وهو أحد قصاة الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان - حكم بين رجل وامرأته ، فعكم للمرأة ، فقال زوجها :

فُتِنَ الشَّعْبِيُّ لَمَّا      رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا  
فَتَنَّتْهُ بِيَنَان      وَخَطِيَّ حَا جَبِيهَا  
وَمَشَتْ مَشْيًا وَثِيدًا      ثُمَّ هَزَّتْ مِنْكِبِهَا  
قَالَ : لِلْجَلَّالِ قَرَّبَ بَنَاهَا      وَأَحْضَرَ شَاهِدِيهَا  
فَقَضَى جَوْرًا عَلَى الْخَصَم      وَلَمْ يَقْضِ عَلَيْهَا

فأمر الشَّعْبِيَّ بالرجل فسوقب ، ولكن العقاب لم يمنع الأبيات من الانتشار ، فسارت مع الركبان شرقا وغربا . وحكى الشَّعْبِيَّ ذاته قال : مررت في البصرة بفتاة تملأ جرتها وتتغنى " فتن الشَّعْبِيَّ " . . . فتن الشَّعْبِيَّ " ، ولم تستطع أن تكمل البيت ، فقلت لها :

فَتِنَ الشَّعْبِيُّ لَمَّا      رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا

ففرحت به فرحا شديدا ، وشكرتني ، وانصرفت ، وهي تتغنى بالبيت (٢) هذا الشعر .

وأما الشعراء فهم " . . أمراء الكلام يقصرون ويمدّون المقصود " ويقدّمون ويؤخّرون ، ويوششرون ويشيرون ، ويختلسون ويميرون ، ويستميرون (٣) . كان الشاعر على بصيرة من أمره عارفا مكانته في المجتمع ، عاملا على حفظ تلك المنزلة الرفيعة . وقد ورد أن الشاعر " الطفيل الدوسي قدم مكة ، ورسول الله بها ، فحذّره رجال من قريش من سماع النسي (ص) حتى لا يتأثر بقوله . قال الطفيل : فما زالوا بي حتى أجمعت لأسمع منه شيئا ، ثم قلت في نفسي : واأكل أُمي ! . . . والله اني رجُل لبيب شاعر ، ما يخفى عليّ الحسن من القبيح ، فما يمنعني من أن أسمع هذا الرجل ما يقول ؟ فان كان الذي يأتي به حسنا قبلته ، وان كان قبيحا تركته (٤) .

وعلى الرغم من وضوح هذا الأمر ، فإن بعض نقاد الأدب ، ادّعى أن أشراف الجاهلية ، كانوا يأنفون من قول الشعر ، فينهون أولادهم

(١) وهو : عامر بن شراحيل الشَّعْبِيَّ الحميري . راوية من التابعين . كان فقيها

شاعرا . الأعلام ج ٤ - ص ١٨ .

- انظر العقد الفريد ج ١ / ص ٦٦ المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ، ١٩٥٣ م

(٢) تهذيب ابن عساكر : ج ٧ - ص ١٣٨ . والوفيات : ج ١ ص ٢٤٤ وسط اللآلي : ص ٧٥١

(٣) المزهري للسيوطي . ج ٢ - ص ٤٧١ .

(٤) سيرة ابن هشام . ج ١ ص ٢٣٥ ، وفجر الاسلام ، أحمد أمين ، ص ٥٦ .

عنه ، ويحتجون بقصة امرئ القيس مع أبيه ، وأن أباه نهاه عن قول الشعر ، فلمّا خالف أباه في وجوب ترك الشعر ، واستمر على قوله ، طرده بسببه ، وأخرجته من داره .

" وقد غفل أكثر الناس عن السبب وذلك أنه كان خليما ، متهتكا شتّب بنساء أبيه ، وبدأ بهذا الشعر العظيم ، واشتغل بالخمير والزنا عن الملك والرياسة ، فكان إليه من أبيه ما كان ليس من جهة الشعر ، لكن من جهة الغنى والبطالة ، فهذه ، وقد جازت كثيرا من الناس ، ومرّتهم صفحا <sup>(١)</sup> "

وربما أعرض عنه بعض الأشراف ، لكن ليس لمسيب فيه ، لأنه وسيلة للتكسب . وكانوا يدركون قيمته تماما ويعيرون من يتكسب به فهو لجلالته يرفع من قدر الغامل ، إذا مدح به ، مثلما يضع من قدر الشريف ، إذا اتخذه مكسبا ، كالذي يوثّر من سقوط النابغة الذبياني في استداحه النعمان بن المنذر ، وتكسبه عنده بالشعر ، وقد كان أشرف بني ذبيان . هذا وانما امتدح قاهر العرب ، وصاحب البؤس والنعميم <sup>(٢)</sup> . وهكذا فان عالما " تخطى الكلمة فيه بأهمية كبرى هو عالم يقدر للوهجين ، فربّ خطبة أو كلام مرتجل يقمان في محلها ، قد يفسيران مجرى الحوادث . ان الشعر يستمد قوته من ذاته وتبقى مكانة الشاعر الطهم الاجتماعية ثانوية <sup>(٣)</sup> .

ويبقى نفوذ الشعر ذا دور مهم في حياة العرب العقلية ، وتصرفاتهم الاجتماعية ، وربما أهلك الشعر قبيلة برمتها ، " وهل أهلك عنزة وجمرما وعكلا ، وسلول ، وباهلة ، وغنيا الا الهجاء ؟ ! ...

وهذه فيها فضل كثير وبعض النقص ، فحق ذلك الفضل كلّ هجاء الشعراء . وهل فضح الحبطات ، مع شرف حسكة بن عتاب ، وعبد ابن الحصين وولده ، الا قول الشاعر :

(١) العمدة ، لابن رشيق . ج ١ - ص ٤٣ . الطبعة الرابعة ، بيروت ١٩٧٢

(٢) المصدر السابق : ص ٤٠ - ٤١ . والبيان والتبيين ، للجاحظ :

ج ١ . ص ٢٤١ . - وصاحب البؤس والنعميم هو المنذر بن ماء السماء

والد النعمان ، وليس النعمان ، وانما القول " صاحب البؤس والنعميم "

عن النعمان هفوة .

(٣) تاريخ الأدب العربي بلاشير . ج ٢ / ص ١٧٣ منشور اتوزارة الثقافة .



رَأَيْتَ الْحُمْرَ مِنْ شَرِّ الْمَطَايَا      كَمَا الْحَبِطَاتُ شَرَّ بَنِي تَمِيمٍ (١)

وإذا كان الشاعر مدركاً مكانته في المجتمع ، فإنه مدرك أثر شعره وهيبته أيضاً ، فيطالب بمنزلته الخاصة . " كتب هوزة بن علي الحنفي ، السى النسي ( ص ) يجيبه على رسالته التي أرسلها إليه : ( ما أحسن ما تدعو إليه ، وأجمله ، وأنا شاعر قومي وخطيبهم ، والعرب تهاب مكاني ، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك " . (٢)

وربما قلل التحضر من مكانة الشاعر ، فلم يعد الناس يخشون لسانه كما هو الأمر في مجتمع البداوة ، ولكن هذا لا يعني انتهاء نفوذ الشعر إنه " ديوان العرب ، وغزاة حكمتها ومستنبط آدابها ومستودع علومها " (٣) وجاء الإسلام ، وبقي أثر الشعر في المجتمع كما كان ، تلهى عنه الناس مدة من الزمن ، ثم عادوا إليه . وربما حث الخليفة على تعلمه وإتقانه ، فقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري وإليه على البصرة قائلاً : " من قبلك بتعلم الشعر ، فإنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ، ومعرفة الأنساب " (٤) . ومن الملاحظ أنه مهما تكن المكانة التي يمثلها الشاعر في قبيلة فهو يسمهم بالتظاهرات الأساسية في حياة الجماعة " (٥) .

وإذا ثبت بالدليل مقام الشعر والشاعر في البيئة العربية ، فهذا عز مطلبنا لتثبيت خط جديد ، ولتصحيح الفكرة القائلة بأن موقف الالتزام في الشعر المعاصر ، هو وليد مفهوم سياسي معاصر ، وفي مخالفة صريحة لكثير من الباحثين ، (٦) وحين نؤكد صحة ما ندعيه ، ونجد فيه اقناعاً كافياً ، نكون قد أسقطنا تلك الفكرة ، وحققنا هدفنا بأقدمية المواقف الصحيحة التي اتخذها الشعراء من أمهم ، والتي تسمح باتخاذ مواقف جديدة بموجبها .

(١) البيان والتبيين: ج ٤ - ص ٣٥ - ٣٨ . الطبعة الثالثة . القاهرة ١٩٦٨

وحسكة بن عتاب أحد فرسان تميم .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى : ج ١ - ص ٢٦٢ .

(٣) أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين . ص ١٠٤ .

(٤) العمدة ، لابن رشيق : ج ١ - ص ٢٨ .

(٥) تاريخ الأدب العربي - بلاشير ج ٢ - ص ١٧٣ .

(٦) ماياكوفسكي ، شاعر الثورة الروسية . وأتباعه فيما بعد . انظر الأدب المقارن د . محمد غنيمي هلال . ص ٣٩٧ . الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٩٧٠ م

إن الشعر تعبير عن حالة نفسية يعيشها الشاعر ، تظهر تحت تأثير المفاهيم التي يستقيها من البيئة ؛ وهناك علاقة متبادلة بين المفاهيم والمواقف ، فكلما ظهر مفهوم جديد في أمة من الأمم ، اتخذ شعراء تلك الأمة منه موقفاً ما ، قد يكون سلبياً ، وقد يكون إيجابياً .

إن دور شعراء العرب من المفاهيم المتجددة في حياتهم أمر كبير ، ربما تجاوز دوره في الأمم الأخرى . ويتبين للباحث أن دور الشعراء كان شاملاً لكثير من جوانب الحياة . إنه نفوذ اجتماعي ، وسياسي ، وفكري واقتصادي . بمعنى أن مناحي الحياة العربية كلها كانت واقعة تحت تأثير ونفوذ الشعر . وهذا يميز مذهبنا إليه من دور الكلمة في تدعيم أركان الحياة السلية أو تهديمها ، تبعاً للمعنى سلباً أو إيجاباً .

ومن الجدير ذكره هنا أن هذا البحث غير خاضع لطريقة الناقد الفرنسي

(<sup>(١)</sup> SAÏNTE-BEVVE) من حيث العناية بالشخصيات الأدبية ،

وتعقب حياتهم ، ولكنه محاولة جادة لتبيان طبيعة نوع من الشعر خدم الحياة العربية . ودفعها شوطاً في سير الحضارة ، وهو الشعر الإيجابي ، وتسليط الضوء على نوع آخر من الشعر آخر مسيرة الحضارة ، هو الشعر السلبي .

رب شاعر مغمور ، جاهلي ، أو إسلامي ، أدّى خدمات جلّى لقومه ، واتخذ المواقف الإيجابية في شعره ، دون أن يتصل بالقصور ، مما جعله ضهير معروف في أمة ارتبط أغلب تاريخها بالحكام ، إلا أن التاريخ يثبت صحة سلوكه في استخدام شاعريته ، وهو المطلوب .

ورب شاعر مشهور كان رفيق الطوك والأمرء ، غير أنسه لم يحسن استخدام شاعريته ، فكان في سلوكه بعيداً عن المواقف التي يجب أن يقفها من هو في مثل ذكائه من الشعب ، موصوف عندنا بالسلبية . ولعل القارئ لهذا البحث يفاجأ بأمرين اثنين .

الأول : كثرة الشعراء الذين لم يسع بهم إلا المختصون . فالمنهج يقضي الالتفات إلى المغمور من هؤلاء الشعراء نسد بشعرهم الفجوات التي تطالعنا بها حياتنا الأدبية ، نسمع أصواتهم المذبذبة تطل على الدنيا . وأغلب هؤلاء كان بعيداً عن القصور ، فكانت رؤيته

(١) انظر النقد الأدبي لمؤلفيه : J-C-Filloux و J-Carloui

الطبعة السادسة . باريس : ١٩٦٩ . المطابع

الجامعية الفرنسية .

للأحداث بعيدة عن منظار أصحاب تلك القصور . ان مجموع شعير هوءلاء يشكل تيارا كسيرا في الادب العربي ، يقابل تيار أدب القصور يمكن تسميته أدب الشعب (١) .

الثاني : شعير المقطعات ، فالقضية دائرة بين مفهوم وموقف ، وعادة يأتي رد الفعل سريعا عند الشعراء ، وحين يكون رد الفعل سريعا لابد أن يكون قصير النفس . انه من غير الممكن خضوع التراث الادبي العربي كله لشعراء المطولات ، ان شعير المقطعات قد يسلط ضوءا قويا على كثير من المفاهيم الدينية والتاريخية والأدبية .

والقيام بهذا عبء ثقيل وكبير ، والمؤونة فيه كثيرة غير أنها ضائعة مبعثرة في بطون الكتب والدواوين في أغراضها المختلفة ، والبحث فسي هذه الذخيرة الواسعة يحتاج الى تحليل مسهب ، وتقويم سليم وزمن صديد ، وامانة على النصوص ، واستقامة في السيرة ، والخلق .

نرجو الله أن يوفقنا لتحقيق هدفنا في هذه الدراسة ، وهو القاهر فوق عباده القادر على ماشاء . وهي دراسة قصدت بها أن أصرن الشعر لخدمة الامة فان أفلحت فهذه أمنيته ، وان فشلت فمذري أنني انسان ، وقد خلق الانسان ضعيفا .

اصبح واضحا أن غاية هذا البحث ترسيخ خط جديد في دراسة الشعر العربي ، ليأتي ماقد يكون من هذا الشعر العربي المعاصر والمستقبلي متجنبيا السلبي فحما كان ، وأخذنا بالاجابي الذي كان فيما يكون .

ومادام الشعر ذا أثر كبير في حياة العرب ، فمن المؤكد أنه يستطيع أن يشارك في نهضتهم المعاصرة ، وهذا هدف لنا أيضا نبتغيه ونسعى اليه من خلال دراستنا . وعلى الرغم من انخفاض نسبة هذا النفوذ الذي كان للشعر في حياة العرب المعاصرة ، فانه يظل في طليمة ما يهرك الانسان العربي ، ويؤثر فيه . فمن الملاحظ

---

(١) على أن المقصود بأدب الشعب هنا ، هو ما أنتجه شعراء الشعب ، لا ما يمتع الشعب على اختلاف الامكنة والأزمنة كاليادة هوميرس ، أو الفليلة وليلة .

(١) أن غياب النصوص الشعرية الأصلية - في مزامينها - من كتب التعليم ، أعطى الوحدة التعليمية الشعرية مفهوماً سلبياً ، فقد تصفحة القوم معرضة عن الشعر راکضة خلف ما يطرأها وينسبها شيئاً من آلامها في هذا الشعر .

ليس من اليسير أن نعید النظر في تراث ضخم من الشعر الجاهلي لنستنتج مفاهيم جديدة كان الشعر يعالجها ، كما أن أمر الوقوف على الشعر الاسلامي أصعب من سابقه . فهذا يقتضي منّا فرزاً دقيقاً ، لنقف على المتبقي من المفاهيم الجاهلية في المجتمع الجديد ، ولنرى المفاهيم الجديدة التي جاء بها الاسلام . في ضوء هذه الغاية نستطيع تحديد المنهج ، وانه من المهم جداً - ونحن بصدد وضع <sup>خط</sup> المخطط السابق في دراسة الأدب - أن نعرض تعريف الايجابية والسلبية بالشكل الذي نقصده في دراستنا ، لعلنا أنه الاصل في الدراسة الأدبية فقط ، وانما لأنه المقياس الذي نقيس بموجبه الثروة الشعرية الكبيرة التي نتعامل معها ، فنأتي بالتعريف بعد توضيح المنهج .

جاء هذا البحث في : مقدمة ، وبابين ، وثمرة رجوناها .

فالمقدمة : تناولنا فيها ضرورة الوقوف على مفاهيم جديدة في الشعر الجاهلي والشعر الاسلامي ، من خلال استعراض كبير لمجموعة كبيرة منه ولا سيما شعر المقطعات . وقد اقتضى هذا أن نتعرض لمكانة الشاعر والشعر في المجتمع العربي القديم وأثرهما في توجيه المفاهيم والمواقف العربية القديمة كما اقتضى أمر هذا الخط الذي نسير عليه في هذه الدراسة ، والذي ندعو اليه الباحثين والشعراء والمعاصرين . ثم كان لابد من تثبيت التعريف الذي وضعناه عنواناً لبحثنا .

في الباب الاول : وقفنا عند ( العصر الجاهلي ) فدرسنا فيه مظاهر الحياة الاجتماعية ، والفكرية ، والاقتصادية ، والتربوية ، من خلال المفاهيم السلبية التي أفردنا لها الفصل الأول ، والمفاهيم الإيجابية التي أفردنا لها الفصل الثاني .

وفي الفصل الأول ، وقفنا عند المناحي الاجتماعية ، لأنها تظهر لنا التكوين الاجتماعي بما فيه من قيم سلبية كما لتفاخر بالأنساب ، والمصيبة القبلية ، وشعر التحريض .

ومن الطبيعي أن ندرس المناحي الفكرية التي كانت تتحكم بحياة المجتمع الاجتماعي ، لأنها تفسر لنا مواقفهم الاولى من الاسلام ، وما تسرب منها اليهم

(١) : لاحظ مثلاً استعراض الشعر العربي ، في المرحلة الثانوية من مدارس القطر العربي السوري ، حيث يتخرج الطالب من هذه المرحلة وهو لا يعرف من الشعر سوى المديح والثناء والفخر والهجاء ، والنسيب ، وما شابه ذلك من الأغراض المشهورة ، والشعراء المشهورين .



الدين الجديد واستطاع أن يحافظ على حياته حتى هذه الساعة من الواقع العربي المعاصر . كالطيرة والاهام ، والغيلان والسعلة والمزاعم الأخرى الكثيرة . وحين نأتي الى الجوانب السلبية في المناحي الاقتصادية نقف على مفاهيم جديدة غير تلك التي اشتهرت في قيم العرب ، كالبخل ، والغدر ، والطمع ، واحتقار المهن . ونختم هذا الفصل بالحديث عن المناحي التربوية السلبية التي نعتبرها حصيلة طبيعية للمناحي السابقة فنقف على ما يؤذي التربية عامة ، وما يؤذي تربية الأطفال خاصة .

فإذا تمت لنا دراسة المفاهيم السلبية ، مضيئنا الى دراسة المفاهيم الايجابية في الفصل الثاني .

وكان طبيعياً أن نقف عند المناحي الاجتماعية أولاً ، مراعاة للترتيب السابق فندرس أهم هذه المناحي الاجتماعية التي ظهرت في حل المشكلات على مستوى الأسرة وعلى مستوى القبيلة . وتسجيل خيانة القبائل في محاولة لتغيير أفرادها من الخيانة والغدر . ثم نستعرض مجموعة من القيم الايجابية الأخرى التي وجهت حياة العرب نحو الأفضل .

فإذا انتهينا من هذا وصلنا الى المناحي الفكرية الايجابية ، تلك التي كان لها أثر كبير في قبول الدين الجديد فيما بعد عند كثير من الناس الذين لم يقاوموه كثيراً ، فقد استجابوا لهذا القول الجديد ، وكان للمظاهر العقلية ، ولحركة التوحيد أثر عظيم في احداث تلك الاستجابة ، حيث رقت النفوس وهذبت وصارت قاعدة صالحة لاستقبال الدين الإسلامي .

وإذا انتهينا من توضيح هذا المنحى ، انتقلنا الى المناحي الاقتصادية ، وبيان أثر المال في خلق التفاوت الطبقي ، وأثره في العلاقات الاجتماعية ودور المرأة في سياسة المال .

وفي نهاية المطاف في الفصل الثاني من الباب الاول ندرس المناحي التربوية لنتعرف على الخصال الحميدة التي كان الشمرء يدونونها شمرأ ، ويحملون أولادهم عليها ، وتلك التي تراء للفتيات العربيات . ثم نهي الى مظاهر أخرى في التربية الجاهلية .

فإذا تمت لنا دراسة العصر الجاهلي ، واتضحت لنا المفاهيم السلبية والايجابية فيه مضيئنا الى الباب الثاني وفيه ندرس العصر الاسلامي .

ونبدأ هذا الباب بالفصل الأول الذي ندرس فيه موقف الإسلام من الشعر مثلاً بموقف القرآن الكريم والرسول ( ص ) والصحابه الكرام . ونحاول أن نرى

الموقف من خلال رؤية جديدة لكثرة الدراسات<sup>(١)</sup> التي تطرقت لهذا الموضوع من جهة ، ولطبيعة البحث من جهة ثانية ، وسوف نركز في هذه الرؤية على الشعر ونفوذ في الاسلام .

ثم نمضي بعد هذا الى التغييرات البنيوية التي حصلت في المجتمع العربي بعد الإسلام ، فنناقش أهم الأوجه السلبية والإيجابية في هذه التغييرات . ثم نبدأ الفصل الثاني بالمفاهيم السلبية المنتشرة في المناحي المتعددة . وتأخذ المناحي الاجتماعية أولاً ، ونحاول استجلاء أغلب هذه المناحي السلبية من خلال الوقوف على شعر الفتن وإثارة الضغائن ، وعلى شعر العصبية القبلية ، وشعر التحريض ! . . . .

فإذا انتهينا من هذه المناحي الاجتماعية ، مضينا الى المناحي الفكرية حيث نقف على مفاهيم جاهلية استمرت في وجودها بالرغم من وجود الاسلام ، وبالرغم من سلبيتها ! . . . كما نقف على شعر الاستخفاف بالدين ! ثم نتناول المناحي الاقتصادية . ثم المناحي التربوية من خلال ما يوءى التربية عامة وما يوءى تربية الاطفال خاصة مستغلين المفاهيم الاجتماعية السلبية الأخرى ، لتوظيف هذا الهدف التربوي ، فندرس مظاهر التربية السلبية من خلال المظاهر الاجتماعية السلبية ، ونترك هذا الحديث المفصل الى المناحي الإيجابية فسي التربية الإسلامية .

وكان طبعياً أن ننتقل إلى الفصل الثالث وهو الأخير من الباب الثاني لتحدث عن تلك المفاهيم الإيجابية . فنبدأ أولاً بالمناحي الاجتماعية من حل للمشكلات الفردية والعامة ، الى تنديد بالفساد ، وفضح للمرتشين . ثم انتقلنا الى المناحي الفكرية حيث وقفنا على النتائج الإيجابية في المحاكمة العقلية ، وعلى اظهار دعوة الحق ، و تمجيد الأخلاق الفاضلة . فإذا انتهينا من المناحي الفكرية نفدنا إلى المناحي الاقتصادية ، كما صورها الشعر الاقتصادي مهدين له بنبرة عن نشوء الاقتصاد الإسلامي ، فركزنا على تصوير الواقع السلبي الذي خلفه التناقض الطبقي ، لاننا لم نركز على هذا المنحى كثيراً في الفصل الثاني حيث الحديث السلبي ، وذلك للتداخل الذي رأيناه في هذا المنحى .

---

(١) : لاحظ : جمهرة أشعار العرب - ج ٢ . لاحظ موقف الاسلام من

الشعر ، يعق الجبوري - منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ١٩٦٤ م .

ووقفنا على فضح أصحاب الخراج وأصحاب المدقات لإكمال الدائرة الاجتماعية بالحديث عن الفساد ، وفضح المرتشين .

ثم نفذنا الى المناحي التربوية خاتمين بها الفصل الثالث والاخير ، فوقفنا على أهداف التربية المعاصرة ، وعلى أهداف التربية الاسلامية ، كما مثلها الشعر التربوي ، ورأينا الموءتلف والمختلف في التربية العربية من خلال منظور المصير . وأنهيينا البحث عن الثمرة المرجوة منه ، والتي تتلخص بظهور خط آخر في دراسة الشعر العربي ، ودور المقطعات في اعطاء صور متعددة عن مناهي الحياة العربية . ودور الشعر خاصة في نهضة الأمة العربية المعاصرة . ومن الملاحظ أن دراستنا كلها تخضع لربط الشعر بالحياة ، السلبي منه والايجابي ، من خلال مواقف الادباء المتباينة ، عن المفاهيم المتعددة ، تحت سلطان الشعر ونفوذه .

ومن الملاحظ كذلك أننا لا نعتمد الفصل التاريخي الرياضي في المصور التي ندرسها ، ونمضي الى الاعتقاد بتداخل المصور ، والتأثير المتبادل بينها . وعلى ضوء الهدف الذي أردناه لبحثنا ، نريد الوصول الى فصول من التاريخ نعتقدها غامضة ، صار فيها لغط كبير .

فهذه المقطعات تتناول أغراضا شعرية ندر أن تناولتها المطولات ، حيث الحديث عن الصراع الطبقي ، أو فضح أساليب القمع والقهر ، والمساعدة في تحليل الواقع التاريخي . كما أن هناك شيئا مهما في شعر المقطعات ، فان ذلك الشعر المطول المشهور لا يمثل الشاعرية بصفا النفس وصدقها ، فالمقاوعة التي تطفر من النفس تحت تأثير درجة عالية من المشاعر الصوفية الصادقة هي الشعر الحقيقي ، والذي نعنيه بالصوفيّة هنا ، صفا الدافع الذي وراء المقطعات .

ونجد في البحث عن تلك المقطعات القابعة في كتب التاريخ وكتب النقد ، وكتب تاريخ الادب ، وتاريخ النقد ، ونأمل من وراء ذلك كله دعم الخط الجديد في الشعر العربي لنتوصل الى جوانب الحياة المختلفة .

وهذا الخط الجديد يكاد يكون هو الحالة الثالثة التي نريد الوصول

اليها " فالضوء المتولد من السالب والموجب ، لا هو السالب ولا هو الموجب انما هو الحالة الثالثة .<sup>(١)</sup>

---

(١) : أسعد علي : مصابيح القراءة للتأليف العلمي : دار السوأل

للطباعة والنشر ، دمشق ، الطبعة الثانية . ١٩٧٩ . ص ٢٩ .

كنّا ندرس تيار الأحداث لنصل من ورائه الى الشعر ، والأصل أن ندرس الشعر لنصل من ورائه الى تيار الأحداث التي تكشف الجوانب المتعددة للحياة العربية .

سوف يتأكد لنا شيء مهم في نهاية هذا البحث فقد نرى أن حاجتنا عظيمة في تعديل كتبنا المدرسية الرخيصة في تاريخ الأدب ، وحتى كتبنا الجامعية في هذا التاريخ . . . .

إن تلك الكتب بما تحتويه من شعر خاضع للدراسة المدرسية ، أو تنوع ، الأغراض الشعرية ، وترسم للشعراء العرب الجاهليين والإسلاميين صورة مشوهة تشير استهزاءً ببعض النقاد المعاصرين ، وتفتح للكثير منهم باباً للطعن في ذلك الشعر ، لاسيما وأن تلك الكتب تسهل عليهم إثبات ما يريدون ، كذلك بالنسبة لصورة الغرب التي ترسمها قصائد الشعر المدرس هي صورة تشير استهزاءً أعداء العرب وتفتح لهم باباً للطعن ،

إن هذا الخط الجديد في دراسة الشعر العربي ينسج لنا صورة أخرى للشعر والشعراء العرب ، وللمجتمع العربي الجاهلي والإسلامي نحلّها محلّ الصورة الحالية .

ومن حقي أن اتحدث عمّا عانيت في هذا البحث ، ففي غالب الأحيان كنت أصل الى درجة اليأس والملل ، والتعب الضني ، ثم أعود فأسأل نفسي : من الذي ألزمني بهذا المنهج ؟ . . .

إنها رغبتني ، ولا بد من تحمل كل الصعوبات في سبيل تحقيق الهدف الذي أردته من وراء البحث .

ويبقى أن أشير الى المعاناة التي تصادف الباحث وهو يسعى ليتمسك عن الخمول من الشعر ، الذي جانبته ماقدّر لي ، لا كون واقفاً على قاعدة صلبة في بحثي ، الذي لا أدعي له التسمم ، بل كل ما أصبو إليه أن يكون ذا نضج ، فيرفد المكتبة العربية بما تفتقر إليه ، وأرجو أن يجد فيه الباحث والقارئ خطوة جديدة جديّة في عالم النقد والدراسة الأدبية .



# الإنجليزية والسليبية

لغة وقراءة

## أولاً : الإيجابية لغة ودلالة :

### لغة :

مصطلح الإيجابية غير موجود في المعاجم العربية ، وما نجده في باب الجيم وفصل الواو هو جوب ، ومصدره الإجابة كالطاعة ، والطاقة . وهو غير الإيجابية التي نشأتها هنا ، والإيجابية مصدر صناعي .

وقد جاءت في معاجم اللغة الإنكليزية على أنها ( Positivist ) ولها معان أخرى كثيرة منها ( Positive ) بمعنى الصورة الموجبة ، وكذلك جاءت على أنها الإيجابي ، ومنها قولهم : ( Positive-Charge ) بمعنى الشخصية الموجبة وكذلك جاءت على أنها ( Positive Check ) بمعنى عائق إيجابي ، وتأتي كلمة ( Positive ) منفردة بمعنى متيقن ، موجب حاسم ، أو بات<sup>(١)</sup> .

وفي الإنكليزية قولهم : ( Positive turn of mind ) يعني عقلية إيجابية أو واقعية<sup>(٢)</sup> . ومن تلك المعاني والمصطلحات نستطيع أن نقول : إن ( Poetry Positive ) مصطلح يعني الشعر الإيجابي . ويبقى مصطلح الإيجابية في الإنكليزية ( Positivist ) هو الأصل ، ومنه اشتقت بقية التسميات التي مرت بنا . ثم انتقلت الكلمة إلى الاستخدام السياسي والمنطقي ، وأكثر وأمن استخدامها في علم النفس وشؤون التعليم ، وهنا نحن ندخلها في عالم الأدب<sup>(٣)</sup> .

وهذا المعنى تشترك فيه عدة لغات أوروبية أخرى منها الفرنسية ، والإسبانية ، والألمانية ، كذلك تشترك الإنكليزية مع تلك اللغات بمصطلح ( Affirmative ) الذي يعني الإيجابي<sup>(٤)</sup> .

- ( ١ ) : معجم إنكليزي عربي للمفردات العلمية والفنية . حسن سحران . دار صادر ، ودار بيروت ، بيروت ١٩٦٧ م . ص 237 .
- ( ٢ ) : الكنز قاموس إنكليزي عربي . جروان السابق . إصدار دار السابق للتأليف والنشر طبعة أولى . بيروت . لبنان . ص 504 . انظر
- ( ٣ ) : ذكر المصطلح في كثير من المقالات الأدبية . انظر على سبيل المثال مجلة العربي العدد ٢١٦ / ١٩٧٦ م .
- ( ٤ ) : انظر معاجم اللغات : الفرنسية ، والألمانية والإسبانية .
- ( ٥ ) : في الإسبانية ( Positivo ) بمعنى إيجابي . انظر : Fcorriente

تدل كلمة الإيجابية على معانٍ متنوعة متعددة ، تختلف باختلاف الفن الذي تضاف إليه ؛ فهناك إيجابية التعليم ، وإيجابية علم النفس والمنطق ، وإيجابية الأدب ، وهي مقصودها ، وفيها تقتصر على الشعر الذي قيل في العصرين الجاهلي والإسلامي ، الذي يشتمل على عصر بني أمية أيضاً . .

فالذي يدل على الإيجابية في الشعر ، فضح قوى الظلم ، وأداته البغي في صور متعددة ، أهمها :

ببرة الاحتجاج الغاضب الذي يعمل على تحريك الرفض ، وتعميق الوعي ، وقرن القول بالفعل ، بمعنى ربط الشعر بالممارسة العمالية والذي يدل على الإيجابية فيه ، التزام القيم الحميدة ، والأخلاق الفاضلة المجيدة ، والاهتمام بمصاحبة الأمة وقضاياها الكثيرة ، فدحين حين نحكم على شيء بوجود آخر فيه يكون إيجابياً وإذا حكمنا على شيء بعدم وجود آخر فيه فهو سلبى . فإذا حكمنا بوجود حل لمشكلة ما . . . في قصيدة ما . . . فهي إيجابية ، وهو شعر إيجابى ، وإلا فهي سلبية وهو سلبى .

ويكاد القارئ يعتقد أننا نريد بالإيجابية هنا أدب الواقعية الاشتراكية الأدب الذي يتناول قضايا الطبقات الكادحة ؛ ومع أن هذا ليس قصداً إلا أننا في معنى من معاني المصطلح نراه الشعر الذي يهتم بقضايا المجتمع ، ويسعى إلى الأخذ بيده نحو ما فيه صلاحه .

والإيجابية في هذه الدراسة تدور حول المفاهيم والمواقف الاجتماعية والاقتصادية ، والسياسية ، والتربوية ، في إطار من الشعر توجد فيه معانٍ تخدم القيم الفاضلة ، وتفذي الأمة بالأخلاق السامية ، والمفاهيم السوية ، فتربي المجتمع وتأخذ بيده نحو الأمثل .

ومثل هذا الأدب يدل على الحالة الاجتماعية صادقة ، بعيداً عن التزلف والتملق ، فهو المقياس الذي يميز بوجبه المواقف السليمة التي اتخذها الشعراء ، من المواقف الخاطئة ألعلم مفهوم من المفاهيم . وهذا المقياس يحتفظ بقوته وأصالته ، وطاقة البقاء لديه داخلية ، لأنه بعيد عن التعاريف التي تخضع لمذهب سياسي أو أدبي معين .

كذلك فإن الإيجابية مصطلح يدل على الاهتمام بالقضايا الاجتماعية حين يعطيها الصفة الواقعية في التصوير ، ويضع لها الحلول التي

تأخذ بيد المجتمع نحو الرقي والتقدم .

ومن هنا كان الشعر الإيجابي مقصوراً على شعر المنطقة الحارة بعيداً عن شعر الزخرفة والمنعة ، منفصلاً عما يصدر من المنطقة الباردة . فشعر المنطقة الحارة ، هو الشعر النابع من الأحداث مباشرة ، وله دلالة الصديق العاطفي والفني .

إن مدلول الإيجابية في الشعر يمثل المفاهيم الخيرة التي يتبنّاها الشعراء . وهو يوجه الأشياء ، والأُمُور وجهة تخدم مجوع الأمة ، ولا يقتصر على فرد معين فيها ، مهما كان سلطانته ، اللهم إلا إذا ساقه الشعر فرداً إلى خدمة الأمة التزاماً وإقداماً (١) .

وهو مدلول يشجع على السير في موكب الحق ، يقاوم الشر وعوامل الفسقة والفساد يعالج الأمور بحكمة وروية معتمداً العقل بعيداً عن العصبية الفكرية الطائشة ، أو العقلية المتهورة وهذا ملتقى طريق مع المنطق .

والحديث عن الحروب وويلاتها ، وما تحملته من دمار وأذى ، وبينان مضارها ذو مدلول إيجابي أيضاً . فكم علمت الحروب على هدم المجتمعات وإتلاف الخيرات ، وقهر الناس وإذلالهم ؟ ... وكم ممن أسر مزيقتها الحروب وقطعت أوصالها ، فانتهى كل شيء فيها بطرفة عين .

والمدلول الإيجابي في الشعر دعوة إلى نبذ الحرب ، والجنوح إلى السلم ، وبيان آثار السلام في انتعاش الأمة ، مع ملاحظة الضرورة الحربية أحياناً للدفاع عن الأمة وكرامتها ومقداراتها ، فتكون الدعوة إلى القتال في هذه الحالة — أمراً إيجابياً .

إن اتخاذ المواقف الفكرية المناسبة في الوقت المناسب ، بعيداً عن المحاباة والمراوغة للفكر المتحكم بمصير الأمة ، وحياة الناس أمر إيجابي ؛ فبسه شرح للمواقف الواجب اتخاذها إزاء المفاهيم المنتشرة ، وتزيين لها في أعين الناس إن كانت زينة ، ومحاربة لها وإظهار لمفاسدها مع التضحية بكل شيء في سبيل إبادة تلك المفاهيم إن كانت شينة ، وغير ملائمة الشعب .

(١) — لاحظ : فن الحياة فن الكتابة . د . أسعد علي

ص . ٧٠ «مقاييس الشعر الروحي» الطبعة الثانية

دمشق دار السؤال .

ولا يستطيع أن بعد الشعر انذى يعالج دور المال في الحياة من  
المدلول الإيجابي . فالشعر هنا قانون يحارب سوء توزيع الثروة ،  
ويدعو إلى اتخاذ المواقف الجيدة من المفاهيم الاقتصادية ، وهو  
بهذا يؤرخ لنا تطور الفكر المالي العربي ، فيخدمنا في الاطلاع  
على أساليب استخدام الثروة عند العرب ، ويساعدنا في تحليل كثير  
من الظواهر التاريخية التي مرت على الأمة العربية .  
كذلك فالإيجابية مدلول على نوع من الشعر يكون وثائق تروية  
فيها دعوة إلى الخصال الحميدة ، وإلى زرع بذور العلم والحلم والحكمة  
في الأمة ، متبلياً دعوةً غيرية خيرة .  
نحن لا نحمل الشعراء أمراً فوق طاقتهم ، فقد كانت مكانتهم الاجتماعية  
تحتّم عليهم تبني مثل هذه المفاهيم التي احتواها المعنى الإيجابي  
للشعر كما نفهم من خلال نظرتنا العصرية ، لا كما فهم بعض  
نقاد العرب القدامى وشعراؤهم ، صنيع أبي علي الحسن بن  
رشيق القيرواني حين قال (١) :

الشعر شي حسن	ليس به من حرج
أقل ما فيه ذمها	بُ الهِم عن نفس الشجي
وحاجة بسرها	عند غزال غنج
وشاعر مطّرح	مُغلق ، باب الفرج
قريبه لسائه	من ملك متوج
فعلموا أولادكم	عقار طُوب المهج

(١) : القيرواني ، ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده .

## ثانياً : السلبية لغة ودلالة :

### لغة :

السلب هو الشيء أخذ من غيره قهراً ، هذا في المعاجم العربية ، لكن اللفظة ، كما نهدف إليها غير موجودة في هذه المعاجم شأنها شأن الإيجابية. والموجود لها المصدر الصناعي السلبية ، ولكن معاجم لغات أخرى توضحها أكثر .

فقد جاءت في المعاجم الإنكليزية على أنها ( Negativism ) وتعني السلبية كأن يطلب إلى مريض الخلود إلى الراحة والابتعاد عن نوع معين من الطعام ، لكنه لا يتقيد بما طلب منه ، فيكون موقفه سلبياً .

ولما كان يُطلب إلى الشاعر احترام شاعريته وتفجير منابع الخير والعطاء السليم منها ، فقد اعتبرنا عدم تقيد به بما يطلب منه أمراً سلبياً. ولها معان عدة تشترك فيها النظريسات الفلسفية والتعليمية والسياسية أيضاً ، وها نحن نشبتها في الأدب كذلك . فهناك ما يقال له :

( Negative Ada tation ) أي التكيف السلبي ويقولون « Negative attitude »

بمعنى الموقف السلبي ، وهناك التحول السلبي : « Negative transfer »

يقابل التحول الإيجابي : Positive Transfer

ونستطيع أن نقول : (( Poetry Negative )) أي الشعر السلبي .

ويبقى المصطلح الإنكليزي الذي اشتقت منه تسميات وإضافات عدة : « Negativism »

هو الأصل المعتمد، والمصدر الرئيسي للكلمة. ولا بد من التنويه بلفات أوروبية أخرى تستخدم هذه الكلمة بهذا المعنى، كالفرنسية ، والألمانية ، والإسبانية .

### دلالة :

لعلنا في التعريف اللغوي تطرقنا إلى الدلالة التي تعطىها هذه الكلمة. ولا بد من التوسع في الحديث عما تدل عليه هذه اللفظة كما يرسم البحث خطتها (٣) .

(١) ربما سبقنا إليها في بعض المقالات الأدبية ، كما هو الشأن بالنسبة للإيجابية .

(٢) : وهولاتيني قديس .

(٣) : انظر في التعبير السلبي في اللغة فيما قاله ابن جني في الخصائص : ج ١ / ١٣٥

حين تعرض لمعنى (( ما جاءني غير زهد )) .

إذا بحثنا عن موقف ما لشاعر ما ، من مفهوم ما ، وكان الموقف سلبيا ، قلنا عنه : انه موقف ايجابي . وان لم نجد الموقف المناسب من هذا المفهوم ، قلنا عنه : انه موقف سلبي . وعلى هذا دلالة السلبية هنا على ملتقى طريق مع المنطق ، وهي أن لحكم على شيء بعد وجود آخر فيه .

كأن يذكر التاريخ عهدا انتشر فيه الظلم والتعسف ، وبحث في الشعر الذي صدر في ذلك العهد عن صورة لتلك المظالم ، فلا نجد لها أثرا فيه . ولا نجد من يفضح الظلم والتعسف الذي كان في ذلك العهد أو يندد بالفساد والاستعباد .

والشعر الذي لا توجد فيه بواعث القيم والأخلاق ، ولا يحتوى إلا المعنى المبذل الساقط ، أو المعنى الفاسد . لا يدل عليه إلا مصطلح السلبية . والشعر الذي يثير المنازعات على مستوى الأفراد ومستوى الجماعات ، ويعمل على إثارة الفتن والاضطرابات ، والسفه والطيش والنزق ، شعر سلبي .

ويدل المصطلح السلبي على الشعر الذي يتناول الخرافات والأوهام مومنا بها ، جاعلا منها نظريات في العقيدة ، ضمن متاهات فكرية وأحاديث خرافية تتحكم بمصير الانسان ومآله في هذه الحياة ، من طيرة ، وأوهام وتشاؤم ، وأمور أخرى تسلب إرادة الانسان وتجعله تابعا في مدار الخرافات ، كما تظهر ما عجمه في الكذب ، والقلق والضلال (١) .

وليس ثمة تعريف جامع مانع لأن قضية التعريف ليست قضية قطعية وربما كان التعريف زئبقيا أحيانا لا يقف عند أمر قطعي . ومثالا على ذلك اصطلاح الواقعية التي أوصلها بعضهم الى معان كثيرة تجاوزت المائة فمن المصطلحات التي ذكرها " داميال غراك " للواقعية شيئا الى تعدد فروعها وتشعب أشكالها : " الواقعية الانتقادية ، الواقعية المستمرة ، الواقعية الدينامية ، الواقعية الخارجية ، الواقعية المثالية ، الواقعية الخيالية ، الواقعية الشكلية ، الواقعية الساخرة ، . . . الواقعية القاتلة ، الواقعية الساذجة ، الواقعية العرضية ، الواقعية الوطنية . . . الخ (٢) .

وما نستطيع التسليم به هنا ، هو ما ذكرناه من دلالة المصطلحين الإيجابية والسلبية . فاما قد يقلق القارئ عنهما ، هو المشروعية الفنية لصياغة هذين المصطلحين .

(١) لاحظ من الحياة في الكتابة ، د . أسعد علي . ص ٦٩ مقاييس الشعر

الشيطناني . دارالزوال بدمشق

(٢) : غراك ، داميال : الواقعية . لندن ، ١٩٢٠ م .

ولكننا هنا نحاول أن نكون بعينين عن مسألة التراكم فسي  
أبحاث التراث ، " واحد وجوه هذه المسألة هو هذا التعميم  
في المصطلح النقدي ، وفي اللفظ (١) . . . "

---

(١) : الجمالي ، حافظ : المناقشات التي دارت حول الوثائق في الأدب  
العربي للدكتور عادل جاسم البياتي : ج ٣ / ص ٦٦ • منشورات اتحاد  
الكتاب العرب ، المؤتمر العام الثاني عشر - دمشق ، ١٩٧٩ م •



لا يستغني باحث عن أصل الألفاظ ، وذلك لدلالاتها على المعاني . وحين نريد الوقوف على أصل هذين المصطلحين ( الإيجابية والسلبية ) اللذين نعتبرهما السكّة المزروجة تعمل كل واحدة منهما بضاعة مخالفة لما تحمله الأخرى ، حين نريد ذلك يجب أن نتذكر التطور الذي يحدث في الكلمة تبعاً لتطور الشؤون المحيطية بهذا المدلول .

وحين يحدث تطور من هذا القبيل فإنه يعطي الكلمة وجهة خاصة بها . فكلمة سلبية ( Negative ) تستخدم كثيراً في بحوث علم النفس والمنطق ونستطيع أن نراقب تطورها في الحواشي التي يتخذها الشعراء من المفاهيم ، لنرى أنها كانت في المنطق تعني الحكم على شيء بعدم وجود آخر فيه <sup>(١)</sup> ، فأصبحت في الأدب تعطي المدلول السابق مع تطور الكيفية .

(٢)

وكلمة إيجابي ( Positive ) أو ( Affirmatif )

في المنطق تدل على القضية الموجبة ، وهي أن تحكم على شيء بوجود آخر في نفسه أصبحت في الأدب كما بينّاها في المدلول الذي وضعناه مع تطور الكيفية أيضاً . إن اللغة كائن حي يخضع للتطور والنمو والانقراض ، وربما كان من المنطقي أن نقول : إن تكرار وكثرة استعمال كلمة ما ، في معنى ما ، يؤدي غالباً إلى انقراض المعنى الحقيقي لتلك الكلمة ، ليحل محلها المعنى الجديد .

ولن يضير اللغة العربية أن تعتمد هذين المصطلحين في الأدب ، فالتعريب هو أحد العوامل التي تنهي اللغة . ولنا في الأولين <sup>(٣)</sup> من العرب أسوة حسنة . <sup>(٤)</sup>

(١) : المنطق : د - جميل صليبا . ص ٢٧/٢٨ / الطبعة الثانية بيروت .

(٢) : المصدر السابق نفسه .

(٣) : أشهر عوامل <sup>تنحية</sup> نشوء اللغة هي : التثقيب ، والقلب المكاني ، والإبدال والنحت والتعريب ، والاشتقاق ، والإصلاح ، والمجاز .

انظر : محمد بدر الدين أبو صالح المدخل إلى العربية أبحاث توجيهية في اللغة

العربية ص ٨٧ وعوامل نمو اللغة العربية . مكتبة الشرق مطب ١٩٦٣ .

(٤) : انظر المعرب للجواليقي ، طبعة القاهرة ، ١٩٦٩ م .

فقد أخذوا ألفاظاً كثيرة من الأمم المجاورة ، فأدخلوها على لغتهم . وهذا ليس شأن اللغة العربية فحسب ، وإنما هو أمر تشترك فيه لغات العالم كلها ، ويجم عن احتكاك الأمم ببعضها ، ولا سيما في هذا العصر حيث صغرت الكرة الأرضية مئات المرات ، وتقاربت شعوب الأرض ، دون أن يتقلص حجم الكرة ولو بمقدار ١٠ ، إنها مواصلات العصر ، وسمته العلية وكثرة احتكاك أمم الأرض ببعضها .

ولا شك أن مدلول السلبية أو الإيجابية يختلف من عصر إلى عصر . فما كان سلبياً في العصر الجاهلي ، قد يكون إيجابياً في العصر الإسلامي . وما كان إيجابياً بمنظار الجاهلية قد يكون سلبياً بمنظار الإسلاميين . فوَأَد البنايات كان قيمة إيجابية بنظر الجاهليين ، يتخلصون فيه من مصدر سلبى قد يجلب عليهم العار ، فيعلقون عواطفهم ويجمدون عقولهم وجوارحهم في التخلص من بناتهم . ثم جاء الإسلام فعكس الآية وقلب المعايير وحارب تلك القيمة واعتبرها سلبية يجب التخلص منها وتم له ذلك . كذلك فالتفسير المدلول للمصطلحات حاصل تزييره بتغيير البيئة الداعية والاجتماعية . فما كان سلبياً عند الحجازيين ، قد يكون إيجابياً عند التميميين . وما كان سلبياً في العصر الذي تقصدها الرسالة قد يكون إيجابياً في عصرنا الحديث ، أو بالعكس . وقد تحافظ القيمة على سلبيتها أو إيجابيتها بالرغم من تغيير العصر أو البيئة . فالعصبية القبلية دليل القول الأول . كانت قيمة إيجابية في نظر الجاهليين ، ثم أصبحت سلبية بمنظار الإسلاميين وهي دليلنا على القول الثاني أيضاً . فقد استمرت سلبيتها حتى العصر الحديث ولذا ونحن ندرسها بمنظار عصرنا نراها قيمة سلبية .

ويبقى حديث السلبية والإيجابية هنا — بعيداً عن الثبوت الإحصائي القائم على التقسيم — بقدر ما هو نظرة تحليلية لا تغفل منظار العصر . ولا تعنى إمعاناً للعصور التي تقصدها الدراسة لبيان أثرها في مباحي الحياة قديمها وحديثها .

ويبقى أن أشير إلى المراحل الشعرية التي أبدأ بها منذ الجاهلية . فقد مر الشعر الجاهلي بمرحلة حضارة ثم استوى عوده ، واستقام شأنه ،

(١) : انظر : توحيد المصطلح العلمي في الأقطار العربية — مقالة بقلم د . يوسف

عز الدين المجلة العربية — السنة الثالثة ، العدد الثالث .

ص ٥٧ — ٦١ .

(٢) : ولا يستبعد أيضاً أن يكون الاختلاف في بعض أمور اللغة بينهما مرده إلى اختلاف المعاني .

وعلى نبره ، بعد أن كان الكلام كله نثراً ، فاحتاجت العرب الى الفناء  
بمكارم الاخلاق ، وطيب الاعراق وذكر الايام الصالحة ، والاوطان النازحه  
لا لتهمز نفسها الى النثر كما ادعى بعض نقاد الادب القدامى ، فهذا  
تحليل سطحي ، ولكن لحاجه في المروءه يشعربها ، ويؤكد عليها علم  
النفس الادبي (٣) .

إن الشاعر يقول الشعر لعدة أسباب ، أهمها :

- أنه يشغل الآخرين بنتاجه .
- وأنه يخلد نفسه بهذا النتاج .
- وأنه يحب من يحسن اليه ، والمديح الذي يتلقاه الشاعر نوع من  
الاحسان .

- وأنه يمرر عن خلجات وانفعالات تلجج في صدره ، ولا تجد طريقاً  
تخرج منه سوى هذه التفاعيل .
- وأنه وجد في نفسه ميلا فطريا الى هذا النوع من الكلام ، فنماه  
بالموهبة وقواه بالتجربه ، وربطه بالناس ، فلم يعد يستطيع بعدا  
عنهم .

ثم إن أولية الشعر العربي مجهولة ، ولا نعتقد أنه حديث الميلاد ،  
صغير السن ، سبق الاسلام بخمسين ومائه عام أو بمئتي عام على غاية  
الاستظهار كما ادعى الجاحظ (٤) .

لذا كان الحكم منصبا على الشعر الناضج مباشرة ، وهذا هو الأصل  
الذي يجب أن يكون . وهو في نضجه يعطي صورة تامة عن قوة  
الكلام العربي الذي يعبر عن قوة الإدراك ، وعن قوة في الإرادة .  
فالشعر الناضج أعطى صورة تامة لحياة الناس ، وفكر الناس وعيش الناس  
ونمط معاشهم ، ودخل كل معنى وكل شعب في حياتهم .

(١) : القيرواني ، ابن رشيقي : العمدة ، ج ١ / ص ٢٠ . بيروت ١٩٧٢ .

(٢) : المصدر السابق نفسه .

(٣) : لاحظ مثلا : التفسير النفسي للأدب ، عز الدين اسماعيل ، دار الثقافة  
بيروت ١٩٦٣ .

(٤) : العميدان للجاحظ : ج ١ / ص ٥٤ ، دار صليب بيروت ، ج ٦ /

ص ٨٩ حيث جاء فيه : ( وقد قيل الشعر قبل الاسلام في

مقدار من الدهر أطول ما بيننا اليوم وبين أول الاسلام ) .

وإذا كان الشعر الجاهلي ظلاً للمجتمع الجاهلي ، فلا مندوحة من التسليم بالسلبى والايجابى الذى يحتويه هذا الشعر ، بعيداً عن التقسم النوعى " .

وكذلك فالشعر الاسلامى ظل لمجتمعه مع وجود القرآن والحديث ، فلا مندوحة أيضاً من البحث بالسلبى والايجابى الذى يحتويه .

ونددع هؤلاء لندخل فى الحديث عن المناحي المختلفة التى خاض فيها الشعر قريبا من التحليل والاستقراء التاريخى .

# الباب الأول العصر الجاهلي

## الفصل الأول

### المفاهيم السلبية :

- ١- المناحي الاجتماعية .
- ٢- المناحي الفكرية .
- ٣- المناحي الاقتصادية .
- ٤- المناحي التربوية .

## المناحي الاجتماعية

- التقاخر بالأنساب .
- العصبية القبلية .
- شعر التحريض .

## التفاخر بالأنساب :

=====

الأنساب ، واحده النسب <sup>(١)</sup> ويعني القرابة . وهو الرابطة الذي يربط شمل القبيلة ويجمع شتاتها . وذلك لأن أفراد القبيلة كلهم يشتركون بنسب واحد . والنسب عندهم هو القومي ورمز المجتمع السياسي في البدايه <sup>(٢)</sup> .

وقد اهتم العرب كثيرا بالأنساب واعتبروها علماً واسعاً من العلوم التي تشغل تفكيرهم كثيراً ، والتي تستأهل منهم المصنفات الضخمة <sup>(٣)</sup> وهذا يدل دلالة واضحة على المكانة الخطيرة التي لعبتها الأنساب في حياة العرب .

فقد كانت هذه الأنساب توفر الحماية والوقاية للإنسان ، قبل أن تتولد الحكومات الكبيرة التي جاءت فيما بعد ، فرعت الأمن وبسطت سلطانها وخفت من غلواء النسب والانتساب <sup>(٤)</sup> .

فهذا النسب ، على هذه الشاكلة ظاهرة إيجابية ، ومفهوم جيد <sup>ومفهوم</sup> في الحياة القبلية العربية . لأنه يربط شمل القبيلة ، ويجمع شتاتها ويحميها من كل معتد أو طامع . لكنه حين يدفع الى التفاخر والخيلاء ، والزهور والمطرسة ، يصبح ظاهرة سلبية منبوذة . يجب كشف ضررها ، وبيان المناحي السلبية فيها .

وهي إذ تصح كذلك ، تنبذ ويؤخذ بالحسب بدلاً منها . وهذا سر نبذ الاسلام للتفاخر بالانساب ، واحترامه للحسب ، على أنه الفعل الحسن كما في الحديث النبوي : " حسب الرجل خلقه <sup>(٥)</sup> " وحسب المرء دينه ومروءته عقله ، وحسبه عقله أيضاً <sup>(٦)</sup> .

وهذا يكون الحسب أحياناً معزراً للإيجابي من النسب ، وملتزماً منه بفائدة المجتمع وجزءاً من الخير العام الذي ينمّي القيم والمفاهيم الإيجابية .

(١) : لسان العرب : مادة نسب .

(٢) : علي ، جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٤ / ص ٣١٤ .

(٣) : لاحظ مثلاً : كتاب الأنساب ، لابي سعيد التميمي السمعاني ، (ت ٥٦٢ هـ) . نشر د . س . مرجليوت ١٩١٢ وتصوير الأوفست ، مكتبة المثنى ، بغداد ١٩٧٠ .

(٤) : علي ، جواد : المفصل في تاريخ العرب ، قبل الإسلام : ج ٤ / ص ٣٥٧ .

(٥) : اللسان : ج ٢ / ص ٦٢٩ . (٦) : المصدر السابق نفسه .



وقد ألد بعض الشعراء قيمة هذا التلازم بين النسب والحسب ،  
ليأتي منهما الخير العسيم ، والا فالنسب الكريم دون حسب يحميه يـمـح  
لثيماً ذمياً كما في قول المثلث (١) :

ومن كان ذا نسب كريم ، ولم يكن له حسب ، كان اللثيم المذلماً  
ويجئح هذا المفهوم الى السلبية المغرقة حين يدفع كثيراً ممن  
القائلين به الى التطرف بالتفاخر ، وهو التعاضم ، فيمـح هـذا  
التفاخر من أهم مظاهر الحياة الاجتماعية سلبية (٢) .

وينشغل العرب بهذا الأمر ، فيتفاخرون بالآباء والأجداد ، وبالسيادة  
والشرف ، وبالكثرة ، وبالحسب (٤) . ويجرهم هذا التفاخر الى الشطط،  
والتخلف الاجتماعي المولم ، فيحمل النزاع بين قبيلتين أو أكثر .

وقد علا هذا النبر السلبي ذات مرة في المدينة وجر الى نزاع  
بين قبيلتين من الأنصار ، بني حارث ، وبني الحارث ، فتفاخروا وتكاثروا  
فقال أحدهما : فيكم مثل فلان وفلان ، وقال الآخرون مثل ذلك .  
تفاخروا بالاحياء ، ثم قالوا انطلقوا بنا الى القبر فجعلت إحدى  
الطائفتين تقول : فيكم مثل فلان ومثل فلان ؟ يشيرون الى القبر  
وتقول : الاخرى مثل ذلك ، فأنزل الله (٥) : " الهاكم التكاثر حتى زرتم  
المقابر (٦) " .

وقد اشتهر في هذا المنحى قول للشاعر المخضرم عمرو بن معد  
يكرب الزبيدي ، يقول فيه (٧) :

ليس الجمال بمثـزـر	فاعلم وان رديت بردا
ان الجمال معاد نـ	ومقابـلـ أورثن حمدا

(١) : جرير ، ابن عبد العزى : أو عبد المسيح : من بني ضبيعة ، من ربيعة  
شاعر جاهلي من أهل البحرين . وهو خال طرفة بن العبد . الشعر  
والشعراء : ٥٢ ، وخزانة البغدادي : ج ٣ / ص ٧٣ .

(٢) : لسان العرب ، ج ٢ / ص ٦٢٩ .

(٣) : لاحظ لسان العرب مادة فخر ج ٥ / ص ٤٨ وما بعدها .

(٤) : والحسب هنا ( بالمفهوم الجاهلي ) الشرف الثابت في الآباء .

(٥) : السيوطي ، جلال الدين . أسباب النزول . ص ٢٥٦ . الطبعة الاولى  
دمشق ، بلا تاريخ .

(٦) : سرورة التكاثر ، الآية / ١

(٧) : حماسة أبي تمام : ج ١ / ص ٨١ . القاهرة ١٩٥٥ .

فعمرو - الذي أسلم فيما بعد - لا يكتفي بالمناقب ، وهي الأعمال ،  
والخصال الحميدة ، بل يصرّ على المعادن ، وهي الطوائع الشريفة  
التي يرثها الرجل عن آبائه .

وإذا كانت المناقب وجهة إيجابية ، فإن التفاضل بالمعادن فقط وجهة  
سلبية ، إذا لم يرافقتها من المناقب ما يثبت ذلك فالأصل تتبعه الفرع  
وكي تكون الفروع مثل الأصل ، يجب أن تحمّل مناقب الأصل كذلك .  
وقد بلغ من إيمانهم بالنسب أن اعتقدوا أن النسب الوضيع هو  
اللثيم كما سموه ، لا يزكّيه عمل مهما يكن حميداً . ومن هذا  
ندرك أنهم قبل الإسلام كانوا يؤمنون بأرستقراطية سرفرة تساوي  
في اسرافها الأرستقراطية الانجليزية في العصر الفكتوري ، حين كان  
الانجليز يؤمنون أن بعض الدماء زكية أو (زرقاء) بطبيعة وراثتها ، وإن من  
ولد من العامة لا يصير أبداً إلى أن يكون من الأشراف ، حتى قالوا :  
« إن الملك يستطيع أن يمنح الألقاب ولكنه لا يستطيع أن يجعل من الشخص  
العادي جنّتلمان » (١) .

وقد جعلهم هذا المفهوم متغطرسين أحياناً ، بحيث أن كثيراً منهم  
كان يعتقد الأولوية لنفسه في كل شيء ، لأنه أفضل منهم ، بل ربما  
غنى ، فجعل نفسه أفضل من كل الانوات أيضاً ، ونوعدت قبور  
هؤلاء الموتى واحداً بعد واحد ، كما جاء على لسان الشاعر الجاهلي  
عصام بن عبيد الزماني (٢) في رسالة شعرية أرسلها إلى أحد أصدقائه (٣)  
أبلغ أبا مسمع عنّي مغلغلة  
أدخلت قلبي قوماً لم يكن لهم  
لومٌ قبرٌ وقبرٌ كنت أكرمهم  
وفي العتاب حياة بين أقوامي  
في الحق أن يدخلوا الأبواب قدّامي  
ميتاً وأبعدهم من منزل السّدام  
ومن هذا ندرك أيضاً أن من أبعد الأشياء عن المحنة أن تأسب  
إلى الجاهليين أي إيمان بالديمقراطية الصحيحة .

(١) : الديهبي ، محمد : الشعر الجاهلي : ج ١ / ص ٢٢٠ الدار القومية

للطباعة والنشر . القاهرة بلا تاريخ .

(٢) : هوشاعر جاهلي مقل من بني حنيفة بن لجيم ، وزمان أحد أجداده .

(٣) : حماسة أبي تمام ج ١ / ص ٩ .

(٤) : المغلغلة : الرسالة ، ومعنى مغلغلة : محمولة من بلد  
إلى بلد .

ويجب علينا في هذا المجال، ألا نخلط بين الديمقراطية الصحيحة - وهي التي تتبع من ايمان عميق بأن الناس متساوون في قيمتهم الإنسانية وأن لكل منهم حقاً متساوياً في الحياة الكريمة - وبين التقارب في الحالة الاقتصادية الذي فرضته على معظم الجاهليين طبيعتهم العنصرية القاسية (١) .

وقد تجلت المناحي السلبية لهذا المفهوم الجاهلي كذلك في فكرة مراعاة التكافؤ في الزواج ، وهذا المفهوم هو نتيجة من نتائج فكرة النسب السلبية . فالأشراف لا يتزوجون الا من طبقة مكافئة لهم ، والسواد لا يتجاسرون على خطبة ابنة سيد قبيلة ، أو أحد الوجهاء . يعبّر السيد الشريف، إن تزوج بنتاً من سواد الناس ولا سيما، اذا كانت ابنة صائغ أو نجار أو ابنة رجل يشتغل بحرفة من الحرف اليدوية ، لأنها من حرف العبيد! ... وقد عبّر الشاعر الجاهلي عبد قيس بن خفاف البرهمي النعمان بن المذر بأمه ، لأنها كانت ابنة يهودي صائغ في قوله :

لعن الله ثم ثنى بلعن ابن ذا الصائغ الظلوم الجهول  
يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ثم لا يرزأ العدو وقتل (٢)  
ولم يكن من المستساغ عرفاً تزويج البنت الاصلية الحرّة من ابن عبد أو من حفيد عبد (٣) .

هذا المعتقد أوجد لديهم سلاحاً فعالاً في الهجاء ، فصاحوا الواحد من الشعراء اذا غضب من أقرب الناس هجاءه ، ولو كان من أهله وذويه . واذا بحث عن مطعن أو مهمز ، تذكر أنه ممن اللوماء ، أو ربما هجا قبيلته بأكلها فرآها من اللوماء ، وأن قومه لم يوتوا في لومهم من قبل أمهاتهم ، وانما أتوا من قبيل آبائهم ، وأن المرأة الكريمة منهم تتزوج الرجل المسروق النسب ، كما في هجاء عميرة بن جعل قومه بني تغلب في نزعة طيش وساعة

(١) : النجدي ، محمد : الشعر الجاهلي ج ١ / ص ٢٣٠ .

(٢) : انظر ترجمته في الاغانى : ج ٧ / ص ١٤٥ . والمرزبانى في معجم الشعراء . ص ٣٦٥ .

(٣) : الجاحظ ، الحيوان : ج ٤ / ص ٣٧٩ . القاهره طبعه عبد السلام هارون .

(٤) : يرزأ : ينقص ، والتغلب : الهبة في شق المرأة .

(٥) : علي ، جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام :

ج ٤ / ص ٦٤٠ .

سفه ، اذ يقول : (١)

فما بهم ألا يكونوا طررقاً هجاناء ولكن عفرتها فحولها  
تسرى الحاصن الغراء منهم لشارفٍ أخي سلق قد كان منه سليلها  
وقد نجم عن هذا الادعاء - في ضرره الزواج المتكافئ - على  
أساس النسب في انحرافه السلبي - الغاء فكره الزواج على  
أساس الحب المتبادل ان لم يكن تمتكافؤ بين الحبيبين على أساس  
من تلك الفكره ، وهذا ما يفسر كثيرا من قصص الحب العربية التي لم  
يعتزج أصحابها كما حدث لعنترة بن شداد ، أو لغيره من أبطال القصص  
الشرابية الكثيرة .

كذلك يستتبع من الانحراف الذي حدث في هذا المفهوم سبب  
انتشار ظاهرة الفخر التي خدّرت كثيرا من عقول القبائل العربية ،  
قديمًا وحديثًا ، حتى غدا هذا الفخر أيضًا عاملاً من عوامل التخلف  
يقاوم سنن التطور ، فلطالما دبدن العرب بمثل قول لبيد بن ربيعة  
العامري (٢) حين يتحدث عن أهله ويبراهم :

من معشر ، ستّ لهم ، آباؤهم ولكلّ قومٍ سنّة ، يومئذٍ ما  
فهذا المفهوم المتوارث ذو نظرة قاصرة تولّد في المرء اتكالية  
وضعفاً ، كما أنّه لا يملك المعاصرة ولا الأصالة في مجتمع متطور متقلّب .  
ولكي نظهر جوانب السلبية أكثر في هذا المفهوم ومن هذه الزاوية ،  
لابد من أخذ مثال عنه بعد ظهور الاسلام . فقد ظهر دوره  
في مناهضة التطور الجديد من خلال الجمود العقلي والتصلب الفكري  
فيه مع محاربة الاسلام له . فجميل بن ممر العذري (٤) أحد أولئك  
الشعراء الإسلاميين الذين يتناولون هذا المعنى بعيداً عن الروح  
الاسلامية الجديدة ، في قوله (٥) :

(١) : هو عميرة بن جعل : شاعر جاهلي ، وهو غير كعب بن جعيل وقد فسق

بينهما الأمدى في المصنف . ص ٨٣ - ٨٤ . انظر تحقيق ذلك في  
الفضليات . ص ٢٥٧ . دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤ م .

(٢) : لبيد بن ربيعة بن مالك : من المخضرمين المعمرين ، ويحد من الصحابة ،

وهو أحد أصحاب المعلقة . انظر خزائن الأدب ، للبغدادي ج ١ / ٣٧٧ - ٣٣٩

(٣) : شرح القوائد العشر ، صنعة التبريزي . ص ٢٥٧ . حلب دار الأضواء ١٩٧٣

(٤) : جميل بن عبد الله بن ممر العذري : من عشاق العرب ، أكثر في السب

والغزل والفخر . ت ٨٢٠ هـ ابن خلكان ج ١ / ١١٥ .

(٥) : حماسة أبي تمام ج ١ / ص ١٧٣ - ١٧٤ .

أَبُوكَ حُبَابُ سَارِقِ الضَّيْفِ بُرْدُهُ      وَجَدِّي يَا حَجَّاجَ فَارِسُ شَمْرَا (١)  
 بَنُو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ يَكُن      لَا بَاءَ مَدَقٍ يَلْقَهُمْ حَيْثُ سَمَرَا  
 فهي القصيدة الجاهلية نفسها وإن كان الشاعر في شطره الأول قد  
 استبدل بالشرف والمجد كلمة إسلامية كما في البيت الثاني (الملاح)  
 ولعل هذا المفهوم السلبي مازال حتى اليوم من أكبر العوائق  
 التي تحول دون اجتماع رأسين على وساده واحدة • وما زال يخر كثير  
 في جسم المجتمع العربي المعاصر • فجمع من الناس يحتقر جمعا  
 آخره وفرد منهم قد يحتقر فردا آخر على الرغم من العسب  
 العظيم الظاهر في حسن فعالهم ، فيزدرونهم لانهم - وبزعمهم -  
 لا يملكون النسب الرفيع ! .....  
 ومثل هذا الامر يعاني منه كثيرا في الجزيرة الفراتية  
 من البلاد الشامية حتى أيامنا هذه •

(١) : أصله سارق برد الضيف •

## العصبية القبلية :

=====

العصبية هي : " النصر على ذوى القربى ، وأهل الأرحام ، أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكا (١) .

والعصبية القبلية على هيئتها الجاهلية هي أساس النظام القبلي ، وهي تعم العرب كلهم حضراً ، وبدوا ، وكما ظهر معنا في بداية مناقشة مفهوم " النسب " فإن العصبية القبلية ذات حدّين ، فهي ظاهرة إيجابية في الحياة الاجتماعية العربية حين يكون المقصود بها نصر ذوى القربى حقاً ؛ ذلك لأن الظروف التاريخية ، والبيئة العربية الصحراوية ، والمجتمع العربي من الطار قبلي ، كل هذه الأمور جعلت العصبية القبلية من هذا الجانب ظاهرة نافعة وضرورية للمجتمع .

ولكن هذا المفهوم يصبح له جانب آخر مقيت وموثر حين يتخذ منه الشعراء مواقف موحدة ، في أوقات ، أو حالات تقتضي من الشعراء أصحاب العقل والاعتزان ، ودقّة الشعور ضرورة التغيير على مبدأ لكل حادث حديث ولكل عصر مواقف جديدة تقابل المفاهيم الجديدة ، والمفاهيم القديمة المتطورة . ولكن التغيير لم يكن يحدث في كثير من الأمور وعلى العكس ظل مفهومه أنه " ليس من العصبية والأخوة القبلية أن تسأل أحاك عما وقع له ، عليك تلبية نداءه ، وتقديم العون له ، معتدياً كان أم معتدى عليه (٢) " وقد افتخر الشعراء بتلبية النداء ، وابعاد السوء ، كما في قول الشاعر القريط بن أئيف (٢) :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرْ أَيْ نَاجَذِيهِ لَهُم طَارُوا إِلَيْهِ زَرَاقَاتٍ وَوَحْدَانَا  
لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ بَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بَرْهَانُ  
إن هذا التسكّ منعه خارجي ، فكأن الظروف الطبيعية المحيطة بكل قبيلة تدفعها من جميع الجهات فتتكش على نفسها ، ولو أنها أهملت فسرّدا من أفرادها تعرض لشر عصابة أو قبيلة ، ونجا ، لعمله على تجنب قبيلته والابتعاد عنها ونبذها . وتكرار هذا إنما يعني فرط عقد القبيلة السّتي

(١) انظر لسان العرب : مادة " عصب "

(٢) : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام . د . جواد علي : ج ٥ / ٣٣٤

(٣) : شرح الحماسة للتبريزي - ج ١ / ص ١٨ - ١٩ . طبعة القاهرة ١٩٥٥

كانت تمثل الوحدة الأساسية للمجتمع العربي في الجاهلية ، وإذا حدث هذا فلمن للقبيلة إلا الهجاء المُسرَّ المتشَّمل بالتمني خلاصاً من مورثاتها وانتساباً إلى قبيلة أخرى تمنع أفرادها أن يُستباحوا ، وتكون الفضيحة حتى في أحسن الظروف ، كما قال قريظ بن أنيف نفسه (١) :

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبح إيلي بنو اللقيطة من ذُهلٍ بن شياننا  
ويصبح من الصَّحْم على الفرد أن يبقى ضمن إطار قبيلته لأسباب معنوية ومادية ،  
فالجانب المعنوي يعطيه صفة قتالية شجاعة ، فيصبح لاصفاً بها ، حتى إذا انصرف  
عنها قليلاً ، فاضطر إلى الدفاع عن نفسه كما فعل طرفة بن العبد :  
ولستُ بحلالٍ التلاع بمخافةً ولكن متى يسترُفد القومُ أُرُفد (٢)  
ويعود مردود الجانب الطاري على القبيلة فتبدو متماسكة قوية تهابها القبائل  
الأخرى .

وقد كان يُخشى من حركة المعاليك لسبب آخر غير سيفها ، والخشية  
في كونها قد تصبح بديلاً حياً عن الوضع القبلي ، الذي لم تكن الأمة  
على جانب من التطور بحيث تتخلى عنه ، مع أن واقع الحال يثبت استتتاً جلياً  
مفاده أن الخيوط الرابطة تبين أفراد القبيلة أقواها خيط المصلحة الاجتماعية  
والاقتصادية في صحراء لا سرعة فيها ولا قانون ، ثم أصبحت قابلاً دموياً فيما  
بعد . مع ذلك فلو أُتيح لحركة المعاليك أن تجد قبلاً شعبياً أفقياً  
وعمودياً ، لحلت حل العصبية القبلية . . . .

وهذا الاندماج الكامل لشخص الشاعر فهي هيكل القبيلة أسرع مقبول ،  
أدَّى إلى اختلال في فكر الشعراء ، مما جعل العاقل النامي منهم  
يتبع جاهل القوم : تحت ضغط الاعراف والتقاليد ، وقد يملك رأياً ينقد به  
القبيلة لو حطمها عليه ، لكنه يسير في إطار التبعية حيث الغي والرشد  
مرتبطان بالعشيرة ؛ قال دريد بن الصمة (٣) :

أمرتهم أمري بمنعرج اللّسوى فلم يستبينوا الرّشد إلا ضحى الغد  
فلما عضوني كنتُ منهم وقد أرى غوايتهم وأنني غيرُ مهتد  
وما أنا إلا من غزيرة إن غوت غويت وإن ترشد غزيرة أرشد

(١) المصدر السابق ج ١ / ص ١٧ وقريظ هذا هو أحد بني الضبر ،

وبعضهم قال أنه إسلامي .

(٢) : شرح القوائد العشر ، صنعة التبريزي ، ص / ١٢٥ - حلب ، دار الأضيء

طبعة : ١٩٧٣ .

(٣) : الأضيءات : ص / ١٠٧ .





أصحاب البيان والرأى في القبيلة أو في غيرها مشار فخر ، إذا غابَ عن  
المرء وجه الرأى الصحيح ، يقول سعية بن الخريص :  
إذا ما يَهْتَدِي حلمي كَفَانِي      وأسألُ ذا البيان إذا عَيَّتُ  
فهو لا يستكف عن استشارة غيره إذا غاب عنه الوجه الصحيح ، كما أنسه  
يفخر باعانة قومه وينصرهم .

وهو لا يسير إلى نهاية الأمر تعصبا ، ويعذرهم على بعض تصرفاتهم ،  
فلا يلومهم في وقتهم بوجه الدهر وأحداثه ، ويرى المجد والعزة في ثوب  
المغامرة . ويصل إلى الإيجابية المطلوبة منه ، مما يدل على تطور فسي وعيه  
جعل له يدرك قضايا السوء والخير ، فيفخر لمفارقة السوء ، ويخالف هوى النفس  
إذا بان له الضرر ، يقول :  
(٢)

ولا ألحى على الحدثان قومي      على الحدثان ما تبني البيوت (٣)  
أيا سر معشري في كل أمر      بأسر ما رأيت وما أرييت  
وداري في محلهم ونصري      إذا نزل الألد الستيميت (٤)  
وأجتنب المقاذع حيث كانت      وأترك ما هويت لما خشيت (٥)

وأحيانا لا يكاد المرء يتبين وجهها للمسألة ، وهنا يأتي دور المحاكمة  
الفكرية ، فإذا حدث أن قتلت القبيلة أحد أفرادها ، فما هو موقف الشاعر  
في القبيلة ذاتها ، أو موقف أهل القتل ، وربما كان الشاعر فيهم ؟  
لم يكن في المسألة بت ، فبعضهم يفجع بقتل أخيه ، ولا ينتقم له ، فإذا  
انتقم له عاد ضرر ذلك عليه ، لأن الرجل بعشيرته ، وإذا صفح وعفا فهو خير  
له ، فالانتقام من عشيرته يوهن عظمته ويضعف قومه . ثم عوضا عن متابعة طلب  
الشار الذي يستدي بدوره شأرا آخر تنتهي القضية بالوصول إلى حل يقبول (ثم  
الدم ) فيقبل المنتقم ذلك على كره منه لأن شرفه قد مُس ، ولكن المداخلات  
التي أملاها الحسن السليم ، ومراعاة المصالح تتغلب على وساوسه فيرضخ  
للأمر الواقع بعد (٦) مساومات . وفي هذا يقول الحارث بن وعلة الجرمي (٧)

(١) : الأصمعيات . ص ٨٣ / الطبعة الثانية . القاهرة ١٩٦١ . وسعية شاعر  
متقدم وهو أخو السموءل .

(٢) : المصدر السابق نفسه .

(٣) : لا ألحى : لا ألوم . الحدثان . نوب الدهر وحوادثه .

(٤) : الألد : الخصم الجدل الشحيح الذي لا ينيغ إلى الحق .

(٥) : المقاذع : من القذع ، وهو الفحش من الكلام الذي يقبح ذكره .

(٦) : تاريخ الأدب العربي : رسلان شميم . ج ١ / ٢٩ . دمشق ١٩٦٤ منشورات  
وزارة الثقافة .

(٧) : شاعر جاهلي من فرسان قضاة ، وهو غير الحارث بن وعلة الشيباني .

وقد قتل قومه أخاه : (١)

فَإِذَا رَمَيْتُ يَصِيْبِي سَهْمِي  
وَلَيْسَ سَطَوْتُ لَأَوْهَنَ عَطْمِي

قَوِي هُمْ قَتَلُوا أُمِيمَ أَخِي  
فَلَيْسَ عَفَوْتُ لَأَعْفُونَ جَلًّا

وربما تبادر إلى الذهن أن الخوف كان حائلاً دون الانتقام ، ولا يستبعد ذلك ، ورغم أنه حول الكلام من الأخبار إلى الخطاب فإنه قد أجرى محاكاة عقلية في ذهنه تنم عن ادراكه للبيئة والمعاداة والتقاليد التي حوله .

لكن جلاء الامر في اطار من الايجابية يظهر في حادثة قتل اقرب كما في قول اعرابي قتل أخوه الجباً له (٢)

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسًا وَتَعَزُّيَةً  
أَحْدَى يَدِي أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرْ (٣)  
كِلَاهُمَا خَلْفٌ مِنْ قَدِّ صَاحِبِهِ  
هَذَا أَخِي هَبْنِ ادْعُوهُ وَذَا وَلَدِي  
يُثَبِّتُ الشَّاعِرُ فِي إِجَابِيَّةٍ فِيهَا تَعَقُّلٌ وَاتِّزَانٌ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْإِخْوَانِ الْوَاسِعِ  
وَالابْنِ الْمَفْقُودِ يَصْلَحُ لِأَنْ يَكُونَ عَوْهًا مِنْ فَقْدَانِ الْآخِرِ ، فَيُطْفِئُ ، وَلِهَيْبِ الْقَلْبِ  
عَلَى الْوَلَدِ الْمَقْتُولِ بِهَذَا الْفِكْرِ الْمَقْلُوبِ بِالشَّعْرِ ، مَدْرَكًا أَنَّ الْاِقْتِصَاصَ مِنْ  
أَخِيهِ يَضَعُفُ مَرْكَزُهُ فِي الْقَبِيلَةِ فَيَكْتَفِي بِمَصِيَّةٍ وَاحِدَةٍ .

ومع كثرة النصوص الجاهلية التي تصرر التعصب القبلي بأنواعه المختلفة والتي ترفد نهر العصبية الكبير ، فإن هناك مواقف أخرى للشعراء من قبائلهم لا تأتي على شاكلة التعصب ، وإن هي إلا شكل من أشكال الأنفاسة والعزة . وهذه من السمات الإيجابية الموقفة التي جاءت في الشعر الجاهلي . فقتل خادم ، أحد أثرياء قبيلة ( خزيمه ) العربية ، يشير نخوة سيده فينتقم من القتل مع أنهم أولاد عمه ، ويفارق أهله من أجلهم .

أنفة فيها بسط الحماية على الخدم والموالي . ولو أدى الأمر إلى فراق القبيلة التي تصبح غادرة باغية كما في قول طرفة الخزيمي (٤) :

أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغَسْنِ  
بَنِي فَقَّسْ قَوْلَ لِمَرَى نَاحِلِ الصَّدْرِ (٥)  
فَوَاللَّهِ مَا فَارَقْتُكُمْ عَنْ كَشَّاحَةٍ  
وَلَا طِيبَ نَفْسٍ عَنْكُمْ آخِرَ الدَّهْرِ (٦)

(١) : حماسة أبي تمام ، شرح التبريزي : ج ١ / ص ١٠٠ . القاهرة ١٩٥٥ .  
وأُمِيم . مرهم . أسيمة .

(٢) : المصدر السابق نفسه . والرغم ، هو الإذلال .

(٣) : التأسف : ما يؤتسى به من الحزن ، والتعزية : حسن البصر . فهو يطلب التأسي وحسن البصر .

(٤) : شاعر جاهلي من بني خزيمه بن رواحة بن ربيعة .

(٥) : ناحل الصدر : صافي القلب غير منافق .

(٦) : عن كشاحه : أي عن عداوة .

ولكنني كنتُ أمراً من قبيلِة

بَغْتِ وَأَتَتْنِي بِالنَّطَالِيمِ وَالْفَخْرِ

فإني لشرّ الناس إن لم أتبهّم

على آلة حَدْبَاءَ نَائِيَةِ الظَّهِيرِ (١)

ولكن دافع الأنفة مصلحة شخصية دفعت له ليأخذ بشأره . ويبقى أن نلاحظ

ضمنيا موافقة الطبقة الغنية المتحكمة برقاب العبيد على تصرف طرفه وأمثاله .

ويصبح للسائلة طرف آخر حين نتذكر أن دفاع الاغنياء والمالكين عن عبيدهم

يصرّف الطاقة الثورية لدى هؤلاء العبيد ، وهذا نوع من علم النفس الدعائي

يعرفه البدوي بفطرته .

وهكذا فالعصبية القبلية في الجاهلية ظاهرة فيها أخذ وعطاء بين السلبية

والإيجابية ، وربما اتصل السالب فيها بالموجب أحيانا فتكون الاضاعة المقبولة .

وأكثر السلبي نجده عند شعراء القبائل التي كانت مشغولة بالحروب دائما .

وقد كانت قانونا تتوارثه أجيال الجاهليين . وعلى العموم فقد كان

هذا القانون المحرّوي نفسه موضع التنفيذ أيضا في مدن الحجاز : الطائف ،

ومكة ، والمدينة (٢) .

كما تلخص قوانين العرف المشربة بالإيجابية ، بنسأ الغرض منها جعل الحياة

ممكنة في الصحراء ، وذلك بالحد من اندفاعات كل فرد من الأفراد ، فشكل

نسب قصاص ، ويكفي وجود القوة لتطبيق هذا القصاص ، ومن هنا تظهر

قاعدة الشأر المشوؤم بعد ذاته بما يثيره من أحقاد (٣) .

(١) : حماسة أبي تمام : شرح التبريزي : ج ١ / ص ٢٣٠ . القاهرة ١٩٥٥

(٢) : تاريخ الشعوب الإسلامية : بروكلمان : ص ١٩ - ٢٠ / الطبعة

الرابعة . بيروت ١٩٦٥ م .

(٣) : تاريخ الأدب العربي . ر بلاشير ج ١ / ص ٤٨ - ٤٩ /

وزارة الثقافة السورية ١٩٦٤ م .

## شعر التحريض :

=====

التحريض على القتال ه هو الحث والإحماء عليه ه وهو الحرض  
 فإذا كان القتال في سبيل أرض أو أخلاق أو اقتصاد ه أو لرد عدوان ه  
 فهو الايجابي المقبول ه وإذا كان لغير ذلك فهو السلبي المذموم ه  
 وسوف نرى أن التحريض أشكال متنوعة مختلفة ه

كان الشعر في بعضه - يستنفر الملوك ه ويحرضهم على  
 القتال ه فقد يستنفر ملكا على احدى القبائل قتالا وتحريضا لعداوة  
 موثقة في صدر شاعر ه أو يستنفر قبيله ويحرضها على أخرى ه أو فردا  
 يحرضه على آخر فيقتله ه ثم تبدأ سلسلة الأخذ بالثأر ويكون سبب  
 هذا القتال والعداوة والبغضاء شاعرا منرضاً متخذاً المواقف السلبية  
 المؤلمة التي تلحق بجسم الأمة ه

(١) فمن باب تحريض الملك على القبائل ما فعله أوس بن حجر ه فقد  
 أغرى النعمان بن المنذر بني حنيفة لأن شمر بن عمرو السحيمي  
 قتل المنذر ه وهو حينئذ مع الحارث بن أبي شمر الغساني ه  
 فقال :

بَيْتُ أَنْ بَنِي حَنْفِيَّةً أَدْخَلُوا      أَبْيَا تَهْمُ تَامُورَ قَلْبِ الْمُنْذِرِ  
 فغزاهم النعمان ه وقتل فيهم وسبي ه وأحرق نخلهم ه فشمر بن عمرو  
 السحيمي أحد أفراد بني حنيفة ه يستشف من روح المرقف أن عداً  
 مستحكما اشتد بين بني تهم وبني حنيفة ه كما يظهر أن قبيلة حنيفة  
 عظمت بمكانة مرقفة عند النعمان ه وهذا يفرلها المراعي الخصبة  
 لمواشيها التي تشكل عنصرا رئيسيا في حياتها الاقتصادية ه لذا يرى  
 التحريض ينصب على التذكير بمقتل المنذر ه فيدفع ابنه النعمان بشوة  
 غاضبة ه فيقتل منهم ويسبي من نسايتهم ه ويحرق نخلهم ه ولا شك أن  
 احراق النخل انتقام اقتصادي واجراء مهم ضد بني حنيفة بسبب  
 اشتراكهم مع الحارث بن أبي شمر الغساني في مقتل المنذر ه

(١) ٤ أوس بن حجر بن مالك التميمي ه شاعر تميم في الجاهلية ه لم يدرك الاسلام

ترفي ٦٢٠ م انظر فيه الاعلام ، ج ١ / ص ٣٧٤ ه

(٢) : القيرواني ه ابن رشيقة العدة : ج ١ / ص ٦٢ ه وفيه أيضا وقال ابن

جني انما قتل ابن النعمان ه ويقال انما اغرى بهم عمرو بن هند ه

وقد يحرض الشعر ملكا على فرد ، فيؤدّي الى قتال مريض  
يذهب بقوة القبائل الاجتماعية والبشرية والاقتصادية كما كان يحدث في  
أيام العرب ، ولا سيما في يوم (أواره الثاني) .  
فقد ترك عمرو بن المنذر اللخمي ابنا له اسمه أسعد عند  
زرارة بن عدس التميمي . فلما ترعرع مرت به ناقة سمينة فعبيت  
بها ، فرمى ضرعها ، فشده عليه ربها سويد أحد بني عبد الله  
ابن دارم التميمي فقتله وهرب . فلحق بمكة فحالف قريشا . وكان  
عمرو بن المنذر غزا قبل ذلك ومعه زرارة فأخفق ، فلما كان حياال جبلي  
طي قال له زرارة :

أي ملك اذا غزا لم يرجع ولم يصب ، فحلّ على طي ، فانك بحياالها  
فما إلههم فأسر وقتل وغنم ، فكانت في صدور طي على زرارة ،  
فلما قتل سويد أسعد وزرارة يومئذ عند عمرو ، قال له عمرو بم لقط  
الطائي (١) يحرض عمرا على زرارة :

من مبلغ عمر أبان المرء لم يخلق صباراً  
ها إن عجرة أمهم بالسفح أسفل من أواره  
فاقتتل زرارة لأرى في القوم أوفى من زرارة  
فقال عمرو :

يا زرارة ماتقول ؟ قال : كذبت ، قد علمت عداوتهم فيك .  
قال : صدقت . فلما جن الليل هرب زرارة الى قومه فمالق الكفه  
ببني تميم الذين حرضوا النعمان على بني حنيفه ، وقد أبتدأ مأ  
كبيرهم عمرو فحث الملك عمرو بن المنذر على غزو طي ، فكانت تتحيز  
الفرقة لتتقم لنفسها .

ولاشك أن الطائيين كانوا قادرين على محاربة التميميين ولكن حماية  
الملك لهم كانت تمنعهم من تحقيق هدفهم ، فكان لا بد من وضع هذا  
الأسفين بينه وبينهم . وهذا الشعر يحل محل الحرب الباردة  
في إلام العصر الحديث .

(١) : انظر الكامل في التاريخ ، عز الدين بن الاثير : ج ٣ ، ص ٥٥٣ . بيروت

عام ١٩٦٥ م

(٢) : المصدر السابق نفسه .

وهناك شعر شبيه بالتحريض وهو بالتحريض !! . . . لأن ظالمه  
معتدي عليه ومهدد ، فيدافع عن نفسه وينتصر ويشفي من الظالم لهوي  
صرحه .

(١) خرج الحارث بن أبي شعر الغساني ، ملك غسان بالشام فمر بأفريق  
من تغلب فلم يستقبلوه ، وركب كلثوم بن عمرو التغلبي ، فلقيه  
فقال له : ما منع قومك أن يتلقوني ؟ فقال : لم يعلموا بمرورك .  
فقال : لئن رجعت لا غزوتهم غزوه تتركهم أيقاظا لقدومي . وهدد  
كثيرا . ولما عاد غزا بني تغلب ، فاقتتلوا واشتد القتال بينهم ثم  
انهزم الحارث ونو غسان ، وقتل أخو الحارث في عدد كثير ، فقال  
عمرو بن كلثوم : (٢)

هلا عطفت على أخيك إذا دعا بالكل ويل أبيك يا ابن أبي شعر  
فدق الذي جثت نفسك (مترف) فيها أخاك وعامر بن أبي حجر (٤)  
إنه التشفي من الظالم ورد الاعتداء وإسلامه بذكر من قتل من  
أصحابه ، وهو يستحق ذلك لأنه جلب الشر على قومه .

والشعر الذي كان ينمي الفتنة بين القبائل نوع من أنواع شعر التحريض  
وهو ظاهرة سلبية نراها في الحياة الاجتماعية الجاهلية . فمثل هذا  
الشعر كان عاملا رئيسا في المحافظة على نار الحرب مشتعلة يذكي  
من جذوتها وحميمها ، ويعيق الإحسان بالحقد والكراهية .

ولعل كثرة هذا الشعر هي التي عملت على كثرة أيام العرب  
وشعر تلك الأيام حافل بالمعاني والمواقف السلبية التي تقصدها ، فلكل  
يوم من أيامهم قصة وراءها شعر التحريض الذي يمثل فخرا ومزا  
للمتصربين ، ومغارا وذلا للمهزمين ، ويدور على الألسنة فيكون خطبا جذلا  
تحت جفان الحروب الداخلية ، فيفتت عضد الأمة ويضعفها .

إنه ليس من غايتنا الوقوف عند أيام العرب وعند شعر أيامهم  
كله ، فهذا أمر يطول ذكره ، وفي كثير من الكتب ما يثني عليه .

(١) : أفريق ، جمع فريق أقسام وقبائل .

(٢) : هو والد الشاعر الجاهلي المشهور عمرو بن كلثوم .

(٣) : هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي ، شاعر جاهلي من الطبقة  
الأولى . أشهر شعره معلقته . مات نحو ٤٠ قبل الهجرة .

الموافق ٥٨٤ م انظر الأغاني طبعه دار الكتب ج ١١ / ص ٥٢ .

(٤) : ابن الأثير ، عز الدين الكامل في التاريخ : ج ١ / ص ٥٤٠ . بيروت ١٩٦٥

ولكننا نأخذ عينه على ما ثبتته في هذه الظاهره ونترك شأن أيام  
العرب ، لمن أراد أن يعود اليها .<sup>(١)</sup>

تطاحن العرب في يوم يقال له : " يوم النصار " . وميرت  
سنة كاملة من الحرب الباردة ثم التقى المتقاتلون في يوم النصار مرة  
أخرى بفعل تلك الحرب في موضع يقال له : " الجفار " ، فقتل  
خلق كثير وكشف القتال عن صبر تميم وعامر ، لكن هذا الصبر لم يكن  
حائلاً دون الهزيمة ، فأكثر بشر بن أبي خازم الأسد على بني تميم  
فقتل له : مالك ولتسيم رهم أقرب الناس منك أرحاساً ؟ ، فقال :  
إذا فرغت منهم فرغت من الناس ولم يبق أحد . وتشفى بتقليم ، فقال :  
غضبت تميم أن تقتل عامراً ، يوم النصار فأعقبوا بالميلان<sup>(٢)</sup>  
وتسير القصيدة في تعميق الشقاق والحث على متابعة القتال ، وكأنه يعطي  
ابني تميم مبررات ومسوغات كثيرة لتعد جموعاً جديدة للقتال .

وفيها يخاطب تميماً وعامراً ويعيرهما بما لحق بهما من ذل وفشل ،  
ثم يشير إلى فرار رأس تميم في يوم " النصار " حاجب بن زارة ،  
إلى سقوط راية بني تميم ، وعلو راية بني أسد عليها ، ويفتخر بقومه  
إذا يقول :

سائل تميماً في الحروب وعامراً	وهل المجرب مثل من لم يعلم
غضبت تميم أن تقتل عامراً	يوم النصار فأعقبوا بالميلان <sup>(٣)</sup>
ورأوا عقابهم المدلة أصبحت <sup>(٤)</sup>	نبتت بأفصح ذي مخالف جهضم <sup>(٥)</sup>
وتناول بني تميم وكلابا ولم ينس	كعباً ، فأشأنهم جميعاً في قوله :
وبني تميم قد لقينا منهم	خيلاً تضب لثاتها للمفتن <sup>(٦)</sup>
ولقد خبطن بني كلاب خبطة	الصقنهم بدعائهم المتخني <sup>(٧)</sup>
وملقن كعباً قبل ذلك صلقة	بقسا تعاورة الأكف مقصوم <sup>(٨)</sup>
حتى سقيناها بكأس ممررة	مروهة خسواتها كالعلق <sup>(٩)</sup>

كان عليه أن يطيل الحديث عن نهاية المعتدي الأثيم ، لأن يصور

- (١) : انظر في تاريخ ، ج ١ ، ص ٦٢٠ ، بيروت ١٩٦٥  
واظر : أيام في المأهنة . جاد المولى ، الجاوي ، أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٤٠ م  
(٢) : الصيلم : هو يوم الجفار ، وإنما لقب به لكثرة من قتل فيه  
(٣) : النصار : أجبل تجارة ، وعندها كانت الوقعة .  
(٤) : العقاب : الراية التي يقاتلون تحتها . قال المرزوقي : كانت راية  
بني تميم على صورة عقاب وراية بني أسد على صورة الأسد .  
(٥) : المدله : التي أصحابها مدلون بجمعهم .  
(٦) : بأفصح : يعني بأسد فيه حمرة وبياض ، إشارة إلى راية بني أسد .  
(٧) : الجهضم القوي الشديد .  
(٨) : الكامل في التاريخ : ٢٤٠/١٤٠ ، بيروت ١٩٦٥ م .

ما قد يجلب لقومه البلاء ، ويعزز عند أعدائه حب الانتقام ولا اعتداء  
فمثل هذا الشعر وسيلة اعلامية تشين قائله وتعترف بعدوانيته وتديسه  
في مجتمع جبل على المحافظه على المروءة والكرامة وحسب الذات .  
وأحيانا يأتي التحريض من فرد يمثل قبيلة ، يحرض ملكا على فرد يمثل  
قبيلة أخرى بدافع الحسوة والتنافس على المكانة المقربة من الملك .  
ولاشك أن وراء هذه المكانة دوافع كثيرة في طبيعتها الاحوال الاقتصادية  
والمنافع المادية . كما في الحادثة التالية :

اقتري لبيد بن ربيعة العامري على الربيع بن زياد عند النعمان (٢)  
فتأثر العباسيون بهذا الافتراء وتدست مكانتهم ، وضائق أحوالهم . وسبب  
ذلك أن الربيع كان يتادم النعمان ويهون من شأن بني عامر عنده ،  
فدفعت بنو عامر شاعرها الشاب لبيد بن ربيعة فهجاه في حضرة  
النعمان واصفاً إياه بالبرص (٣) ، وتوجّه بكلامه الى النعمان قائلاً (٤) :

مَهْلًا أَبَيْتَ اللَّعْنَ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ  
إِنَّهُ اسْتَه مِنْ بَرَصٍ مَلَّعَهُ  
إِنَّهُ يَدْخُلُ فِيهَا أَصْبَعُهُ  
يَدْخُلُهَا حَتَّى يَبْوَاري أَشَّ جَعَهُ  
كَأَنَّهُ يَطْلُبُ شَيْئًا أَوْدَعَهُ

فسخط النعمان وفر من الربيع وقال له : أكن ذلك أنت ؟ (٥)

فقال : كذب ابن الحمقى اللثيم ، فقال النعمان :  
قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنَّ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا فما اعتذارك من قول إذا قيل

(١) : الربيع بن زياد العبسي : أحد دهاة العرب وشعائهم . وكان يقال له  
الكامل ارتحل عن النعمان الى عيس وحضر حرب داحس والغبراء . الاعلام  
ج ٣ / ص ٣٨ .

(٢) : النعمان بن المنذر ، أبو قابوس : من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية قتله  
كسرى نحو (١٥ ق ٥٠ هـ) . الاعلام ج ١ / ص ١٠ .

(٣) : من أغرب ما جاء عن البرص ، اغتار بعض العرب به . انظر الاوائل لابي  
هلال العسكري . ج ١ / ص ٩٨ . على أن بعض العرب تتبرك  
بالبرص وتمدحه . . .

(٤) : أمالي المرتضى : ج ١ / ص ١٢٧ . دار السعادة ، بيروت .

(٥) : المصدر السابق نفسه .



ثم أمره بالانصراف إلى أهله ، واشتعلت نار الفتنة بين القبيلتين بسبب هذا الشعر ، وهو لاشك إيجابي بالنسبة لبني عامر ، سلبي عامس ، لبني عيس ، لكنه سلبي بالنسب للحركة الفكرية العربية عامة وللخط الذي نتجه في هذا البحث . وكفاء سلبيه أنه أشعل نار الحرب بين العامرين والعيسيين مدة طويلة راح ضحيتها مئات من العرب ، وكثير من المقدرات الاقتصادية والاجتماعية .

وقد اعتمد على التشخيص العسي فصور مشهدا مفرا جعل الملك يرفض جلوسه معه . كما صور هذا الشعر نشر المجتمع الجاهلي من البرص ، الذي لا يزال المجتمع العربي ينفر منه اليوم ؛ لكن ربما كان في الجاهلية دليل دعس لعدم وجود الوعي العلمي والمعرفة الطبية ، على حين أن الطب الحديث يعرفه مرضا يصيب الدم فيظهر على الجلد .

ومن الشعر ما يكون تهديدا وتلويعا قريبا من التحريض . فقد يكون اختلاف الخلق بين فردين قريبين دافعا لأحدهما للقول ، وبيان السلبيات التي تضر بالقرابة فتفسدها وينتهي الأمر إلى التشهير والفتنة والعداء ، ومن ثمة الحرب والقتال ، كما في قول ذي الأصبع العَدَوَّاني (١) :

لِي ابْنُ عَمٍّ عَلَيَّ مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ	مُخْتَلَفَانِ فَأَقْلَبُهُ وَيَقَالِيَنِي (٢)
أَزْرَى بِنَا أَنَّنَا شَالَتْ تَعَامُنَا (٣)	فَخَالَنِي دُونَهُ وَخَلَّتُهُ دُونِي (٤)
يَا عَمْرُو! لَا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَمَتِي	أَضْرَبُكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةُ اسْقَوْنِي (٥)
عَنِّي إِلَيْكَ فَمَا أُمِّي بِرَاعِيَةٍ	تَرَعَى الْمَخَاضِ ، وَمَا رَأْيِي بِمَقْبُونِي (٦)
وَأَنْتُمْ مَعْشَرُ زَيْدٍ عَلَى مَائَةٍ	فَاَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ كَلَّا فَكَيْدُونِي (٧)
لَوْ تَشْرَبُونَ دَمِي لَمْ يَرَوْا شَارِكِي	وَلَا دَمًا كُمْ جَمْعًا تَسْرَبُونِي

(١) : اسمه حرثان ، وسمي ذا الأصبع لأن حية نهشت إبهام قدمه ، فقطعها ، وقيل لأنه كان له في رجله أصبع زائدة . وهو من قبيلة عدوان التي تنتهي إلى قيس عيلان . شاعر فارس . الفضليات / ص ١٦٠ .

(٢) : يقليني : يبغضني .

(٣) : شالت تعامتنا : تفرق أمرنا واختلنا .

(٤) : الهامة الرأس . يقال : إن الرجل إذا قتل فلم يدرك بثأره خرجت هامة من قبره فلا تزال تصيح اسقوني اسقوني حتى يقتل قاتله .

(٥) : براعية : أي لست ابن أمة . وقد عرّضه ، لأنه ابن أمة وهذا زيادة في السلبية . الفكرية .

(٦) : زَيْدٌ و زَيْدٌ : بالفتح والكسر ، زيادة .

لَا يُخْرِجُ الْكَرَّ (١) مِنِّي غَيْرَ مَأْبِيَّةٍ وَلَا الْيَنُّ لِمَنْ لَا يَبْتَغِي لِي (٢)

هذه القصيدة توقفنا على الحقيقة القبلية ، فالعلاقات داخل القبيلة ليست قائمة على التأييد والتضامن دائماً . وهذا أقرب الى الحقائق الاجتماعية في كل العصور . فإبنا العم هنا يعيشان أعلى درجات البخاء والحق . وقد اختلفا اختلافاً فينا لدرجه جعلت ذا الامبع يحكيه شعرا فيبذره بالضرب حتى الموت ويعرض به فيكشف لنا عن ازدراء الجاهليين لأبناء الإماء ، ويرتفع مد العداء كأساً ترتوي به الأنفس .

وتخرج الهداوة من اطار النزعة الفردية أحياناً ، لا تنتشر في اطار جماعي موزن . كأن يحط شاعر قبيلة ما ، من شأن كثير من القبائل مجتمعة فيؤسب تلك القبائل على قومه . وأحياناً يفخر بقومه وشدة بأسهم في الحرب على حساب قوم آخرين ، يطعن بهم ويشك في قدرتهم ، مما يولد لديهم حب الانتقام بدافع تكذيبه وبيان زيف قوله ، فيكون أراد شيئاً ، ولكنه حصد شيئاً آخر غير الذي أراده ، وجلب الدمار على قبيلته .

ذهب ربيعة بن مقروم (٣) الى مثل هذا فذكر كثيراً من أيام العرب ، كأيام بزاخة ، والنسار ، والطخفة ، والكلاب ، وذات السليم (٤) واقتصر بانتصار قومه على هوازن ومذحج ، فقصده الحط من شأنهم والرفعة من شأن قومه ، فقال (٥) :

فدع بَزَاخَةَ أَهْلِي لِهَيْمِ إِذَا مَلَأُوا بِالْجُمُوعِ الْحَزِيمَ (٦)  
وَإِذَا لَقِيتَ عَامِرُ النَّسَّارِ مِنْهُمْ وَطَخْفَةَ يَوْمًا غَشُومًا

(١) : الكر : الإكراه . والمأبئة : الإباء .

(٢) : الفضليات : ص ١٦٠ - دار المعارف - القاهرة ١٩٦٤ .

(٣) : ربيعة بن مقروم : شاعر مخضرم ، من شعراء عصره ، أسلم وشهد القادسيه وغيرها . أنظر أخباره في الإصابة : ج ٢ ص / ٢٢٠ .

(٤) : انظر ابن الأثير ، عز الدين الكامل في التاريخ ج ١ / ص / ١١٢ - ٦٤٩ .

(٥) : الفضليات : ص ١٨٢ . دار المعارف - القاهرة ١٩٦٤ .

(٦) : بَزَاخَةُ : موضع . وَالْحَزِيم : السلب من الأرض .

به شاطروا الحيّ أموالهم      هوازن ذا وفرها والعنديما (١)  
وساقت لنا مذحج بالكلاب      مواليتها كلها والضم (٢)  
فدارت رحانا بفرسانيهم      فعادوا كأن لم يكونوا ميثما

ولا شك أن هذا الشعر يخفف من الانتماء القومي العفوي . وأنه يصعد احساس الشعراء من القبائل الأخرى بضرورة الرد والدفاع مما يقوى تيار التحريض والتفرقة أيضا .

وقد أصبح مجموع هذا الشعر تراثاً سلبياً للعرب المعاصرين ، فخلافتهم الممتدة على طول الوطن وعرضه ، ترتكز على قاعدة من قواعد التراث وهي سلبية وحقيقة علمية تؤكد لها كتب علم النفس الإفرادي والجماعي . ومجموع هذا الشعر ولّد ما يُعرف بالنقائض . فعندي ابن رعلاء الغساني (٣) . يقول مثل قول ربيعة بن مقروم ، فيحط ويرفع في معرض ذكر يوم (أباغ) . وهو بين المنذر ابن ماء السماء . وبين الحارث الأعرج بن أبي شمر جبالة . وسبب ذلك أن المنذر سار من الحيرة في معد كلها حتى نزل بـ (عين أباغ) ، وأرسل إلى الحارث ملك العرب بالشام : " أما أن تعطيني الفدية فأصرف عنك بجنودي نوما أن تأذن بحرب ، وكانت الحرب (٤) " فقال عدي (٥) :

رَبِّمَا ضَرْبَةً يَسْتَفِ مَقِيلُ      دُونَ بَصْرَى وَطَعْنَةٍ نَجْلَاءِ  
وَعُمُوسٍ تَفِيلُ فِيهَا يَكْدُ الْآ      سِلِي وَيَغْيَا طَبِيئُهَا بِالْدَّ وَأِ

(١) : شاطروا : أخذوا الشطر ، وهو النصف . ذا وفرها : أي ذا مال ، فالوفر هو المال الكثير . والعديم : المقل .

(٢) : الموالى هنا : الحلفاء . والصميم : الصريح الخالص النسب .

(٣) : عندي بن . رعلاء الضبياني شاعر جاهلي . والرعلاء اسم أمه اشتهر بها . أنظر . ابن الأثير ، عز الدين : الكامل في

التاريخ . ج ١ / ص ٥٤٢ . بيروت ١٩٦٥ .

(٤) : المصدر السابق نفسه .

(٥) : الاصمعيات : ص ١٥٢ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٤ م .

وانظر حماسه ابن الشجون ص ٥١ ومعجم العزباني / ٢٥٢ .

(٦) : بصرى : من أعمال دمشق - وهي قصبة كورة حوران .

(٧) : الضموس : الطعنة النجلاء التاسعة . الأسى الذي يأسو الجرح ويداريها .

رَفَعُوا رَايَةَ الضَّرَابِ وَالسُّوَا  
فَصَبَّرْنَ النَّفُوسَ لِلطَّعْنِ حَتَّى  
لَيْسَ مِنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيِّتٍ  
إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَنْ يَعِيشُ ذَلِيلًا  
لَيْذُونٌ سَامِرَ الْمَلْحَمَاءِ (١)  
جَرَتْ الْخَيْلُ بَيْنَنَا فِي الدَّمَاءِ  
إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ  
سَيِّئًا بِأَلْهُ قَلِيلُ الرَّجَاءِ

أول ما يلفت النظر هنا هو أن (أباغ) مريض بطرف العراق مما يلي الشام حيث أوقع الحارث ، وهو يدين لقيصر الروم ، بالمنذر وعرب العراق وهم يدينون لكرمي .

وهذا يدل على تبعية القبائل العربية للدولة الكبرى في ذلك الزمان ، كما هو شأن كثير منها الآن . كما أنه حجة بيد من ينفي الشعور القومي العفوي عند العرب الجاهليين .

وهو من وجهة البحث التاريخية تخلف في الوعي الاجتماعي والسياسي يأخذ شكل الموقف السلبي بين أبناء أرومة واحدة . فقد كان أثر هذه القصائد سلبيًا على المجتمعات العربية البدوية والحضرية . فمثل هذه القصيدة وما شاكلها فتيل كل معركة ووقود كل حرب ضحيتها كثير من الأبرياء .

كذلك مما يلفت النظر في هذه القصيدة البيتان الأخيران فقد قالهما في شأن من تدعه الحرب سليماً معافى في ثياب من الذل والخزي ، فحياته ليست إلا موتاً . ومثل هذا القول ينشر فوق رؤوس قَوْمٍ أَبَاقٍ يرفضون الحياة الذليلة الرخيصة ، كفيل بدفعهم إلى القتال من جديد . ولكن البيتين حين ساءوا بعد ذلك مسير المثل والحكمة الخالدة لكل حياة رخيصة ، صاروا في المواقع الإيجابية المحمودة المعززة لرفض الهوان . والخيط بين الموقعين رفيع .

وحين بعث الرسول (ص) كان أول من أدرك أثر هذه القصائد في هدم المجتمع العربي ، فكان ينهي عن تعلم هذا النوع من الشعر ، مثلاً نهى الناس (٢) عن تعلم قصيدة الشنفرى في مقاطعة آل غسان -- ان صح الحديث -- التي يقول منها (٣) :

مَآكِلُ يَوْمٍ يَنَالُ الْمَرْءُ مَا طَلَبَا      وَلَا يَسُوغُهُ الْمَقْدَارُ مَا رَغَبَا

(١) : سامر : اسم جمع بمعنى السمار ، وهم القوم يتحدثون ليلاً . الملجأ :

اسم موضع .

(٢) : أمين الحسيني ، محسن . محاضرات مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٣ ص ١٤٧

دمشق ١٩٥٤ م

(٣) : المصدر السابق نفسه .

لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَتَتْرَكَهَا      إِنْ كُنْتَ شَكَّيْتُمْ فَاتَّبِعْ رَأْسَهَا الذَّنْبُ  
هُمْ جَرِّدُوا السَّيْفَ فَلْجَعَلْهُمْ لَهُ جُزْرًا      وَأَضْرَمُوا النَّارَ فَاجْعَلْهُمْ لَهَا حَطْبًا

وربما كان هذا الحديث منحولاً انتحله آل غسان . ولكن الروح العامة له توافق كثيراً من الأحاديث النبوية الأخرى التي تنهـى عن اذاعة الفتن .

والبيت الأول خالصة تجارب الحياة ، وكذلك الثاني ، بل إنه لمن المفيد تعلم مثل هذا البيت فهو من الحكم الحربية التي يجب التقيد بها داخل المدارس العسكرية ، فمن غير المعقول أن تضع الحرب أوزارها وتتصور أننا أخسرنا نصراً في معركة قتلنا فيها الذنـب وتركنا الرأس المدبر يسعى ثانية ليجمع قلوبهم مرة أخرى .

والبيت الثالث أيضاً لا نجد فيه ما يستوجب الطعن ، فمن يشعل نار الحرب لا بد أن يضطلي بها . وأصبحنا ولا روية لنا في هذا القول إلا أنه منحول على رسول الله انتحله آل غسان دفاعاً عنها وعن عزمها الجاهلي ، وقد علم فاعلمه أن مفعول القصيدة في الاسلام باطل ، ولكنه أراد أن يخلص غساناً من أمرشين نسب إليها في جاهليتها حين عادة العصية جذعة أيام الأميين . وهذا لا يمنع أن يكون الرسول (ص) قد حذر من تعلم شتى الفتن كما ذكرنا (١) .

ومجمل القول في هذا النوع من الشعر المحرض أنه ينمى مفهوم القتل والجريمة في البيئة الأعرابية العربية ، ويضعف المجتمع ، ويقطع أواصر الرحم والملة ، ويشعل نار الحرب ، ويوقف عجلة التقدم ويجعل الشعر أداة هدامة ومعولاً فتاكاً يهدم أركان الأمة .

وهناك نوع من شعر العديح يقوم بتلك المهمة السلبية ، لا بد من الإشارة اليه . وهو الشعر الذي يقال في أناس لا تتوافر فيهم الصفات الحقة التي يذكرها المدوح . والشعراء في هذا بين اثنين :

أول خاضع لا طار التعصب القلبي ، والتفاخر الجماعي ؛ وآخر خاضع للعوامل المادية التي سيطرت على قلوب الجزء الأكبر من شعراء

(١) : انظر : العمدة ج ١ / ص ٢٧ : ( انما الشعر كلام مؤلف ، فما وافق الحق

منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه ) .

(٢) : فهم : كما قال عنهم القرآن : ( والشعراء يتبعهم الغاويون ) . وهم

بدورهم يتبعون الغاويين كذلك . ( )

هذا النوع من القول حيث الكذب التاريخي بقالب من قوالب الصدق الفني . ولا بد أن نلاحظ ما عابه القدماء في هذا الشعر انه السلبى الذى عيناه ولكنهم أدرجوه تحت ظاهرة المبالغة (١) وبأخذ شعر التحريض وجها ايجابيا حين يستخدم ليحرك قوما خائعين فيولد فيهم الرفض ويذمى لديهم حب التمرد والثورة على السلاطات التي تعيشها القبيلة وخير شاهد على هذا المنحى الا ايجابى لشعر التحريض لدى عرب الجاهلية ما ذكره أبو الفرج عن عطيقة ملك طسم وجديس وسبب قتله (٢) فقد أمر هذا الملك الضالم ألا تزوج بكر من جديس وتهدى السى زوجها حتى يفتريها هو وقبل زوجها . فلقوا من ذلك بلاه وجهه . وذلا . فلم يزل يفعل هذا حتى روجت الشمس ومضى غيرة بنت عباد فلما أرادوا حملها الى زوجها انطلقوا بها الى عطيق لينالها قبله . ومحبها القيان يتغلبين :

أبدي بعطيق وقومي فوكسي  
فسوف تلقين الذي لم تطلبى  
وما أدري الصبح لأمر معجب  
وما ليكر عنده من مهرب  
فلما أن دخلت عليه افتريها وخلا سبيلها : فخرجت إلى قومها  
في دمائها شاقة درعها من قبل ومن دبر والدّم يسيل ومضى في  
أقبح منظره . تقول :

أخذ أدل من جديس  
يرضى بهذا بالقوي حُر  
أخذة الموت كذا لنفسهم  
وما زالت في أمرها حتى قالت تحرض قومها فيما أتى إليها (٤) :  
أجعل ما يؤتى إلى فتياتكم  
وتصبح تمشي في الدماء غيرة  
ولو أننا كنا رجالاً وكُنتم  
فموتوا كراماً أو أميتوا عدوكم  
وألا فخلوا بطنها . وتحملوا  
أهكذا يفعل بالعسر  
أهدى وقد أطرأ وسبق الكهر  
خير من أن يفعل ذا بعسر  
ولأنتم رجال فيكم عدد التمل  
جهازاً وزفت في النساء إلى بعل  
ساء لكنا لا نقر بهذا الفعل  
ودبوا لنار الحرب بالحطب الجزل  
إلى بلد ققر وموتوا من الهزل

(١) : انظر : ابراهيم طه ، تاريخ النقد الادبي عند العرب ، دار الحكمة ، بيروت

مدور ، محمد ، النقد المنهجي عند العرب ، مكتبة الفجالة ، القاهرة

(٢) : الاغانى ج ١١ / ص ١٥٣ - ١٥٤ ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٩ .

(٣) : المصدر السابق نفسه .

(٤) : المصدر السابق / ص ١٥٥ .

فَلْيَبِينُ خَيْرٌ مِنْ مَقَامٍ عَلَى أَدَى  
وَلَيْنَ أَنْتُمْ لَمْ تَغْضَبُوا بَعْدَ هَذِهِ  
وَدَّ وَلَكُمْ طَيْبُ الْعُرُوسِ فَأَتَمَّا  
فبعدا وسحقا للذي ليس دافعا

فلما سمع أخوها ذلك وكان سيدا مطاعا قال لقومه : يا معشر جديس  
البن هو لا القوم ليسوا بأعز منكم في داركم إلا بما كان من ملك صاحبهم  
علينا وعليهم ولولا عجزنا وادهاننا (١) ما كان له فضل علينا . ولو امتنعنا  
لكان لنا منه النصف (٢) . فأطيعوني فيما أمركم به . فإنه عز الدهر  
وذهاب ذل العمر . واقبلوا رأيي .

وقد أحس جديسا ما سمعوا من قولها . فقالوا : نطيعك ، فاحتالوا  
لهم فقتلوهم . فقال أخوها في ذلك (٣) :

ذَوْقِي بَبْغِيكَ يَا طَسْمُ مُجَالَّةً  
فَقَدْ أَتَيْتَ لِعَمْرِي أُعْجَبَ الْعُجْبِ  
إِنَّا أَبْنَاءُ فَلَمْ نَلْفُكَ نَقْلَهُمْ  
وَالْبَغْيُ هَيْجٌ مَنَا سَرَّةَ الْغَضْبِ

هذا الشعر الذي قالته الفتاة هو الحضي وهو سلاح فعال استطاع  
أن يؤتي أكله . فقد حرك الهمم وفض الذل وانتزع الحريقة فهو  
جانب عظيم يقوى من شأن القبيلة والأمة .

وفي نهاية المطاف لا بد من ملاحظة هامة هنا نستنتجها من قرائن  
الأحداث .

يلاحظ الرواة المهتم بتاريخ العرب والإسلام . أن آخر القبائل التي  
دخلت الإسلام وأول القبائل العربية التي ارتدت عنه هي تلك التي  
يحررها هذا النوع من شعر . التحريض بوجهه السلبي .

كذلك عمل هذا الرجل على تعميق تيار التعصب القبلي ، فتعديم النزعة  
الإنسانية التي كانت في الأصل ذات لون باهت . وكأنها لم تكن من محتويات  
التطور التاريخي لمجتمع القبائل العربية بين الجاهلية والإسلام . . .  
وعلى الصعيد العربي المعاصر ما زلنا نلمح آثار السلبي من شعر التراث  
يتسرب إلى العقلية العربية المتنازعة ، تحت أضواء ما يعرف بالحرب الباردة ،  
على أطار جماعي أو فردي .

(١) : الإذمان : المصانعة واللين ، مثل المداينة .

(٢) : النصف : اعطاء الحق ، مثل النصف والانصاف .

(٣) : الأغاني ج ١١ / ص ١٥٦ . دار الثقافة - بيروت ١٩٥٩ .

لقد أثّر هذا الشعور في حصر الأفق العربي ضمن إطار  
ضيّق من التعصب المشين ، فعمل على تكريس المجتمع العربي  
سياسياً ، واجتماعياً ، وفكرياً ضمن قوالب مصطنعة ، شكلت دولا  
مفرقة مختلفة ، تجمعها المصائب حيناً ، وتفقرها <sup>وتفقرها</sup> حالات الأمن  
أحيانا ً . . . مما نجم عنه استمرارية في أوضاع غير سليمة ، شارك  
الشعر السليبي في ديمومتها .



## المناحي الفكرية

الطيرة والأوهام والخرافات.  
الغيلان والسَّعْلاة ومزاعم أخرى.

## في المناحي الفكرية :

لم يكن للعرب في جاهليتهم فلسفة ، أو علم كلام ، أو تصوف . فـجاء تأثر الفكر العربي بالفلسفة اليونانية ، وبغيرها من الثقافات متأخرا ، وربما كان انتشارها بعد الفتح مؤكدا .

ويمكن حصر مناحيهم الفكرية ، أو أغلب تلك المناحي ، في معتقداتهم الديني وأوامهم وخرافاتهم ، وهي - حين نجد في البحث عنها - كثيرة مبثوثة في الشعر الجاهلي ، نستطيع أن نذكر منها :

التطير والتشاؤم ، وحديث الحوض ، وعقد الرقي ، والاعتقاد بأثر الغربان والسخرية بالفقير (ولهاجوه ! . ، والتعمير ، وهجاء العرض ، والفحش ، والإيمان بالغول ، وخروج الهامة من القبر ، والنخبة ، والنميمة ، وحلول الأرواح في مظاهر الطبيعة ، والإيمان بالعين التي إذا أصابت قتلت ، وحبس البلياء ونسبة الشعر إلى الحيوانات ، وإلى الجن والتعشير ، والإيمان بأثر دملاء الأشراف والطلوك وعقد الرتم . واعتقادهم في النيران ، ورأد البنات ، حين جاء الإسلام ، كانت إحدى مهامه الرئيسية اقتلاع تلك المعاني التي تخالف تعاليمه ، فعانى كثيرا وشو يحاول إرساء مهمته تلك . ولكن المعتقدات القديمة ما لبثت أن عادت إلى العقلية العربية ، مما يفيد أنها كبتت إلى حين ولكنها لم تمت .

ولاشك أن الدافع وراء عودتها ، هو تبني بعض الشعراء تلك المعتقدات وسقيها بماء الحياة ، الشيء الذي جعلها تعيش حتى أيامنا هذه فتجسد العقلية العربية وتشدها فتسحبها من النهوض والتقدم . ومن هنا تأتي أهمية استعراض تلك المعاني ورفضها لما فيها من سلبية في التفكير ، وفيما يلي استعراض لاشهر تلك المعاني التي مازالت ماثلة كالطود في عقلية العرب فتكون أحسن العوامل التي تحول دون تقدمهم .

( ١ ) : على الرغم من استغراب هذا الأمر .

( ٢ ) : تذكر مثلا أن التطير والتشاؤم ، والاعتقاد بأثر الغربان ، والإيمان بالغول ، والإيمان بالعين التي إذا أصابت قتلت ، وحبس البلياء ، وغيرها أمور فكرية مازالت تجد لها رواجاً غير محدود فـفي بعض البلاد العربية .

وربما أكثر بعض الشعراء من الثقل في طول البلاد وعرضها ، داخل الجزيرة وخارجها فكسب واغتنى وعاد متخلصا من السانح والبارح ممبراً عن تحرره الفكري الذي أوصله اليه تحرره الاقتصادي ، ويقول عوف بن عط (١) :

نَوَّمتُ البلادَ لِحُبِّ اللِّقَاءِ      وَلَا نَتَّقِي طَائِراً حَيْثُ طَلَّ (٢) الْبَارُ  
سَتَّحَاوُلَاجَارِيّاً بِأَرْحَاً      عَلَى كُلِّ حَالٍ نُلَاقِي سَسَارَ

ويبدو أن الوصول الى النتائج الاقتصادية الإيجابية ، والحصول على الخيرات الوفيرة يقوّيان معتقد الصكرين لهذه الأوهام . من هنا تظهر قيمة الشعر الإيجابي في محاربة هذا المفهوم السلبي ، ومحاولة القضاء عليه ،

ومن طريف هذا الجانب ما روى عن النابغة (٣) - وكان من المتطيريين - وزبان بن سيار (٤) ، فقد خرجا يريدان الغزو ، فبينما هما يريدان الرحلة ان نظر النابغة واذا على ثوبه جرادة تجرد ذات ألوان ، فتطير وقال :  
غيري الذي خرج في هذا الوجه !... فلما رجع ( زبان ) من تلك الغزوة سالما . انشأ يذكر شأن النابغة ، فقال (٦) :

تَخَبَّرَ طَيْرَهُ فِيهَا زِيَادُ      لَتُخْبِرَهُ وَمَافِيهَا خَبِيرُ  
أَقَامَ كَأَنَّ لِقَامَ بْنَ عَادٍ      أَشَارَ لَهُ بِحِكْمَتِهِ مُشِيرُ  
تَعَلَّمَ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا      عَلَى مُتَطَيَّرٍ وَهُوَ الشُّهُورُ  
بَلَى شَيْءٌ يُؤَافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ      أَحَايِمَنَا وَيَاطِلُهُ كَثَرُ (٥٧) لِيرُ

(١) : شاعر جاهلي ، من فرسان العرب . ذكر أبو عبيدة البكري في السمت ص ٣٧٧ - ٧٢٣ / . أنه جاهلي اسلامي ، ولم يؤيده ، أحد في ذلك ، ولم يذكره الحافظ ابن حجر في المخرمين في الإصابة .

(٢) : المفضليات : ص ٤١٥ / . دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٦٤ م

(٣) : النابغة الذبياني ، واسمه زياد بن معاوية انظر الاغاني طبعه السيد ج

(٤) : انظر أخباره في الحيوان ج ٣ / ٤٣٧ .

(٥) : لا حظ ارتباط الرحلة الى الغزو بالكثير من المعتقدات الفكرية العربية .

(٦) : الحيوان : ج ٣ / ص ٤٤٧ ، محمد عبد السلام هارون .

(٧) : انظر الحيوان ، للحافظ ج ٣ / ص ٤٣٧ . محمد عبد

السلام هارون .

وقد كانت تلك الرؤية أعمق من رؤية أخرى لذات القضية ، التي علقها كثير من الشعراء بالغيب ، كما في قول بعضهم <sup>(١)</sup> من اعتبره شُرَّ (٢) الراح الحد يث إيجابيا ، وهو عندنا وعي قاصر :

الزجر والطير والكهان كلهم  
مضللون ودون الغيب أقفال

وعلى الدرجة ذاتها من المستوى المفهومي يسدل شاعر آخر

ستاره على هذا المفهوم معلقا إياه بالغيب :

كفمرك ما تدري الطوارق بالحصي ولا زاجرات الطير ما الله صانع <sup>(٣)</sup>

ومع ذلك فهذا التحليل ايجابي بالنسبة لذلك العصر ، وللمصور الإسلامية التي تلته ، ولكنها رؤية قاصرة بالنسبة لعصرنا ، سيما بعد الكشف عن دور الاقتصاد ، في حياة الانسان . مؤمنين بأن نصيب الناس من خير أو شر أمر لا يأتي من خارج أنفسهم ، وإنما هو معهم مرتبط بنواياهم : وإن إرادة الله بالعبد تنفذ من خلال نفسه لكن هذا كله حديث آخر غسير الحديث الاجتماعي الاقتصادي .

وقد كان كثير من الجاهليين بطون رزقهم ومصير حياتهم بهذا المعتقد . تحدث رجس <sup>(٤)</sup> عن لعبة السانح والبارح في مصير الانسان ، وقد قالوا له : أغارت بهراء على اهلك فأسحفتها ، قال : فأصيت والله ما لي مال غير الدود فرمى الله في نواهيهم بالسرفس <sup>(٥)</sup> ، وأنني اليوم لا أكثر بني القين مالا ، وفي ذلك أقول <sup>(٦)</sup> :

هو الدهر أسس تارة ثم جارح  
سوانحه مشوثة والبوارح

ولعل قول مصاد هذا يقوى ما رأيناه من ارتباط هذا المعتقد الفكري

بالمناحي الاقتصادية .

وقد اختلط أمر تشاؤمهم ، واعتقد بعض الأدباء <sup>(٧)</sup> من القدامى أن تشاؤمهم من الغراب جعلهم يشتقون من اسمه الغربة والاغتراب ، والغريب ، فوقع اللبس لغويا كما وقع اللبس اقتصاديا .

(١) : لاحظ ابن حجر العسقلاني شرح صحيح البخاري .

(٢) : المصدر السابق ج ١ ص ١٨٠ . دار المعرفة ، بيروت .

(٣) : المصدر السابق نفسه .

(٤) : مهاد بن مذعور القيني ، جاهلي ، رئيس قومه بني القين . انظر أخباره في

الغانسي ج ١ ص ١٤٢-١٤٣ .

(٥) : السرفس : بوزن الفلئ النماء والخير ، وفي الحديث : أن رجلاً رَغَسَه الله

مالا ، أي أكثر له وبارك له فيه .

ويبدو أن مفهوم التطير بقي قويا ومنتشرا بين العرب جميعا بما فيهم أهل المدن الذين يفترض فيهم تجاوز مثل تلك الأوهام .  
وجاء الاسلام فكان الجاهليون يعتمدون الى هذا الوهم في مقاومة الحجة والنطق ، فكانوا يقولون كما جاء القرآن بلسانهم : " إنا تطيرنا بكم ، لئن لم تنتهوا لنرجمنكم ، وليسننكم منا عذاب ألليم " (١) .  
كما اعتبر الطيرة شركا يؤدى بصاحبه الى الكفر الصراح ، فقال الرسول :  
" الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، الطيرة شرك ( ثلاثا ) وما منّا الا ولكسن الله يذهب بالتوك (٢) " .

وعلى النقيض من الط (٣) كيرة ، يقع الفأل الذى يبينه وبين الطيرة فرقان عند أهل النظر والمعرفة والحقائق ، ذلك أن الفأل تقوية للعزيمة ، وتحضيض على البغية ، وإطماع في النية ، والطيرة تكسر النية ، وتصد عن الوجهة وشني العزيمة ، وفي ذلك ما يعطل الاحالة على المقادير (٤) .  
ومن هذا الفأل تسمية العرب للمنهوش بالسليم ، وللبرية بالمغازة ، وتكنيتهم الأعمى بأبي بصير ، والأسود بأبي البيضاء (٥) .  
وايمانهم بباب الطيرة يدل على ضعف في التسبيب العقلي الذي كان عندهم ، كما أنه يدل على عدم قدرتهم رصد السببات بأسبابها ربطا محكما ، ويدل كذلك على أنهم لم يكونوا يفهمون الاتباط بين العلة والمعلول .  
وكانوا لا يتعمقون في بحث الأشياء ، انما كانوا ينظرون اليها نظرا عارضا أو خاطفا ، يقفون عند الجزئيات ، ولا يتعلقون بمدركات كلية \* أو نظرات شاملة ، وكل ذلك لا يوجد ضمن دائرة الحياة الحركية بعلمها كما هو الشأن في منظورنا المعاصر ، ومن هنا تكون أهمية تلك المفاهيم لانها تكشف لنا عن مقصور الوعي ، كما تكشف لنا صورته عن الحياة الفطرية السانجة عند العرب عصرئذ (٦) .

- (١) : أمالي القاضي : ج ١ / ١٤٣ . دار الفكر ، بيروت ، بلا تاريخ .
- (٢) : لاحظ : الحيوان ، الجاحظ : ج ٢ / ص ٣١٦ - ٣١٧ .
- (١) : سورة ياسين . آية / ١٣ .
- (٢) : جامع الاصول : ج ٧ / ص ٦٣٠ . دمشق ١٩٦٩ \* وماذا . . . مدرج من كلام راوى الحديث . ابن سعد ، غير مرفوع كما قال البخارى وغيره .
- (٣) : لاحظ : جواد ، على : في كتابه الفصل ج ٦ / ص ٨٠٢ .
- (٤) : العمدة : ج ٢ / ص ٢٥٩ . النابعة الرابعة . بيروت ١٩٧٢ . دار الجيل
- (٥) : انظر المصدر السابق نفسه .
- (٦) : لاحظ : شوقي ضيف في العصر الجاهلي ص / ٨٥ . ط / ٣ . دار المصارف

وإذا كانت بعض هذه الأسماء التي تنفي الطيرة أو تقول بها قد  
فضحت لنا ذلك المفهوم الفكري السلبي ، فإنه من الواجب أن نؤكد  
على فريق من العرب الذين لم يكونوا يؤمنون بالطيرة أو يعتقدون بها  
وقد كان خنز بن لسوزان السلندي<sup>(١)</sup> في طليعة من ينكر الطيرة ،  
وينسب إليه قوله ( ٢ ) :

لا يثمنك من بغيا	الخير تعفاد التماءم
ولقد غدوت وكنيت لا	أغلو على واق وحباتم
فإذا الأشائم كالأيام	من والأيامن كالأشائم
وكذلك لا خسر ولا	شر على أحد بدائهم
قد حط ذلك في الزمان	ور الأوليات القدايم

ولاشك أن هذا المفهوم الذي طرحته القصيدة يملك الاصاله  
الفكرية والمعاصرة، وأنه مبني على نظرة دينية كما أشار الشاعر ذاته  
إلى ذلك في بيته الأخير .

(١) : انظر أخباره في : الموءلف والمءتلف . ص ١٠٢ .  
(٢) : تاج العروس ( خنز ) ٣٤ / ٤ ، والخزانة : ١١ / ٣

الغيلان والسلاسل ، ومزاعم أخرى :

هناك أوهام أخرى وخرافات يعكسها الشعر السيلبي تعتبر مأخذا سلبياً على الفكر العربي حتى بالمنظور المعاصر ، إذ يطلعنا على نماذج أخرى من المعتقدات الجاهلية التي كانت تتحكم في حياة العرب ، كما أن الوجه الإيجابي فيها ، كشفها عن جذور كثير من المعتقدات التي مازالت تعيش في حياة العرب حتى أيامنا هذه ، فمعرفة أمر مساعد للتخلص منها ، وهي من جهة أخرى تعبر عن العقلية السامية التي لا تتخلى عن معتقد آمنست به مهما طال أبده ، وتغير زمنه ، وهي بهذا الشكل انذار لنا لتتخلص عن هذا الجمود الذي ران على قلوبنا . والملاحظ أن هذه المعتقدات كثيرة ، يهمننا أن نقف على الحي الباقي منها .

الغول من السحالي وجمعها غيلان ، وكل ما اغتال الانسان فأهلكه فهو غول ، والغضب غول الحلم لأنه يغتاله ويذهبه (١) .

هذا هو أصل السألة والقصة في ( الغول ) لكن المعنى اللغوي المجرد انقلب الى صورة مادية حسية ، فكانوا يزعمون أنه يعرض لهم في بعض الاوقات والطرق ، فيغتال الناس ، وأنه ضرب من الشياطين ، حتى صار الشعراء يكثر في وصف لقاءها ، فمنهم من يراها مرافقة له في القفار ، ومنهم من يغالي فيزعم قتلها .

وأصل (٢) هذا الامر وابتدأوه أن القوم لما نزلوا بلاد الوحش ، علمت فيهم الوحش (٣) . ومن انفراد وطال مقامه في البلاد والخللاء والبعد عن الانس ، استوحش ولا سيما مع قلة الاشغال والذاكرين .

فقد عُدَّ عبيد بن أيوب جوالاً في مجهول الأرض ، فلما اشتد خوفه ، وطال تردده ، وأبعد قال :

لصاحب قفر خائف متقتر  
حوالي نيراناً تلوح وتزهير (٤)

فلله در الغول أي رفيقة  
أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت

(١) : وقد شرب العرب العجائز والخيل بالسحالة ، انظر تاج العروس مادة ( سعل ) .

(٢) : المعاجم العربية مادة " غول " .

(٣) : الجاحظ ، الحيوان : ج ٦ / ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٤) : لحقته الوحشة والخوف والهم .

(٥) : الحيوان للجاحظ : ج ٦ / ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

واستدلال الجاحظ بهذا الذي سماه عبيد بن أيوب ، يدل على أن الفكرة ،  
وهم يختلقها خيال الخائف المقفر ، يجسدها عقله من ظلال الاحجار في  
القفار أو من ظلال النيران الموقدة .

كذلك زعم الشاعر الجاهلي تأب (١) شراً ذات مرة أنه لقسي الغول  
في ليلة مظلمة ، وما زال بها حتى قتلها ، وق (٢) قال :

فلم أنفك متكئاً عليها      لا نظير مصباحاً ماذا أتأني ؟  
إذا عينا في رأس قبيل      كرأس الهر مشقول اللسان  
ورجلاً مخدج ولسان كلسب      وجلد من قراب أو شنان (٣)

وهذا زعم باطل ، والأبيات إما أنه تكون محمولة لتخدم اللغويين ، وإما أنه  
كاذب فيما ذهب إليه ، وقد قصد اصطفاة البطولة .

وحين جاء الاسلام نفى القول المجسدة مادياً في الصور المتعددة  
التي جسدها خيال الشعراء على لسان الرسول ( ص ) وهو يستعرض بعضاً  
من معتقدات الجاهليين ، فيبطل العدوى ، ويبطل اعتقاد الشرفي شهر  
صفر ، وينفي وجود الغول ، فيقول : " لا عدوى ، ولا صفر ، ولا غول " ،  
ولا أريد أن أتجاوز هذا المفهوم الى غيره قبل الاداء بالحقيقة المؤلمة  
التي تشير الى ايمان كثير من العرب المعاصرين بالآثار السيئة التي يخلقها  
شهر صفر - كما يزعمون أو بالغول وحديثها الذي مازال يأخذ دوره في  
ليالي الشتاء على موائد العوائد في قرى الجزيرة والفرات .  
ومن مزايم العرب الاخرى حية في البطن تصيب الانسان اذا جاع وتؤذي  
وانها تعدى ، فأبطله الاسلام . وهذا زعم باطل ، ولعلهم اعتقدوا بديان  
البطن التي تخرج من الانسان أحياناً نوعاً من الحيات خاص بالبطن  
فيكون القصوروعيا في الطيب .

(١) : الحيوان للجاحظ : ج ٦ / ص ٢٤٨-٢٤٩ .

(٢) : ثابت بن جابر بن سفيان ( ت نحو ٨٠ ق . هـ - ٥٤٠ م ) شاعر عداني من  
فتيان العرب في الجاهلية .

(٣) : الاغانى ، لابي الفرج طبعة الساسي . ج ٨ / ص ٢١٢ .

(٤) : مخدج : ناقص الخلق ، والشواة ، الاطراف ، والشنان : جلد القرية البالية  
والقصيدة في الحيوان منسوبة لابي البلاد الطهوى .

(٥) : جامع الاصول ، اخراج مسلم : ج ٧ / ص ٦٣٤ . دمشق ١٩٧١ م .

(٦) : جامع الاصول ج ٧ / ص ٦٣٤ . دمشق ١٩٧١ م .



كذلك هناك حديث في الاعتقاد حول ما يسمى بهامة القبر ، والهامة عند بعضهم اسم طليز (١) . وكانوا يقولون : ليس أحد يموت فيدفن من الا خرج من قبره هامة . ومعنى هذا الزعم الذي يبررون فيه أخذ الثأر والقتل ، أن الإنسان اذا قتل ، ولم يطلب بثأره خرج من رأسه طائر يسمى الهامة ، وصاح على قبره : اسقوني ! . الى أن يطلب بثأره .

والناتج السلبي في هذا المعتقد التقاؤه مع شعر التحريض من جهة والقصر في الوعي من جهة أخرى ، وقد كان قاسما مشتركا ، والذارا للقتال كما في قول ذي الأصبع العدواني (٢) :

يا عمرو! تدع شتتي ومنقصتي اضربك حتى تقول الهامة : اسقوني وحديث الحيوانات وشعرها لون آخر من ألوان الخرافة العربية في الجاهلية . فشعر نسبه الى الحيوانات ، وآخر الى الجن فسيه مغان سلبية .

فقد نسبوا شعرا للضب قاله حين خاصم ضفدعا في الظلم :  
أيها أصبره . وكان للضفدع ذنبه . وكان الضب مسوحا (٣) . فلما غلب الضب أخذ ذنبها . فخرجوا في الكلال فصبرت الضفدع يوما ويوماء فنارت !  
يا ضب ، ردا ردا ، فقال الضب :

أصبح قلبي صردا لا يشتهي أن يردا (٤)

الا عرادا عرادا وصليا بنا بـردا (٥)

فلما كان في اليوم الثالث نادت يضب ، رداد ردا ! . قال :  
فلما لم يجيبها بادرت الى الماء ، ثم تبعها الضب ، فأخذ ذنبها (٦)

ونستطيع اعتبار هذه الخرافة نوعا من أنواع (القبولا) العربية على الرغم من زعم بعض المستشرقين أنها اتخذت من بلاد الاغريق موطئا لها (٧)

(١) : الحيوان للجاحظ : ج ٣ / ص ٤٤٢ وما بعدها . تحقيق عبد السلام هارون .

(٢) : التويرى ، نهاية الأرب ج ٣ / ص ١٢١ .

(٣) : المسح : نقص وقصر في ذنب العقاب ، ويقال مسحه بالسيف ضربته .

(٤) : اذا انتهى القلب عن شيء ، صرد عنه .

(٥) : العراد : كالسحاب ، وآخره دال : حشيش طيب الريح .

(٦) : الحيوان للجاحظ : ج ٦ / ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٧) : انظر فون دير لاين ، فريدريك : الحكاية الخرافية . ص ٣٢ ترجمة

د . نبيلة ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٥ .

وهذا الشعر بالمظهر المعاصر نوع من التعاليل التي قالها الاقدمون  
يبحثون فيه عن علل الاشياء في مظاهر الحياة . ويرى علماء الاساطير  
الطبيعيون ، وعلماء الاساطير الفلكيون في الحكاية الخرافية محاكاة للظواهر  
الطبيعية أو الجوية (١) .

وحديث الضب موجود عند كثير من الشعوب ، فأهل أمريكا الجنوبية  
يزعمون أن الانسان سرق النوم من الضب الذي ينام دائماً (٢) .  
كما أن وجهها معاصراً ايجابياً تلحمه في هذا الشعر ، فمجموعه  
الدائر حول الخرافات ، يعمق الاحساس بفكرة وجود الخرافات العربية  
التي لا ترجع الى اصول هندية أو بوذية ، أو فارسية .  
وفي الوقت الذي " لا نستطيع أن نتعرف على أثر أية حكاية خرافية  
هندية في أوروبا قبل القرن الثاني عشر (٣) " ، نستطيع أن نقول :  
إن العرب عرفوا الحكاية الخرافية قبلهم (٤) ، عرفوها مبتدعين ، لا ناقلين  
فحسب .

وهذا فيما نرى وجه ايجابي ناصع لمثل ذلك الشعر الجاهلي  
الذي يعلل بعض ظواهر الطبيعة من جهة ، ويكون أساساً من أساس  
أدب الاطفال . وليس أدل على ذلك من قصة تبارى الضفدع مع  
الضب في المبر على الظمأ ، ففيها تعليل لظاهرة الذب في الضب ،  
وذليل على بواكير أدب الاطفال عند العرب .

لكن حديث خرافة الحيوانات ليس وحيداً ، فهناك خرافات أخرى  
حول البشر . أي نوع من البشر ؟ .. انهم الطوك ، والاشراف ،  
والحديث يتناول دمائهم التي تشفي من عضة الكلب الكلب ، وتشفي  
من الجنون وهذه نظرية تقديس الطوك والاشراف ، وتزعم أنهم مخلوقون  
من مادة أخرى ، والدم الذي يجري في عروقهم غير دماء المطوكين  
فهم الطوك ، دهم دواء يراه فحول الأطباء فيقفون منه موقف المستسلم  
كما في قول الشاعر الجاهلي عاصم بن القيسري (٥) :

(١) : المصدر السابق / ص ٦٠ .

(٢) : المصدر السابق / ص ٨٦ .

(٣) : المصدر السابق / ص ١٨٣ .

(٤) : الحكايات الخرافية غير الاساطير . لاحظ فن الكتابة فن الحياة .

د . أسعد علي . ص ١٥٨ . دار السؤال دمشق ١٩٧٧ .

(٥) : الحيوان للجاحظ ج ٢ ص ٨٧ . طبعة عبد السلام مارون .

وَدَاوَيْتُهُ مِمَّا بِهِ مِنْ جِنَّةٍ      دَمَ ابْنِ كِهَالٍ وَاللَّدَّاسُ وَقَفُ<sup>(١)</sup>  
 وَقَلَّتْهُ دَهْرًا تَمِيمَةً جَدَّهُ      وَلَيْسَ لَشَيْءٍ كَذَدَهُ اللَّهُ صَارِفُ  
 وهذا مفهوم صلحه الملوك والاشراف ، يهدف الى اخضاع الجاهليين  
 والتسليم بما للملوك والاشراف من حق الاهي مزعوم في التحكم والحكم .  
 كما يهدف الى حفظ دمائهم أن تهدر ، مادامت بلسما شافيا من  
 مرضين يهابهما العرب ، الجنون الذي يخشون التعاير به ، حيث  
 يكون المجنون الواحد من القبيلة مجالا كبيرا لا تنقص قيمتها وهجائها  
 والكلب الذي يلتشر بسرعة بين كلابهم التي لا تفارق مواثد هم ،  
 ولا دوابهم حراسا أمنا .

وقد كان من المفترض على الشعراء أن يكشفوا زيف هذا المعتقد  
 والهدف الاخير الذي يسعى اليه مشيعوه .

وفيما بعد اصطدم الجاحظ بهذا المفهوم ولم يقبله ، ولكنه ذهب  
 الى تحليل الدم الكريم بالثأر الطمس<sup>(٢)</sup> ، بمعنى أنه لا يهفي مجنون  
 الحي من آلامه على قتله الا معركة يقتل فيها ملوك القوم وأشرافهم  
 ثأرا لقتلى من به جنة ، فيشفى .

كذلك اذا كلب من الغيظ والغضب فأدرك ثأره ، فذلك هو الشفاء  
 من الكلب ، وليس أن هناك دما يشربه .

والأرواح عند الجاهليين تحل في مظاهر الطبيعة المحيطة بهم  
 ويأتي عداؤها بينها وبين حيواناتهم . . . فاذا أوردوا البقر ، فلم  
 تشرب إماما لكدر الماء أو لقلعة العطش ، ضربوا الثور ليقتحم الماء ، لأن  
 البقر تتبعه ، فكانوا اذا امتنعت ظنوا ذلك من عمل الجن ، وإيحائهم<sup>(٣)</sup>

وفي حديث للأعشى ما يدل أن الشعراء عرفوا أصل الحكايسة  
 بوعى ، فقال في ورد البقر الماء :

وَمَا ذَنْبُهُ إِنْ عَافَتِ الْمَاءَ بِأَقْرُ      وَمَا أَنْ تَعَافَ الْمَاءُ إِلَّا لِتَضْرِبَا<sup>(٤)</sup>

- 
- (١) : المجنة : الجنون ، وابن كِهال أحد اشراف العرب في عصر الشاعر .  
 (٢) : الحيوان للجاحظ ج ٢ / ص ٧ - ٨ وبلغ الارب في معرفة أحوال العرب  
 محمود شكوى الالوسي ، الطبعة الثالثة ج ٢ . دار الكتب الحديثة  
 القاهرة : بلا تاريخ .  
 (٣) : الحيوان للجاحظ ج ١ / ص ١٨ . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة .  
 (٤) : على ، جواد الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ١ / ص ٥٥ وما بعد .

وقد أدرك الجاحظ في كلامه السابق هذا المعنى فأتى الأمر . ومن الملاحظ ان هذا المعتقد مازال موجوداً في قرى الجزيرة والفرات من بلاد الشام ، وان استبدلت بالبقر الاغنام .

ومناك أمر جاهلية أخرى مازال بعض العرب في أيامنا يؤمنون بها . فقد كان الجاهليون يؤمنون اذا أصابت قتلت ، وهم يقولون عن المصاب بالعين رجل تعين ، اذا أخذ بالعين . ويقولون : ان العين تسرع بالابل ، أي تذهب بها (١) .

والعشيرة مزمع ومعتقد واحد عند العرب في الجاهلية ، مفاده أن الرجل فيهم اذا اراد دخول قرية يخاف وباء فيها ، وقف على بابها فعشر ، وهو ان يسهق كما يسهق الحمار ، فاذا دخلها لم يصبه وباء . (٢) كما في قول عروة بن الورد : (٣)

لَعَمْرِي لَنْ عَشَّرْتُ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى      بهاق الحبير ابني لجـنوع  
ومن أهم تلك المفاهيم السلبية ذات الآثار المادية السيئة نكاح المقت وحبس البلياء . وأما نكاح المقت فهو أن يأتي أكبر اولاد الميت ، فيلقي ثوبه على امرأة أبيه بعد وفاته ، فيرت نكاحاً (٤) ، فان لم يكن له فيها حاجة تزوجها بعض اخوته بمهر جديد ، فكانوا يرثون نكاح النساء كما يرثون المال ، وكان هذا شأنهم حتى نزلت الآية الكريمة ، " يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعفلوهن " (٥) ، ثم فصح القرآن وحرم فقال : " ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة وساء سبيلاً " (٦) .

وكون المرأة متاع يورث ، أمر قائم في كثير من الحضارات القديمة ، فهي في بلاد اليونان من جملة مقتنيات الرجل تنتقل بعد وفاته لثمن يريده ، وما عليها الا الطاعة . ولم يكن هذا الامر مقصوراً على زوجه ، بل كان معمماً على ابنته (٧) .

- (١) : لاحظ العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٦ ص ٢٧٧ .
- (٢) : نهاية الارب ، للنويري . ج ٣ ص ١٢١ .
- (٣) : المصدر السابق نفسه . وعروة بن الورد بن زيد عيسى ، من غطفان : من شعراء الجاهلية وفسانها ، كان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه اياهم .
- (٤) : وهوليس جمعاً بين اختين كما ذكره شوقي ضيف في العصر الجاهلي ص ٧٥ .
- الطبعة الثالثة . دار المعارف بمصر .
- (٥) : سورة النساء آية ١٩ .
- (٦) : سورة النساء آية ٢١ .

(٧) : C.Letourneau; la condition de la Femme P.416\_ 423 .

تصدير بيهم . من كتاب (المرأة في التاريخ والشرائح ص/٦٧) .

## اعتراف

ومع اعتراف المجتمع الجاهلي بوجود هذا الزواج إلا أنه كان مقبلاً ، ويعتبر به أهله ، ولذا سمي بزواج العقل ، وكان الشعراء اتخذوا منه مواقف إيجابية فأنكره أوس ابن حجر التميمي ، في هجائه لبني قيس :  
والفارسية فيهم غير منكورة  
فكلهم لأبيهم ضيّن سلف (٢)  
ويبدو أن الدافع الأساسي والمنطلق الرئيسي في هذا الزواج هو الاحتفاظ بعيراتها لأهل المتوفى من الذكور .

وحبس البليات مرتبط بالموت ، فإذا مات الرجل منهم ، كانوا يشدون ناقته إلى قبوه ، ويعكسون رأسها إلى ذيلها ، ويغطون رأسها بوليّة (وهي البردعة) ، فإن افلقت لم تُرد عن ماء ولا مرعى ، ويزعمون أنهم إنما يفعلون ذلك ليكرهها صاحبها في المعاد ليحشر عليها ، فلا يحتاج أن يمشي .  
ويجب أن نعرف القيمة العصرية لمثل هذا الشعر ، فهو وإن يكن دالاً على سلبية في المفاهيم ، إلا أنه أرى لنا تأريخاً فيلاً حياة العرب الفكرية في الجاهلية لدرجة أنه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة في يوميات الإنسان العربي إلا سجلها .  
ثم إن الحديث عن هذه المعتقدات والخرافات ، والتقاليد والعادات يشكّل جسراً بين المناحي الفكرية ، والمناحي الاجتماعية ، فالأمة لها عاداتها وتقاليدها الاجتماعية الخاصة التي يوحى بها إيمان راسخ في نفع أرض تلك العادات ، وتلك التقاليد .

وهناك معتقدات فكرية خاصة تفزع كثيراً من سلبيات الجاهليين وتقدم لنا صورة عن وعيهم الاجتماعي والعقلي ، فيكون الشعر الذي يكشفها قد قدم نفسه إيجابياً مسجراً عن وجه حقائق قاصرة .

وقد الرتّم (٣) ، صورة من صور تلك المفاهيم ، وهو أن يعمد الجاهلي الذأوى على السفر إلا رتم فيعقده ، فإن رجس رآه معقوداً ، زعم أن امرأته لم تخنه ، وإن رآه محلولاً زعم أنها قد خانت ، وقد أدرك بعض شعراء الجاهلية فساد هذا المعتقد ، وسلط الأضواء على الحقيقة القائمة بعيداً عن الاغترار بالحلف ويعقد الرتّم ، فقال (٤) :

- (١) : لسان العرب ج ٧ ص ٩٠
- (٢) : المحبّر ص ٢٢٥ وبلغ الأرب ج ٢ / ٥٢٠ والضيّن هو الذي يطك أباه على امرأته إذا ما طلقها ، أو مات عنها .
- (٣) : المرأة في التاريخ د. ليلي مباح ص ١٧٥ ، دمشق ، ١٩٧٥ م .
- (٤) : الرتّم بنت ، والرتيمة خيط يشد في الأصبع لتستذكر به الحاجّة .
- (٥) : نهاية الأرب ، النويري : ج ٣ ص ١٢٥

كَانَتْهُ لَمَّا رَأَتْ شَيْباً بِفَرْقِهِ وَغَسَّرَهُ حَلْفُهَا وَالْعَقْدُ لِلرَّتَمِ

وهذا من المفاهيم التي مازالت سائدة في قرى الجزيرة والفرات ، حيث يعدد المسافر الى شجرة فيشد غصين منها ...

وشاعر آخر وضع يده على الحقيقة الحافظة للمرأة حيث يكون المرء مقياس

الأفكار والمعتقدات ، فقال :

اِذَا لَمْ تَكُنْ حَاجَاتُنَا فِي نَفْسِكَ فَلَيْسَ بِمَنْ عِنْدَكَ عَقْدُ الرَّتَائِمِ (١)

ويناقى هذا الشعر ظلالاً لحقيقة يشير اليها البيتان السابقان ، تتمثل في معنى

انتشار ظاهرة الخيانة الزوجية ، وتستند على علاقات الشاك التي تدفع الرجل الى

اتخاذ مظاهر الطبيعة الثابتة او المتحولة دليلاً قطعياً يقيه شر الظن ، ويضعه

على قاعدة من اليقين ، حيث يخبره مظهرها عن حقيقة ما جرى في غيابه ! ...

كما يشير هذا المفهوم الى ظاهرة البغاء الذي لم يكن محمداً عند العرب

وهو كذلك دليل على سبب مقت العرب للمرأة في الجاهلية خيفة العار . وهذا

ينفي ادعاء بعض الباحثين من ان العرب لم يعتبروا البغاء عيباً (٢) ، بل اعتبروه

من امارات الرجولة . فقد ضرب بعض النساء الحرائر اروع امثلة الرفاء للعهد

الزوجية خلال التاريخ (٣)

(١) : انظر مختار الصحاح (رتم)

(٢) : علي ، جواد ، الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ١ / ١٢٣

كان بعض اغنياء الجاهلية يستغل رقيقه ، ويكره فتياته على البغاء ليأخذ

ما يأتيهم من مال . وفي ذلك نزل قوله تعالى : " وَلَا تَكْرِهُوا

فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ، لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " سورة

النور : الآية ٢٢ . ومختصر الأمر : أن الزنا كان منتشرأ بين العرب

في الجاهلية وهو عار كبير في مجتمع الرجال والنساء اذا كان في الحرمة

ولما نزلت الآية : " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعُكَ عَلَى الْأُ

يَشْرُكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ

بِبَهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْمَلِينَ فِي مَعْرُوفٍ ، فَبَايَعَهُنَّ

وَأَسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ ، إِنْ اللَّهُ غَفَرَ رَحِيمٌ " . الممتحنة / ١٢

ورفع الرسول من بيعة الرجال بمكة واجتمع اليه نساء من قريش فيمن هنأ بنت

عقبه ، وأخذن يبايعن الرسول فلما وصل إلى قوله تعالى ( وَلَا يَزْنِينَ )

قالت : يا رسول الله وهل تزني الحرة ؟ . انظر تاريخ الطبري ، فتح مكة .

(٣) : بلوغ الأرب ، الطبري : ج ١ / ١٤٩

بالإضافة الى كل ما تقدم هناك مجموعة من المواقف الاجتماعية التي اتخذها الشعراء من المفاهيم السلبية التي كانت سائدة ديار العرب في الجاهلية • وما زال الشعريخداً منّا في كشف هذه المفاهيم السلبية والمعتقدات الفكرية الوهمية بها • من سلبات كانت خادمة للظروف التاريخية التي مرت على الجزيرة العربية قبل الاسلام •

ويمكن للباحث ان يلاحظ ترابطاً بين شتى المناحي الاقتصادية والاجتماعية والفكرية في الحياة العربية القديمة •

واما الطبيعة الجماعية لهذه المناحي فواحدة • تتجلى بطبيعة الحياة

العربية في بيئة صحراوية متشابهة • ويكون من الواضح ان هذه البيئة قادرة على ولادة مفاهيم وهمية متشابهة في هذه الصحراء الهاربة • فيكون الوجود سيدا في المجموعات والمفاهيم التي تظهر لنا متناقضة في حين يجمعها خيط مشترك • ولنتساءل عن العلاقة بين الحباس الامطار والسيول المدفوعة من البطاح والناار التي توقد الاستمطار ! انها بلا شك محاولة الحفاظ على هذا الوجود •

فمن هذه المفاهيم التي كانوا يؤمنون بها معتقدهم في النيران • وقد خلدها شعر المقطعات فدل على عقلية قاصرة • وكان سجلاً خالداً بدقيق المفاهيم والافكار التي كانوا يؤمنون بها • ويبقى هذا الشعر ايجابياً لعقاية سايية قاصرة فقد قربت النيران بأحداث حياتها • فهناك نار الاستمطار التي يلاجون اليها اذا الخبل المطر فيجمعون ماديهم من بقر يعتقدون في أذنابها وعراقيبها السباع والعشائر • ثم يصعدون بها في الجبال الوعرة ويشعلون فيها النار • زاعمين ان ذلك سبب للمطر • كما في قول امية بن أبي الصلت :

سَلْعُ ماءٍ ومثله عَشْرُ ماءٍ  
عائِلُ ماءٍ وعالَتِ البُقَرُوارُ

(١) : هناك في الاسلام ما يعرف بصلاة الاستسقاء وهي طلب السقيا من الله تعالى عند حصول الجذب • وانقطاع المطر •

(٢) : ضمران من الشجر •

(٣) : العسكرى، أبو ملال الاوائل : ج ١ ص ٣٥ • والبقر في البيت البقر والبيت في حيوان الجاحظ • ج ٤ ص ٤٦٩ •

وهناك نار الحلف التي يوقدونها ، ويعقدون حلفهم عندها ، ويذكرون منافعتها ويدعون بالحرمان والمنع على ناقض العهد ، قال أبو هلال العسكري : وإنما كانوا يخصصون النار بذلك دون غيرها من المنافع لأن منفعتها تغتن بالإنسان لا يهرب ركه فيها شيء من الحيوان . قال أوس بن حجر (٢) :

إِذَا اسْتَقْبَلَتْهُ الشَّمْسُ صَدَّ بِوَجْهِهِ  
كَمَا صَدَّ عَنْ نَارِ الْمَهْوَلِ حَالِفُ  
وهناك مفهوم ايجابي تقدمه النار وذلك حين توقد لفصح من يفدر من العرب .  
فإذا غدر الرجل بجاره أوقدت له نار على أيام الحج على الأخشاب ، ثم صاحوا هذه غدره فلان . قالت امرأة من هاشم (٤) :

فَإِنْ تَبَيْكَ فَلَمْ نَعْرِفْ عُقُومًا  
وَلَمْ نَقُودَ لَنَا بِالْغَدْرِ نَارًا (٥)

ولكن بعض الباحثين نظر في آخر هذه النار بمنظور المعاصرة ، فرفض أن تكون النار والفعل حقيقة ، وحمل الأمر على المجاز ، مدعياً أنه لا يجد عليه الدليل في مراجع التاريخ والأدب ، ورفض أن يشرح قول الحادثة الشاعر الجاهلي :

اسْمِي وَحَكْ هَلْ سَمِعْتَ بِغَدْرَةٍ  
رُفِعَ اللِّوَاءُ لَنَا بِهَا فِي مَجْمَعٍ

على الحقيقة التي اخذ بها بعض الشراح القدماء القائلين " وكانوا في الجاهلية إذا غدر الرجل رفعوا له بسوق عكاظ لواءً ليعرّفوه الناس " وحاول الباحث في شرحه أن يذهب إلى تأكيد المجاز ناسباً إياه لشرح آخرين لكنه لم يذكرهم مع الأسف ، وبقي قوله عاجزاً عن اقتناع القارئ .

ولا شك أن النظرة العصرية لأمر هذه النار هي التي حملت الشراح الحديث على اعتبار ذكرها من المجاز .

وقد اجأ الجاحظ في هيوأله (٦) إلى تعليل معظم خرافاتهم ، وأوهامهم وحاربتهم بالنفي . وتوسع فقيه الأندلس ابن خزم (٨) في تعليله الظواهر ومحاربتة الأوهام والخرافات التي صارت إلى الإسلام ، فاعتقدها الناس من الدين وما هي منه بشيء حتى زعم قوم أن الفلك والنجوم تعقل ، وأنها ترى وتسمع . . . وهذا دعوى بلا برهان ، وصحة الحكم بأن النجوم لا تعقل أصلاً (٩) . . .

(١) : المصدر السابق في رتبة .

(٢) : المصدر السابق .

(٣) : الأخشب : جبل مطل على منى .

(٤) : نهاية الأرب للوزير : ج ١ ص ١١١ .

(٥) : لاحظ في المفاهيم الإيجابية : تسجيل خيانة القبائل وذمها .

(٦) : النوهي ، محمد الشعر الجاهلي : ج ١ ص ٢١٨ .

(٧) : لاحظ الحيوان الجاحظ : تحقيق محمد عبد السلام هارون ج ١ ص ١٨ ، ج ٢ ص ٧٨ وما بعده .

(٨) : فقيه وأديب الأندلس ، صاحب طوق الحمامة في الألفة والألف ت ٤٥٦ هـ .

(٩) : المثل والنحل ، للشهرستاني . ج ٥ ص ٣٦-٣٨ . القاهرة ١٩٦٨ م .



وذكر حديثاً مطولاً عن منابع الانهار ، وأن اليهود وبعض العامة يزعمون أن أنهار النيل ، و جيحان ، ودجلة والفرات تخرج من الجنة ، وتسقي جميع المعمور . وقد ورد هذه المزاعم ورفضها مبيناً منابع هذه الانهار .

وهكذا يكون حديث الخرافات في الجاهلية أساساً آخر يضاف إلى مجموعة الأسس التي دخلت الدين الإسلامي واستمرت فيه ، ثم أصبح جزءاً منها على رفوف الصحاح معتقداً ، كما في حديث الدجال حين جمع نداءً أمر به رسول الله الناس ، ثم قال :

" أتدرون لما جمعتكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : اني والله ما جمعتكم رغبة ولا رهبة ، ولكن جمعتكم لأن تميتا الداري كان رجلاً نصرانياً ، فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال ، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وهذام ، فلعب بهم الموج شهراً في البحر ، ثم أرفوؤا إلى جزيرة في البحر حتي مغرب الشمس ، فجلسوا في أقرب السفينة ، فدخلوا الجزيرة ، فلقيتهم دابة أهلب ، كثير الشعر ، لا يدرون ما قبله من دبره ، فقالوا ويلك ، ما أنت ، قالت : أنا الجساسة قالوا : وما الجساسة ؟ قالت : أيها القوم ، اطلقوا إلى هذا الرجل الذي في الدير ، فإنه إلى خبركم بالاشواق ، قال : لما سممت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة ، قال : فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير فاذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً ، وأشدّه وثاقاً ، مجموعة يدها إلى عنقه مابين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد ، قلنا : ويلك ما أنت قال : قد قدرتم على خبري فأخبروني : ما أنتم ؟ قالوا : نحن أناس من العرب ، ركبنا في سفينة بحرية ، فصادفنا البحر حين اغتطم ، فلعب بنا الموج شهراً ، ثم أرفأنا إلى جزيرة هذه فجلسنا في أقرب<sup>(١)</sup>ها فدخلنا الجزيرة ، فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر ، لا ندري ما قبله من دبره من كثرة الشعر ، فقلنا : ويلك ما أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة<sup>(٢)</sup> قلنا : وما الجساسة ؟ قالت : اعمدوا إلى هذا الرجل الذي في الدير فإنه إلى خبركم بالاشواق ، فأقبلنا اليك سراعاً ، وفزعنا منها ، ولم نأمن أن تكون شيطانة فقال : أخبروني عن نخل بيسان<sup>(٣)</sup> قلنا : عن أي شأنها تستخبر ، قال : أسألكم عن نخلها لعل يثمر ؟ قلنا له : نعم ، قال :

(١) : أقرب : القارب ، سفينة صغيرة ، ولعل أقرب جمع قارب وليس معروفاً فعي جمع فاعل أفعل

(٢) : فعاله ، من التجسس : وهو الفحص عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال ذلك في الشر .

(٣) : بيسان : مدينة في فلسطين .

أَمَا إِنَّهُ يَوْشِكُ أَنْ لَا تُثْمَرَ ، قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ بَحِيرَةِ الطَّبْرِيقَةِ ، قُلْنَا :  
عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخِيرُ ؟ قَالَ : هَلْ فِيهَا مَاءٌ ؟ قَالُوا : هِيَ كَثِيرَةٌ  
الْمَاءُ ، قَالَ : أَمَا إِنْ مَاتَ يَوْشِكُ أَنْ يَذْهَبَ ، قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ  
زُفَرٍ ، قَالُوا : عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخِيرُ ؟ قَالَ : هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ  
وَهَلْ يَنْزِعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ ، قُلْنَا لَهُ نَعَمْ ، هِيَ كَثِيرَةٌ الْمَاءُ وَأَهْلُهَا  
يَنْزِعُونَ مِنْ مَائِهَا ، قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمَيَّيْنِ ، مَا فَعَلَ ؟ قَالُوا  
خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ ، قَالَ : أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ :  
كَيْفَ صَلَحَ بِهِمْ ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ ، أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ  
وَأَطَاعُوهُ ، قَالَ لَهُمْ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : أَمَا إِنْ  
ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يَطِيعُوهُ ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي ، أَنَا الْمَسِيحُ <sup>(١)</sup> وَإِنِّي  
أَوْشِكُ أَنْ يَوْمُذَنْ لَسْتُ فِي الْخُرُوجِ ، فَأَخْرَجَ فَأَسِيرُ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدْعُ  
قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا ، فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، غَيْرَ مَكَّةَ وَطَبِيقَةَ ، فَهَمَّا مُحْرَمَتَانِ  
عَلَيَّ كِلَاهُمَا ، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أُدْخِلَ وَاحِدَةً ، أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي  
مَلِكٌ بِيَدِهِ السَّيْفَ مَسْلُكًا يَصْدِي عَنْهَا ، وَإِنْ عَلَى كُلِّ نَقَبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةٌ  
يَحْرُسُونَهَا <sup>(٢)</sup> . " .

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْحَدِيثَ غَيْرَ صَحِيحٍ بِالرَّغْمِ مِنْ وَجُودِهِ فِي الصَّحَاحِ ،  
وَلَا نَرَى فِيهِ إِلَّا نَفْسَ الْخُرَافَةِ السَّلْبِيَّةِ وَالْأَوْهَامِ انْتَقَلَتْ مِنْ حَدِيثِ  
الْعَامَةِ إِلَى كِتَابِ الْحَادِيثِ النَّبَوِيِّ عَلَى أَنَّهَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ .....  
وَهِيَ فِي وَاقِعِ الْحَالِ مَوْجُودَةٌ فِي كِتَابِ الْأَدَبِ فِي بَابِ قَوْلِ الْجَنِّ  
الشَّعْرَ عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ <sup>(٣)</sup> .

فَفِي خَبَرِ الْعَلَاءِ بْنِ مَيْمُونِ الْآمِدِيِّ يَرْوِيهِ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : رَكِبْتُ  
بَحْرَ الْخَزَرِ أُرِيدُ نَاجِرًا ، حَتَّى إِذَا مَا كُنْتُ مِنْهَا غَيْرَ بَعِيدٍ لَجَجْتُ مَرْكَبَنَا  
فَسَاقَتْهُ رِيحُ الشَّمَالِ شَهْرًا فِي اللَّجَّةِ ، ثُمَّ ، انْحَرَفْنَا ، فَوَقَعْتُ أَنَا وَرَجُلٌ  
مِنْ قَرِيْشٍ إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ لَيْسَ فِيهَا أَيْسٌ ، وَإِذَا فِيهَا شَجَرٌ طَوَالُ  
وَطَيْرٌ مُنْكَرَةٌ فَجَعَلْنَا نَطُوفُ ، وَنَطْمَعُ فِي النِّجَاةِ ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذَا أَشْرَفْنَا  
عَلَى غَارٍ بَعِيدٍ يَخْرُجُ مِنْهُ دُخَانٌ ، وَإِذَا بِشَيْخٍ مُسْتَقْدِمٍ إِلَى شَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ

(١) : الدِّجَالُ : أَيُّ الْكُذَّابِ ، وَهُوَ اسْمُ لِهَذَا الرَّجُلِ الْمَشَارِإِيهِ فِي الشَّرِيعَةِ .  
(٢) : أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، جَامِعُ الْأَصُولِ : ج ١٠ ص ٣٣٢ وَمَا

بَعْدَهَا . دِمَشْقُ ١٩٧٢ م .

(٣) : جُمُهرَةُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ ، أَبُو زَيْدٍ الْقُرَشِيُّ : ج ١ / ٥٣ - ٥٤ - ٥٦ . دَارُ النَّهْضَةِ

بِصْرَ . الْقَاهِرَةُ ١٩٦٧ م .

(١) فلما رأنا تحشحر تحشحا ، وأناف إلينا ، ففزعا منه فزعا شديدا  
ثم دبونا منه ، وقلت : السلام عليك أيها الشيخ . قال : وعليكم  
السلام ورحمة الله وبركاته ، فأنسنا به ، وقعدنا بجنبه ، فقال : ما خطبكما  
وما شأنكما ؟ .

فأخبرناه أننا من ولد آدم ، فضحك ، وقال : ما وطني هذا المكان أحد  
من ولد آدم قط ، فمن أنتم ؟ قلنا : من العرب ! قال : بأبي  
وأمي العرب ، فمن أيها ؟ قلت : أما أنا فرجل من خزاعمة ،  
وأما صاحبي فمن قريش ، قال : بأبي وأمي قريش وأحمدنا ! ثم قال :  
يا أخا خزاعة ، هل تدري من القائل (٢) :

كَأَن لَّمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُّونِ إِلَى الصَّافَا      أَنَيْسٌ وَلَمْ يَسْعُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ  
بَلَى ، نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَا دَنَا      صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَاثِرُ

قلت : نعم ، ذلك الحارث بن مفاض الجهمي . قال : ذلك مؤدبها  
وأنا قائلها في الحرب التي كانت بينكم معشر خزاعة وبين جرهم .  
يا أخا قريش ، أولد عبد المطلب بن هاشم ؟ قال : قلت أين يذهب بك  
رحمك الله ؟ نعم ، ومات مذكدر طويل ، فارتاع وقال : أرى زماننا قد  
قارب ابتابه ، أفولد ابنه عبد الله ؟ قلنا : وأين يذهب بك ؟ انك لتسألنا  
مسألة من كان في الموتى ثم بعث .

قال : فتزايد ثم قال : فابنه محمد الهادي ؟ قلت هيهايات . . .  
مات رسول الله (ص) منذ أربعين سنة .

قال : فشبه حتى ظننا أن نفسه قد خرجت ، وانخفض حتى صار  
كالفرخ يرتعد ، وأنشأ يقول :

وَلَرَبِّ رَاجٍ حَيْلَ دُونَ رَجَائِهِ      وَمَوْءَلٍ ذَهَبَتْ بِهِ الْأُمَالُ

ثم جعل يلوح ويبكي حتى بل دمعته لحيته ، فبكينا لبكائه . ثم قال :  
ويحكمما ، من ولى الأمر بعده ؟ قلنا : أبو بكر الصديق ، وهو رجل من خير  
أصحابه ، قال : ثم من ؟ قلنا : عمر بن الخطاب . قال : أفمن قومه ؟  
قلنا : نعم . قال : أما إن العرب لاتزال بخير ما فعلت ذلك .  
قلنا : أيها الشيخ ، قد سألتنا فأجزناك ، فسألك بالله الا أخبرتنا من  
أنت ؟ وما شأنك ؟ قال : أنا السفاح بن الرقراق الجني ، لم أزل ،

(١) : تحشحر : تحرك .

(٢) : أناف : أشرف وأطلس .

(٣) : البيتان في السيرة الحلبية منسوبان إلى عمرو بن الحارث .

مؤمناً بالله وصدقاً برسوله ، وكنت قرأت التوراة والإنجيل ، وكنت أرجو أن أرى محمد (ص) ، فلما تفرقت الجن ، وتطلقت الطوالق المقيدة من وقت سليمان عليه السلام أخبأت نفسي في هذه الجزيرة لعبادة الله تعالى وتوحيده وانتظار نبيه محمد (ص) ، وآليت على نفسي أن لا أبرح هنا حتى أسمع بخروجه ، ولقد تقاصرت أعمار الآدميين وإنما صرت إلى هذه الجزيرة منذ أربعمئة عام ، وعبد مناف إذ ذاك غلام يفعّة ، ماظنت أنه ولد له ، وذلك أنا نجد في علم الأحداث ولا يعلم الآجال إلا الله تعالى . والخير بيده ، وأما أنتم أيها الرجال فيكم وبين الآدميين من الغامر مسيرة أكثر من سنة ، ولكن خذوا هذا العمود ، وأخرج عموداً من تحت رجله ، فاكتفلا به كالذابة إذا نام الناس ، فإنه يرؤدكما إلى بلدكما ، وأقرئاً قبر بيكما السلام ، فإني طامع بجوار قبره . قال : ففعلنا ماأمرنا به فأصبحنا في مصلى آسد .

لقد أخذنا هذا اللص على طوله لنقارنه بالحديث الذي يزعم المحدثون صحته ، ولنرى مدى الخطر الذي أدخلته الأوهام الفكرية على الدين الإسلامي .

فالمركب الذي يبحر شهراً واحداً في الحديث المزعوم ، وفي الرواية القصصية ، والشيخ المستند إلى شجرة عظيمة في القصة الطريفة ، إنسان عظيم مجموعة يداه إلى عنقه ، وهو يسألهم وهم يجيبونه ، ويلاحظ تركيز الأسئلة حول شخص الرسول (ص) وظهوره ، في الخبرين مع طول الخبر الثاني .

في نهاية حديثنا عن السلب في شعر الخرافات ، من خلال استعراض بعض المفاهيم الفكرية التي عرّشت بقالب خرافاتي ، نشير إلى النتيجة التي تعتمد التغليب في مذهب السلبية ، حيث كان لكل مفهوم منظران ، واحد سلبي والآخر إيجابي ، بحسب المنطوق العصري ، ويبقى التغليب السلبي هو الدافع وراء حصر هذه المفاهيم في هذا الفصل .

## المناحي الاقتصادية

- البخل .
- الغدو والطمع .
- احتقار المهن .

## المناحي الاقتصادية :

=====

لا شك أن الأساس الذي قامت عليه نظرية الكرم الجاهلي ، وإحلاله

منزله العالية في قائمة الفضائل والقيم العربية ، هو أساس اقتصادي .  
كما أن هذا الجانب الاقتصادي هو أحد العوامل التي دعمت نظرية الشك  
في كثير من الشعر الجاهلي عند طه حسين ، الذي كان يرى أن الشعر  
الجاهلي يمثل لنا العرب أجوداً كراماً مهينين للأموال مسرفين في ازدرائهم (١)  
ويعترض على هذا الجود والكرم من خلال تلمس الحياة الجاهلية في القرآن  
لا في الأدب الجاهلي .

ولمّا كان القرآن (٢) يالح في ذم البخل ويلح في ذم الطمع ، فقد اعتبر  
البخل والطمع من آفات الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الجاهلية .

وإذا كنا نرى البخل والطمع سلبية في الفضائل العربية الجاهلية ، فإننا  
لا نؤيد الدعوة إلى تلمس الحياة الجاهلية في القرآن فقط ، وسوف نرى أن  
بعض المقطعات الشعرية تكشف لنا صورة المجتمع الجاهلي ، وتشمل كثيراً ممن  
يزورون الفضائل في سبيل جمع المال ، كما تمثل البخل الفردى والقبلي ،  
إلى جانب صور الكرم الجاهلية المعروفة ، وعلى كل حال يبقى تصوّر طه  
حسين خاطئاً .

وقد كفانا مؤونة الرد عليه تلميذ له مخلص المودة ، فناقش موقف أستاذة  
من أيمانها بقضية التناقض بين الصورة التي يرسمها القرآن ، والصورة التي  
يعتقد أن الشعر الجاهلي يرسمها لكرمهم ، والتي جعلها حجة من حججه في  
رفض صحة هذا الشعر وأثبت نخله ، واعتبر أن أستاذة قد " أخطأ الدلالة  
الصحيحة التي يدلها الشعر الجاهلي ، وظنّها مناقضة للصورة التي يرسمها  
القرآن ، والحق أن لا تناقض ، فالشعر الجاهلي يرسم للعرب الجاهليين  
صورة الكرم التام إلا إذا أخطأ الاستتباط وغفلنا عن دلالة الكلام " .

فإذا تركنا الأستاذ وتلميذه ، وذكرنا مرة أخرى بطبيعة هذه الدراسة  
في سعيها إلى بيان المفاهيم المتعددة من خلال المواقف السلبية والإيجابية ،  
تبيّن لنا أن الشعر الذي يتناول قضية البخل ، يكشف لنا عن طبيعة  
الحياة الاجتماعية والاقتصادية القاسية التي كانت تتحكم بظهور قيم معينة

---

(١) : حسين طه في الأدب الجاهلي . ص/ ٧٧ دار المعارف بمصر ، ط ٢ ، ١٩٢٧ م

(٢) : أكد ذلك بالآية : " إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي

بَطُونِهِمْ نَارًا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ " .

(٣) : النويهي ، محمد : الشعر الجاهلي : ج ١ / ص ٢٣٣ ، الدار القومية للطباعة

والنشر ، القاهرة بلا تاريخ

في حياة العرب ، وتؤكد قلة القيم النفسية الحرّة . <sup>بتغيير</sup>  
وهذا الامر نستتبط منه حكما مفاده أن تلك القيم يمكن أن تتغير البيئية  
والمحيط والقوى الخارجية التي تحيط بالمجتمع العربي ، وهذا يكذب نظرية  
العقلية الاسيوية التي تغني بها المستشرق الفرنسي " رينان (١) " من جهة  
ثبوت القيم وتحولها .

ان الجوانب السلبية في شعر البخل كما يراها الجاهليون ، خلل بميزان  
الحياة الاقتصادية من حولهم .

فالحياة البدوية المهددة دائما بانحباس المطر تجعل الاغنياء عرضة  
للفقر ، والفقراء عرضة للغننى ، وهذا يفرض على الجاهلي أن يكون كريما  
كي يحمل الآخرين على معونته اذا افتقر . وقد عبر عن هذا المعنى  
أحمد شعرائهم ، فقال (٢) :

وَأِنَّكَ لَا تَدْرِي إِذَا جَاءَ سَائِلٌ      أَنْتَ بِمَا تُعْطِيهِ أَوْ هُوَ أَسْعَدُ  
مَحْسَنٌ سَائِلٌ زَوْجًا إِذَا مَنَعْتَهُ      مِنْ الْيَوْمِ سُوءًا أَنْ يَكُونَ لَهُ غَدُ  
وَفِي كَثْرَةِ الْأَيْدِي لَذَى الْجَهْلِ زَاجِرٌ      لِلْحِلْمِ أَبْقَى لِلرِّجَالِ وَأَعْلَى (٣) لَوْ رُ

وهذا يثبت نظرية الكرم المبنية على أساس الخوف من الحاجة الاقتصادية.  
فيكون هذا المفهوم ايجابيا بالنسبة لانتشار قيمة الكرم تحت سيف الحاجة  
وسلبيا لأنه ينهني القيم النفسية التي محشها من النفوس صحرا " مجذبة " <sup>ينهي</sup>  
قاحلة ونفر عيم ضارب أطنا به في القبائل العربية هنا وهناك ، وربما كان  
هذا الوضع الاقتصادي المولم يحتاج الى مواقف البخل أحيانا ، أو فلنقل  
الحرص . فالابيات تدعو الى اعطاء السائل (٤) دون منّة ، فإنه لا يعلم  
أحد ما تأتي به الأيام . فالدهر يومان يوم لك ويوم عليك .

(١) : لاحظ رينان في كتابه " تاريخ اللغات السامية المقارن " .

Histoire generale. et systeme Compare des lanques .

ولاحظ مقالة " الشعوبية المعاصرة " المجلة العربية ، العدد / ٤ / السنة

الرابعة ، بقلم . د . بكرى شيخ أمين

(٢) : حماسة أبي تمام : ج ٢ باب الادب ، رقم ١٦ والقطعة غير منسوبة

(٣) : تلجهل هنا بذاة اللسان وفحش القول في خفة وطيش ، وقوله وفي

كثرة الايدي معناه كثرة الاخوان والاعوان ، حاشية الحماسة من / ٣٠

(٤) : وقد أخطأ محمد عبد المنعم خفاجي ، حين جملة المعنى على أن ما يصل الى

المعطى من المكافأة والثناء وأنفج . . . . . والحق أن الشاعر يريد أن يقول :

أعطه اليوم ليعطك غذا اذا اغتنى وافتقرت فيكون عطاؤك انفولك في المستقبل .

فكان هذا العمل نوع من التوفير الاقتصادي ، أو هيد عيني من السلع الاقتصادية يُدفع حين الحاجة .

وربما هاجر الفرد من رهطه الى قبيلة أخرى ساعياً وراء عيشه ، ولكنه لا يجد ما يسد رمقه ، فيضطر الى كشف البخل الجماعي للقبيلة كلها ، ويؤكّد بخلها على من ليس ذا نسب قريب فيها ، فيقول (١) :

لعمري لرهطُ المرء خير بقية عليه وإنْ عَالُوا به كلَّ مَرَكَبٍ (٢)  
من الجانب الأقصى وإنْ كانَ ذا غنى جزيل ولم يخبرك مثلُ مجربٍ  
إذا كنتَ في قَوْمٍ ولم تَكُ مِنْهُمْ فكلُّ ما عُلِفَتْ من خبيثٍ وطيبٍ

فهذه المقطوعة تكشف عن أمر مهم يظهر في وحدة القبيلة الاقتصادية خوف الفقر والحاجة ، فخيراتها محصورة على أفرادها ، وليس للغريب إذا أراد أن يحيا فيها إلا أن يأكل ما تقدمه له مهما كان خبيثه أو طيبه .

ويتجاهل المنايا الواسع في الأرض للكرم الذي لا يصبر على الأذى ، فيدعو الى البقاء مع رهط الرجل ، وإن أركبوه المراكب الصعبة ، لأنهم في رأيه - أنفع في إيصال الخير ، ودفع الضرر من الأبعد ، وإن كانوا أصحاب ما كثير .

إنه يريد أن يحمل الناس محملاً صعباً حين يقارن بين ذل رهط المرء له ، وذل القبيلة التي لجأ إليها ، فيفضل ذل جماعته . وإن أركبوه مراكبها صعباً . فالحاجة الاقتصادية دفعته الى تفكير اقتصادي سلبي حين وازن بين ذلّين ، واختار الاھون منهما ، في حين يجب على المرء أن يتحمل مشاق الرحيل والهجرة من مكان الى آخر حتى يجد العزة والكرامة والحياة الافضل . كما كان شأن الشنفرى الجاهلي وغيره من الشعراء الاسلاميين وكما فعل المعاصرون من أبناء سورية ولبنان في القرن الماضي حين ازدادت الاحوال سوءاً فهاجر كثير منهم ليستبدلوا بالفقر غنى ، والضعف قوّة وبالعبودية حرية . ولم يقارنوا بين الذل الذي كانوا يعانونه في وطنهم والذل الذي صادفوه في غربتهم ، بل تحركوا من مكان لمكان بحشا عن الحرية ، وعن الحياة الأفضل . .

(١) : حماسة أبي تمام ج ١ / ص ٢٠١ - القاهرة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

مطبوعة محمد علي صبيح . والأبيات غير منسوبة .

(٢) : انظر السمعى وراء الحرية ، في المناحي الفكرية الإيجابية في العصر الاسلامي .



وهذا شاعر (١) آخر يشكو اساءة الجيرة ويصوغ شكواه في تهكم وسخرية لا ذعة ، ويندم على تركه لقومه ، وقد كان فارقهم مرغما لهم وجاور كلباً فلم يحمدهم جوارهم ففارقهم ذاماً لهم وهو يقول (١) :

فَنَعِمَ الْحَيُّ كَلْبٌ غَيْرَ أَنَا      رَأَيْنَا فِي جَوَارِهِمْ هَكَاتِ  
وَنَعِمَ الْحَيُّ كَلْبٌ غَيْرَ أَنَا      رَزَيْنَا مِنْ بَنَيْنَ وَمِنْ بَنَاتِ  
فَإِنَّ الْغَدَرَ قَدْ أَسَى وَأَضْحَى      مَقِيمًا بَيْنَ خَبَّتِ إِلَى الْمَلَاتِ  
تَرَكْنَا قَوْمًا مِنْ حَرْبٍ عَامٍ      أَلَا يَأْقُومُ لِلْأَمْرِ الشَّكَّاتِ  
وَأَخْرَجْنَا الْأَيَّامُ مِنْ حَصُونٍ      بِهَا دَارُ الْأَقَامَةِ وَالشَّكَّاتِ  
فَلَنْ نَرْجِعَ إِلَى الْجَبَلَيْنِ يَوْمًا      نَصَالِحَ قَوْمًا حَتَّى الْمَلَاتِ  
وَاضِحٌ أَنَّ الطَّمْعَ وَالْبَخْلَ قَدْ دَفَعَ الْكَلْبِيِّينَ إِلَى الْغَدْرِ ، وَهَذِهِ آفَةٌ

من آفات الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الجاهلية (٥) .

إن بخل هؤلاء قد بلغ في نظر الشاعر درجة الفلأندار . فقد لاقى منهم الأمور المنكرة ، وتألم لما فعلوه به ، فاستخدم الاستثناء المنقطوع في الناحية الفنية - مرتين ، ليظهر فجيعته ، ويمم الغدر في بني كلب فيراه مقيماً في كلب بين مائهما من خبت الى المسات .

ثم أظهر ندمه على مفارقة قومه ، وتذكر صور الحرب التي جعلته يجلو عنهم والأيام الذين حصدت الحرب أزواجهم ، وتعلم من هذه الحياة قيمة المحبة والسلام فصار يعد بالصلح والسلامة ان عاد الى قومه .  
فاذا عدنا الى الواقع التاريخي والاجتماعي الذي تبرزه هذه المقطوعة نرى الطمع والبخل في أفراد القبيلة الكلبية بحيث اجتمعوا على ايداء جوارهم المستجير بهم خلافا لما هو معروف عند العرب من حماية الجار المستجير ، وهو هؤلاء وأمثالهم حاربهم القرآن في قوله : " ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون فسي يطونهم نارا سعيراً " وأظهر الشعر غدهم وطمعهم ، لبخل فيهم .

(١) : هو البرج بن سُهر الطائي ، من معرّي الجاهلية وكان خليلاً للحصين بن الحمام وندبها له على الشراب . ثم جرت بين قبيلتيهما حرب فوقع أسيراً فعرف الحصين حق عشرته له فمّن عليه وجزّ ناصيته وخلّى سبيله ثم ذهب الى بلاد الروم فلم يعرف له خبر . الحاشية ٢٠٢ / ١٠٠ .

(٢) : حماسة أبي تمام ج ١ / ٢٠٢ ، القاهرة ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م

(٣) : خبت والمسات : ما أن لكلب .

(٤) : أجا وسلمى : (٥) : حسين ، طه : في الأرب الجاهلي ص ٧٧ .

(٦) : النويهي ، محمد : الشعر الجاهلي ج ١ / ص ٢٣٩ .

(٧) : سورة النساء : آية ١٠ .

ونتجاوز البخل والطمع والغدر في البعيد بين عنهم ، لنقف عند ظاهرة اقتصادية أخرى فيها كشف لقيمة سلبية مماثلة تظهر في بخل الأقارب. فقد جاءت أشعار عن جوانب أخرى حيث يخل الوضع الاجتماعي ويفقد توازنه تحت تأثير الحاجة فتبخل الأم على أولادها ، مدعية التقدير ؛ عندها تختل الموازين التربوية أيضا ، فتبدأ المخاطلة والمراقبة حتى إذا انتهز الواحد من هؤلاء فرصة غياب أمه في بعض حقوق أهلها ، دخل الخيمة وأخذ ما يريد ثم خرج يقال (الاول) :

وَلَمَّا مَضَتْ أُمِّي نَزَوُّعِيَا لَسَّهَا	أَغْرَتْ عَلَى الْحَكْمِ الَّذِي كَانَ يُشْكِلُ (١)
خَلَطْتُ بِصَاعِي حَنْطَةً صَاعَ عَجْوَةٍ	إِلَى صَاعِ سَمْنٍ فَوَقَّهْ يَتْرِبُ سَاعُ
وَدَبَلْتُ أُمَّالَ الْأَثَا فِي كَانِهَا	رَوْسَ رَخَالٍ قَطَعَتْ لَا تَجْمَلُ (٢)
وَقَلْتُ لِبَطْنِي أَبْشِرِي الْيَوْمَ إِنَّهُ	حَمَى أُمَّاَ مَا تَفِيدُ وَتَجْمَلُ
فَإِنْ كُنْتُ مَصْفُورًا فَسَهْدا دَوَاؤُهُ	وَإِنْ كُنْتُ غَرْنَانًا فَذَا يَوْمَ تَشْبَعُ

هذه المقطوعة وثيقة اقتصادية تكشف كثيرا من السلبيات التربوية التي لجأت إليها الأم في محاولة التقدير ، أو في بخلها فدفعت إلى السرقة التي لا يأثم صاحبها ... كما أنها تكشف عن صعوبة الحياة الاقتصادية التي دفعت الأم إلى هذا التصرف .

وقد اختلط هذا الأمر الاقتصادي الاجتماعي على الأصمعي ، فاعتبر تصرف المزور دليلا على الجشع والنهم ، ولم يعلل تصرفه بالجوع ، ولا تصرف أسسه بالتقدير أو البخل . الاول ، بدافع من الحياة الفقيرة الصعبة ، والثاني بدافع نفسي . ولا شك أن الأصمعي لم يكن يجرأ على اتهام العرب بالبخل ولا سيما في حضرة الرشيد حين قص عليه أمر القمل (٣) .

ويشكو بعضهم من بخل أقاربهم الآخرين الذي يدفعهم إلى الغدر طمعا في مال قريبهم مع أنه ابن أخت لهم . فقد فضح

(١) : وهو المزور بن ضرار أخو الشماخ بن ضرار الشاعر الديلمي الغطفاني . أدرك الإسلام وكان هجاء .

(٢) : الحكم : ما عكم به المتاع ، أي شدد وربط .

(٣) : دبل اللقمة : كبرها ، والرخال : جمع رخل ، وهو الانثى من ولد الضأن .

(٤) : لاحظ قصة الأصمعي والرشيد حول هذه القصيدة في العقد الفريد : ج ٦ /

غسان بن هلة غدر أخواله من بني ساعد ، وقد أغاروا على إبله ، فقال :<sup>(١)</sup>

إِذَا كُنْتَ فِي سَعْدٍ وَأَمْلَأَ مِنْهُمْ غريباً فلا يفرُّكَ خالك من سعد  
فإن ابن أخت القوم مصفى إناؤه إذا لم يزاحم خاله بأب جل<sup>(٢)</sup>

الفردية القبلية هي أهم ما يستنتجه المرء من هذين البيتين ، فالاعمام

إذا لم يكونوا أقوى من الأخوال ، لا يمكن أن يحمي ابن اختهم من غدرهم

وحين يحمي لقوة أعماه لا يكون لهم فضل في حمايته . ويكون الواقع الاجتماعي

السلبي قد فُضح على يد هذه الإشارات الاقتصادية الإيجابية في مطاردتهم

لمواقف القبائل والأفراد السلبية

وهذا ما يفسر اشتها ر حميد الأرقط<sup>(٤)</sup> بالبخل ، الجانب السلبي المقابل

للجانب الإيجابي المتمثل بكرم حاتم الطائي . فقد كان الأرقط هذا يصف

أكل ضيفه وصفا ينم عن بخل شديد ، وضيق نفس ، فيقول<sup>(٥)</sup> :

مابين لقمته الأولى إذا انحدرت وبين أخرى تليها قيد أظفوسور

ينخس الجاهلي كثيرا هذه الصورة الكاريكاتورية " المضحكة ، فيفضّل

الأيسر على قائلها خشية أن يقول فيه ما يضحك المجتمع منه .

ويبدو أن حميداً هذا قد تصدّر للأضياف يطاردهم هنا وهناك إذ ما المانع

أن يأتيه فرد من قبيلته يطلب منه هجاء أضياف عنده ؟ ... ما دام هو

القائل في هؤلاء الأضياف :

لا مرحباً بوجوه القوم إذا نزلوا  
ألفيت جللتنا الشهر يزبينهم  
دسم المائم تحكيها الشياطين  
كان أظفارهم فيها سكاكين<sup>(٦)</sup>

(١) : وهو أحد بني مرة بن عباد ، شاعر مخضرم وفد على النبي (ص) . وروى ابن

دريد هذا الشعر للنسر بن تولب في بني سعيد وهم أخواله .

(٢) : حماسة أبي تمام : ج ١ / ٢٨٩ .

(٣) : المصنف : المال ، كناية عن ضعف الجانب والمزاحمة .

(٤) : يقال له : هجاء الأضياف " كما وصف بالأرقط لأضيافه " ، انظر أخباره في :

العقد الفريد : ج ٦ / ٣٠٢ ، القاهرة ١٢٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

(٥) : المصدر السابق نفسه .

(٦) : المصدر السابق نفسه ، انظر شعرا في طرد الأضياف : حماسة أبي تمام

ج ٢ / ص ٥٥٣ - ٥٥٤ .

وإنا لنجفو الضيف من غير عسرة  
ونشلي عليه الكلب عند محله  
مخافة أن يضرب بنا فيمـود  
ونبدي له الحرمان ثم نزيـد

(٧) : الشهريرز : ضرب من التمر .

وهكذا يتضح خطأ طه حسين في ادعائه عن الشعر الجاهلي أنه يشل المرء أجنوداً كراماً مهينين للاموال مسرفين في ازدهارها . وفلي طلبه للحياة الجاهلية الاجتماعية والاقتصادية في القرآن الكريم فعسب . ولكن أسوأ السلبيات التي ظهرت في هذا المنحى الاقتصادي ما احتسبه استتباع المفهوم القبلي والحياة القبلية من اتخاذ موقف سلبي من الحرف والزراعة .

وقد عكس الشعر الجاهلي ، في منحاه القبلي صورة هذا الاحتقار للعمل والزراعة به ، وسدت شخصية الشاعر وكأنها نقيض الحرفي أو الزارع ، فالشاعر - على رأي بعض الباحثين (٢) - صنو الساحر القديم يروم تبديل الواقع أو احتماله بوسائل أقرب إلى الوسائل السحرية .

وهكذا قدّر لهذا الشعر أن يكون له موقف سلبي من الحرف والمهن التي كانت منتشرة في اليمن نتيجة الحضارة التي قامت فيها ، لذلك اقترن الفخر بهذه النظرة ، فنرى أمية بن خلف الخزاعي يهجو حسان بن ثابت وهو - من أصل يمني بقوله (٣) :

أَلَا بَنِّ مَبْلَغِ حَسَّانِ عَسْتِي	مَفْلَغَةٌ تَدْبُّ إِلَى عَكَاظِ
أَلَيْسَ أَبُوكَ قَيْنًا كَانَ فِرْسِنَا	لَدَى الْقَيْنَاتِ فَسَلَا فِي الْحَفَاطِ
يَطْلِيَا يَظْلُ يَشُدُّ كَسِيرًا	وَيَنْضُخُ دَائِبًا لَهَبَ الشَّسَاوِظِ

ولعل اليمنيين هم الذين حملوا الفاعليات الاقتصادية ، والحضارية ، ولكن هذا السبق الحضاري صار مجلبة للعار في مفهوم الشاعر الجاهلي عبد قيس بن خفاف البرجمي ، ومن ثم يجد في الصناعة مطعنا إلى هجاء النعمان بن المنذر (٤) :

لَعَنَّ اللَّهَ ثُمَّ ثَنَى بِلَعْنِ  
ابْنِ ذَا الصَّائِغِ الظُّلُومِ الْحَمُولِ (٥)

ولم يقف الأمر عند احتقار الصناعة ، بل تجاوزه إلى احتقار الزراعة ، ففضل العمل الزراعي عموماً ينظر إليه من خلال المفاهيم القبلية نظرة لا تليق

(١) : في الأدب الجاهلي / ص ٧٧ .

(٢) : سرقيس ، أحسان ، مُدْخِلُ إِلَى الْأَدَبِ الْجَاهِلِيِّ . ص / ١٢٥ . دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٩ م .

(٣) : المصدر السابق نفسه .

(٤) : الحيوان ، الجاهظ : ج ٤ / ٣٧٩ .

(٥) : وللبيت رواية أخرى : قبح الله

بمكانته ، وإن تكن هذه النظرة أعلى من مثيلتها الى الحـ (الف) ، لأن الزراعة مجال لتبديل الطبيعة . وتجميلها يدرك بالاحساس المباشر .

وحتى الاعشى الذي كان من سكان قرية " منفوحة " وكان ينطوى على حسـ حضاري لكثرة تردده على مواطن الحضارة الدارسة أو القائمة ، لم يتورع في سورة نزوة قبلية أن يفضل رعي الابل والغنم على العمل الزراعي ، وقد هجا إياها في بعض شعره لأنها تعتمد على الزراعة بقولـ (٢) :

كَسْنَا كَمَنْ جَعَلَتْ إِيَّاهُ دَارَهَا      تَكَرَّيْتُ تَنْظُرُ حَبَّهَا أَنْ يَحْصَدَا

ويبدو أن ضيق الأراضي المزروعة بالنسبة الى الصحراء جعل العرب قوسا يكرهون الزراعة وينفرون منها ويرون المزارع مواطن من الدرجة الثانية .

ولو كانت للحرب مياه فائضة وأمطار غزيرة لما كرهوا الزراعة ، ولما ازدروا شأنها . فحربانهم من الماء جعلهم يستعقرون شأن الزراعة ، ولهذا اختلفت عنهم أهل اليمن وبقية القبائل العربية الجنوبية ومن وجد عندهم الماء (٣) .

ولم يكن هذا الموقف شاملا كل البيئة العربية ، فقد وجدت بيئات عربية أثرت في ساكنيها ، وفي واديها .

ولئن كان هذا العمل مرغوبا عنه في الصحراء فقد تركت الطبيعة في تلك البيئات غير الصحراوية تأثيرات وجدت فرصتها للظهور في مثل منطقة الحيرة أو المنطقة الفراتية ، ونجد ذلك في قول عبيد بن الابر (٤) :

تَذَكَّرْتُهُمْ مَا إِنَّ تَجَفُّدًا مَعْسِي      كَانَ جَدُولٌ يُسْقِي مَزَارِعَ مَخْرُوبٍ

ونجد لدى حسان بن ثابت وصفا للواحة ، وهو نادر في الشعر البدوي . ويقرنه حسان هنا بموضوع فخرى ، وكأنه ينطوى على نظرة حضارية تحترم الزراعة وتدعو للمباهاة بها (٥) :

لَنَا حِصَّةٌ مَّا طُورَةٌ بِجِبَالِهَا	بَنَى الْمَجْدُ فِيهَا بَيْتَهُ فَتَاهَا
بِهَا النَّخْلُ وَالْأَطَامُ تَجْرِي تَحْتَهَا	جَدَاوِلٌ قَدْ تَجْرِي رِقَاقًا وَجَرَوُ لَا
إِذَا جَدُولٌ مِنْهَا تَمَرَّمُ مَآوُهُ	وَصَلْنَا إِلَيْهِ بِالنَّوَاضِحِ جَدُولَا

وهذه بلا شك صورة حضارية ، ذات وجه ايجابي من مفهوم الزراعة ، وليس غريبا

(١) : سر كيس ، حسان : مُدْخِلٌ إِلَى الْأَدَبِ الْجَاهِلِيِّ . دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٩ .

(٢) : المصدر السابق / ص ١٢٦ .

(٣) : المصدر السابق نفسه .

(٤) : المصدر السابق نفسه .

(٥) : المصدر السابق نفسه .

أن تصدر من حسان اليميني ذى العروش الحضارية .  
ويبدو أن النظرة الى الصناعة والزراعة بقيت عند العرب هكذا حتى جاء  
الاسلام ثم الفتح ، حين حدث الاختلاط بالعناصر الاعجمية الحضارية ،  
فأدى ذلك الاختلاط الى كسر شوكة ما اعتبروه عيباً في امتهان حرفة ما ولكن  
تقبل العمل الحرفي على الملأ لم يجد قبولاً عند العرب حتى بمحمد  
مجيء الاسلام (١) ، وربما لانغالي اذا قلنا ان هذه النظرة لما تنزل موجودة  
عند كثير من القبائل العربية حتى الان .

وأما القبول الزراعي الذى نجده في بلاد العرب الزراعية اليوم ، فقد سبق  
اليه قبولهم ، فكانت المواطن الطيبة بالنخيل والزروع وعلف الحيوان والدواب  
مدعاة للفخر لان هذه الامور تمثل عماد الحياة الاقتصادية التي يستطيعون  
بوساطتها الاستمرار في البقاء (٢) ، وفي هذه الزروع والنخيل يفاخر الاعشى  
علقمة فيق (٣) قول :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْأَرْضَ أَصْبَحَ بَطْنُهَا      نَخِيلًا وَزَرْعًا ثَابِتًا وَفَصَائِمًا

أما المحافظة على الغسيل فكانت تشغل جانباً من هذا الاهتمام بالبخيل ،  
وكانوا يحافظون عليه بتغطية عرقه ، خوفاً من الجراد والذباب والحشرات  
والقر ، وهذا ما جعل الطفيل الغنوي يشبه أحبته في ظمونهم بالغسيل  
المك (٤) :

أَشَأَقْتُكَ أَظْمَعَانُ بِجَفْنٍ بَيْنَهُم      نَعَمْ بُكْرًا أَشَلَّ الْغَسِيلِ الْمَكَم

- 
- (١) : انظر السلبية في المناحي الاقتصادية الإسلامية من هذا البحث .  
(٢) : القيسي ، نوري حمودي ، الطبقة في الشعر الجاهلي ص / ٧٢ .  
(٣) : الاعشى ، ديوان : ص ١٥١ / شرح وتعليق ، د . محمد حسين  
ط . النموذجية ، القاهرة ١٩٥٠ م .  
(٤) : الطفيل : الغنوي ، ديوان : ص / ٤١ ، لندن ١٩٢٧ م .

المناحي التربويّة

مايوّذي التّربية عامّة

توجيه السلوك الاجتماعي والأخلاقي

بشكل خاطئ.

## المناحي التربوية :

=====

نتفق مع منكرى وجود النصوص التربوية الجاهلية ، لكننا نختلف معهم اذا نظرنا الى الرمايا التي ترد في سياق نصوص شعرية كثيرة . ومنذ اللحظة الاولى يجب الاعتراف بأن هذه المفاهيم التربوية السلبية ذات علاقة قوية بالواقع الاجتماعي ، ولا سيما تلك المفاهيم الاجتماعية السلبية من ذلك الواقع .

اذا أردنا أن نقف عند أهم هذه المفاهيم التربوية السلبية ، وجب علينا أن ننظر الى المفاهيم الاجتماعية القاصرة من وجهة أخرى غير تلك التي رأيناها ، ومع هذا فقد نعود مرة أخرى الى مناقشة مفاهيم اجتماعية من زاوية تربوية .

أهم ما يراه سلبيا في هذه المناحي التربوية ذات العلاقة الاجتماعية ، هو التوجيه السلوكي الاجتماعي والاخلاقي الخاطى ، حيث كان جزء من هذا التوجيه الخاطى ، منصبا على الفتاة العربية وعلى مكانتها الوضيعة في المجتمع الجاهلي .

كانت الفتاة العربية الجاهلية تتعرض كثيرا الى أنواع مختلفة من المهانة والمذلة ، ولكن ما يرسد ذكره هنا هو فقدانها المعيل . وما ينتج عن هذا الامر من مفهوم الواد الخطير وغير ذلك من المفاهيم الاخرى التي شطت البنين والبنات ، كذلك سوف نتحدث عن أهم ما يراه الجاهلي من قيم يستحق العيش من أجلها ، ثم نقف عند المفاهيم الغيبية الاخرى التي عالجناها في المناحي الاجتماعية . ولبدأ أولا بالحديث عن :

توجيه السلوك الاجتماعي والاخلاقي بشكل خاطى :

=====

جبل المجتمع الجاهلي على كراهية الفتاة<sup>كراهية</sup> ، وقد حكينا قصة هذا المفهوم الاجتماعي السلبي ، وكيف عالج الشعر الاجتماعي بعضا من نتائجه السيئة (١) .

كان من هوان النفس الانسانية في الجاهلية أن انتشرت عادة وأد البنات خوف العار أو خوف الفقر ، وحكى القرآن عن هذه العادة ما يسجل الشناعة في الجاهلية ، التي جاء الاسلام ليرفع العرب من هذلتها

(١) : انظر المناحي الاجتماعية الايجابية " حل المشكلات على الصعيد الفردي



ويرفع البشرية كلها . فقال في موضع : " وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ؟ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ " (١) .

واستمر القرآن يفضح مواقفهم السلبية من قضية الفتاة ، فقال في موضع آخر : " وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ " (٢) .

وكشف أواقهم الفزيفة التي يقتلون بناتهم بموجبها في قوله : " لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُنْ لَكُمْ رِزْقٌمْ وَإِيَّاكُمْ " (٣) .

ولكن أعظم الصور التربوية والاجتماعية المخزية تلك هي صورة الوالد التي كشفها القرآن في قوله : " وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ؟ " فقد كان الوالد يتم في صورة قاسية . إذ كانت البنت تدفن حية وكالوا يفتنون في هذا بشتى الطرق . فممن من كان إذا ولدت لـه بنت تركها حتى تكون في السادسة من عمرها ، ثم يقول لأبها : طيبها وزينها حتى أذهب بها إلى أحمائها ! وقد حفر لها بئرا في الصحراء ، فيبلغ بها البئر فيقول لها : انظري فيها ثم يدفعها دفعا ويهيل التراب عليها ؛ وعند بعضهم كانت الوالدة إذا جاءها المخاض جلست فوق حفرة مهفورة . فإذا كان المولود بنتا رمت بها فيها وردمتها . وإن كان ابنا قامت به معها ! وبعضهم كان إذا نسوى ألا يثد الوليدة أمسكها مهيبة إلى أن تقدر على الرعي ، فيلبسها جبة من صوف أو شعر ويوصلها في البادية ترعى له إبله ! .

فأما الذين لا يثدون البنات ولا يرسلونهن للرعي ، فكانت لهم وسائل أخرى لا ذقتها الخسف والبخس .

كانت إذا تزوجت ومات زوجها جاء وليه فألقى عليها ثوبه . ومعنى هذا أن يطعمها من الناس فلا يتزوجها أحد فان أعجبته تزوجها ، لا عبوة برغبتها هي ولا ارادتها ! وإن لم تعجبه حبسها حتى تموت فيرثها أو أن تقتدي نفسها منه بطل ففي هذه الحالة أو تلك . . . وكان بعضهم يطلق المرأة ويشترط عليها ألا تتكح إلا من أراد . إلا أن تقتدي نفسها

(١) : سورة النحل : آية ٥٩ .

(٢) : أي البنات .

(٣) : سورة الزخرف : آية ١٧ .

(٤) : سورة الاسراء : آية ٣١ .

(٥) : سورة التكوين : الآيات ٨ - ٩ .

منه بما كان أعطاها ٠٠٠ وكان بعضهم اذا مات الرجل حبسوا زوجته على المصبي فيهم حتى يكبر فيأخذها • وكان الرجل تكون اليتيمة في حجره يلي أمرها ، فيحبسها عن الزواج ، رجاء أن تمرت امرأته فيتزوجها ! أو يزوجه من ابنة الصغير طمعا في مالها أو جمالها<sup>(١)</sup> .  
فهذه ، كانت نظرة التربية الجاهلية الى المرأة من خلال الفاهيم الاجتماعية القاصرة • ومعلوم أن علاقة الفرد بالمجتمع تتضح من خلال موقف الفرد بآراء قواعده السلوك السائد في هذا المجتمع<sup>(٢)</sup> .  
على ضوء هذه القواعد السلوكية التي كانت سائدة في بعض مجتمعات القبائل الجاهلية ، ولدت ظاهرة المعصانة والخوف من فقدان المعيل .

وهذا سر تخوف المرأة الجاهلية على زوجها في مسعاه للقتال ، انما في الحقيقة تخشى فقدان المعيل ، وكذلك البنت الجاهلية تخشى على أبيها الموت لا لها تخاف التشرد ، فوق عاطفة الابوة ، قال سلامة ابن جندل :

تقول ابنتي : إن اطلاقك واحداً	إلى الأربع يوماً تاركي لأباليا
دعينا من الإشفاق ، أو قدّمي لنا	من الحدّثان والميّنة راقيا
ستتلف نفسي ، أو سأجمع هجمة	تري ساقيةها يألمان التراقيا <sup>(٤)</sup>

وقد أدرك بعض الشعراء خوف بناته من التشرد والضياع بدافع حبه الكبير ، وأيقن أن عليه حراستهن ، والسعي أمامهن • قال حطّان بن المعلى :

لولا بنيات كزغب القطا	حطّان من بعض إلى بعض
لكان لي مضرب وأسبع	في الأرض ذات الطول والعرض
وأنا أولاً دنا بيئتنا	أكبادنا تمشي على الأرض

- (١) : ظلال القرآن ، سيد قطب • ج ٨ / ص ٤٧٩ • دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٩٦٧  
(٢) : أو من خلال الدور الذي يمثله في المجتمع ومن خلال اختبارات الذات الخاصة  
(٣) : سلامة بن جندل ، الديوان ص/ ٢٠٠ ، المكتبة العربية ، حلب ، ١٩٦٣ م  
(٤) : هجمة : جماعة الابل مابين الثلاثين والاربعين الى المائة . والترقي مفرد هـا الترقوة ، وهي هاهنا أعلى الصدر حيث يرتقي النفس (ويألمان التراقيا) أي تألم تراقيةها من شدة التعب حين يسقيان الهجمة •  
(٥) : العقد الفريد • ج ٢ / ٢٤١ •

ولم يفلح الجاهليين بالقيام على أمر الالة فكان السواد نتيجة مسن  
نتائج الخوف هذا : ومع أن الفقر لم يكن السبب الرئيسي لهذا  
السواد إلا أنه أقوى الأسباب .

صحيح أن الاسلام أبطل السواد إلى غير رجعة ، ولكن مظاهر أخرى  
متفرعة ظلت فيما بعد وكلها تحقر المرأة وتهون من شأنها .  
ولا شك أن محاربة تعليم الفتاة - غير القرآن - من أعظم تلك المظاهر  
السلبية التي تمثلت في العقلية العربية فيما بعد فكانوا يكرهون لها  
تعلم الشعر حتى قال القاسي : وأما تعليم الانثى القرآن والعلم فهو  
حسن ومن مصالحها فأما أن تعلم الترسل والشعر وأشبهه فهو مخوف  
عليها (١) . وقال الجاحظ : " كان يقال لا تعلموا بناتكم الكتاب ولا تروهن  
الشعر وعلموهن القرآن ومن القرآن سورة النور (٢) " .

وهذا كله نتيجة من نتائج الحيف الذي نشأت عليه الفتاة العربية  
في الجاهلية ، ولا تستطيع الحالات الخاصة التي ظهر فيها تعلم بعض  
فتيات المسلمين ونبوهن في الشعر أو الأدب في العهود الإسلامية أن تسد  
تلك الفجوة الهائلة في التربية العربية القديمة .

ومن هذا التوجيه الأخلاقي الخاطيء حديث بعض الشعراء عمّا  
يستحق المرء أن يعيش من أجله محمداً في بعض القيم السلبية التي  
تضر بالأخلاق ، و سيما إذا كانت الدعوة إلى الفتيات والفتيان من أبناء الأمة  
أن تهذيب الأخلاق في نظر بعض المربين ، هو الغرض الاسمي من  
التربية فإذا عني التعلم بتشجيع مافي نفسه من بعض النواحي ، وأهل  
هذه الناحية المهمة كانت تربيتهم وبالأعلى عليه وفسدة لمجتمعهم ،  
اذ ليس ثمة ما يمنع من استعمال عقله وعلمه في سبيل الشر (٣) .

وقد كانت السوادى العربية مدرسة كسيرة يتعلم فيها الأبناء الشعر ومحكم  
القول (٤) . وفي هذا الشعر من السلبيات التربوية ما ينعكس على تصرفاتهم  
حين يكبرون ، أو حين يعودون إلى المدن ، ويتسلمون المناصب والراتب ، فيتصرفون

(١) : التعليم في رأى القاسي ص ٢٦٦ ، نشر . احمد فؤاد الهواني .

(٢) : الجاحظ ، البيان والتبيين : ج ٢ / ١٨٠ .

(٣) : الوعي التربوي ، ص ٤٠ / بيروت ١٩٧٢ ، عدة مؤلفين

(٤) : انظر البيان والتبيين : ج ٢ / ص ١٨٠ .

في بعض تصرفاتهم حسب ما حفظوه من شعر ذي أثر سلبي .  
فالفرد لا بد أن يتأثر بالمحيط من حوله ، وإذا كان الشعر ذا  
نفوذ كبير في هذا المحيط - وقد رأينا ذلك في المقدمة - فلا  
بد أن يتشرب ماءه صافيا كان أم معكراً مائجاً .

فحديث طرفة بن العبد عن القيم الثلاث التي جعلها من أسباب  
عيش الفتى في الحياة ، يمر  
من حفظه ليحفظ به . قال طرفة :  
(١)

فلولا ثلاثٌ هُنَّ من عيشة الفتى      وجدك لم أحفل : متى قام عودي  
فمن سبقت العاذلات بشربةٍ      كمت متى ما فصل بالما تزيدي  
وكري ، إذا نادى المضاف ، مُحِباً      كسيد الغضى ، تَبَهُتُهُ المتسرود  
وتقصير يوم الدَّجن ، والدجن معجب      بَهَنَكْنَةٍ تحت الطراف ، المعتمد  
فالحياة هينة عليه لولا لذات ثلاث يجد فيها متعة تنسيه الهم  
والحزن ، وتذهب عنه الوحشة واليأس ، وتدعوه الى القوة والبأس ، هذا  
في نظره دون أن يعلم الخلفيات السلبية لآثر هذا الشعر في المجتمع  
من الناحية التربوية .

الخمر ، والمرأة ، والجد ، مثل عليا ، اثنان منها يتصلان بشخصية  
هما الخمر والمرأة ، وثالث بقبيلته ، وهو الدفاع عنها ونجدة المستغيث  
والهدف الثالث ايجابي رفيع بشكله العام خارج اطار الزمان والمكان  
ولكن الخمر والمرأة لا يمكن أن يكونا كل شيء في حياة المرء ،  
وليس لقائل أن يقول : انها خاصة بطرفة فهذا من شعر الشعب ،  
سلبياته وإيجابياته تصود على الشعب .

فالمرأة جعلها ملاذاً للذة والشهوة ، متجاهلاً أنها الأم أو الامة ،  
فالأم والامة مشغلة الباحثين في التربية والسياسة . والحقيقة التربوية  
ملتقى الأم والامة (٢) .

(١) : شرح القصائد العشر ، الخطيب التبريزي ، ص / ١٣٤ ، دار الاصمعي ، حلب ١٩٧٢  
(٢) : هو الشعر الذي يتمتع به الشعب أو يتضرر به ، وليس هو الشعر الذي يقال  
عنه فحسب .

(٣) : كتاب الأمهات ، أسعد علي ، ص / ١٩ - ٢٠ وانظر كتاب " الطلاب وانسان  
المستقبل " أسعد علي " حديث طرفة بن العبد " دار الواليد

ولكن الشاعر ضيق الابعاد للمرأة ، وجعلها في اللذة والمتعة فكانت هذه النظرة من أهم العوامل المساعدة التي أدت الى ظهور وانتشار مفهوم الوأد سابق الذكر .

وأما الخمر ، فهي مفسدة للجسد ، مهلكة للأموال ، مضيعة للعقول . ومع ذلك جعلها هدفا لذاتها ، وهذا أمر مشين عرف أشره السيء بعض عقلا . الجاهلية فحرمها .

كان قيس بن عاصم (١) لم قد عانى من هذه الخمر التي اخترقت عليه درع شرفه ، ولباس فروسيته حين شرب ذات يوم فسكرا سكرًا شديدًا ، فجذب ابنته وتناول شوبها .

فلما صحا أخبرته ابنته بما صنع ، فألى لا يذوق الخمر أبدا ، وقال (٢) :  
 رأيتُ الخمرَ صالحةً وفيها      خصالٌ تُفسدُ الرَّجُلَ الحَكِيمَا  
 فلا والله أشربُها صحيحاً      ولا أشقى بها أبداً سَكِينَا  
 ولا أعطي بها ثمناً حياتي      ولا أدعولها أبداً نَدِيمَا  
 وقد صدق الاعرابي الذي سئل عن الخمر فقال : لا أشرب ما يشرب عاقل .

كذلك مما يشين التربية في هذا التوجيه عدم الاكثراث بالاولاد فأحياناً كانت سورة الغضب تدفع الجاهلي فيراهن على بنيه غير مكترث بهم وغير مدرك ضرر قوله فيهم ، قال أحيمة ابن الجلاح (٤) :

يَراهِنُنِي فيرهِنُنِي بِنَسِيهِ      وأرهنه بنِّي بما أقُولُ  
 ومن المعلوم أن هذا الحديث مؤن ، ومشبط لعزائم الأولاد ، ومذيب عاطفة الأبناء . كما أنه محرض لهم على التمرد ، ودافع لهم على التشرد ، وهذا ما يفسر لنا الدعوة التي رأيناها عند الشنفرى وغيره من الشعراء في الدعوة الى مغادرة العشيرة والأهل بحثاً عن الاحترام والشعور بوجود الغير . ومن المولى أن " أَحْيَاة " هذا كان يرى المال فوز القراية والنسب وبقول (٥) :

السلامة

(١) : وأد بناته في الجاهلية : أسلم وحسن إسلامه .  
 (٢) : الأوائل : ج ١ / ص ٥٩ والأبيات في سمط اللآلى : ٤٨٨ منسوبة لصفوان ابن أمية .

(٣) : الأوائل : ج ١ / ص ١٠

(٤) : جمهرة أشعار العرب . ج ٢ / ص ٦٤٧ ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ،

القاهرة ، ١٩٦٧ م

(٥) : العقد الفريد : ج ٢ / ص ٣٠٩ .

فلا يَغْرُوكَ ذُو قُرْبَىٰ وَذُو نَسَبٍ      من ابن عمٍّ ومن عمٍّ ومن خَالٍ  
كُلُّ النَّدَاءِ إِذَا نَادَيْتُ يَخْذِلْنِي      إِلَّا نِدَائِي إِذَا نَادَيْتُ يَا مَالِي  
بينما يرى الحطيئة أن السعادة ليست في جمع المال ، وإنما هي تقوى  
الله (١) قال :

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ      ولكن التَّقَى هو السَّعِيدُ  
وَتَقَوَّى اللَّهُ خَيْرُ الزَّادِ زُخْرًا      وَعِنْدَ اللَّهِ لِلتَّقَى مَزِيدٌ  
فكان الآباء يوصون أبناءهم أن يعملوا بقول الحطيئة هذا (٢) . وإذا كانت  
التربية تسعى إلى تغيير ما في نفس الفرد عن طريق تنمية مواهبه وتعديل  
ميوله وإصلاح سيرته ، فإن هذه المفاهيم التي طرحتها تنمي المواهب  
السلبية لدى الفرد .

وأما ذكر الجن والعفاريت والاشباح والعوالم الخفية الأخرى التي لا يراها  
المرء ، فقد مر ذكرها بالمناحي الفكرية السلبية ، ولا ضرورة للمودة إليها  
هنا ، ولكن لا بد من التذكير بالتعزيز السلبي الذي يضعف الحقائق  
الموضوعية ، والحاصل من وراء تلك المعتقدات التي تبعدنا عن الواقع الموضوعي  
وتشدنا إلى عالم الأوهام . فتكون من أخطر السلبيات في تربية الأطفال ،  
وقد نشأ عليه الناشيء ، ورسى به الطفل (٣) .

- 
- (١) : الاغانى : ج ٢ ، ص ١٤٦ ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٩ م .  
(٢) : انظر المصدر السابق نفسه وصيه عبيد الله بن شداد لابنه محمد حين حضرته  
الوفاة .  
(٣) : الجاحظ ، الحيوان : ج ٧ / ص ٢٨٩ .

## الفصل الثالث

### المفاهيم الإيجابية

- ١- المناحي الاجتماعية .
- ٢- المناحي الفكرية .
- ٣- المناحي الاقتصادية .
- ٤- المناحي التربوية .

## المناحي الاجتماعية

• حل المشاكل الاجتماعية.

• تسجيل خيانة القبائل ودمها.

• مواقف وقیم إيجابية أخرى.



كان الشعر في الجاهلية مطولات شغلت الناس ، ومقطعات لم تأخذ مكانها  
لا عند الجاهليين ، ولا عند الإسلاميين ، ولكن حركة التكوين لم تهبط لها .  
وإذا كانت المطولات قد عاشت مادة لمتحارلين (في خصومة طويلة ، بين مشكك  
ومثبت ، فان المقطعات لم تكن كذلك .

من هنا تكون المرأة التي تعكس لنا الحياة الاجتماعية الجاهلية بكل  
دقائقها ، بشكل يجعلها سجلا لكل ما وقعت عليه عين الجاهلي ، أو دارفيه  
فكره فعلل ، وقدم هذا التعليل بشكل سريع ، فالبيتان والثلاثة والأربعة  
والخمس قادرة على تصوير حدث ما ، أو معتقد ما دون خضوع لمراقبة الشاعر  
لنفسه ، ودون خضوع للزمن ، وهي الشعر الفوري ، كما التصوير الفوري ،  
يعلق على الحادثة ويخلدها قبل أن تنسب عن الأذهان والوجود ، إنها  
متحف فني مؤلف من آلاف الصور الفردية لم تعرض في معرض معين .

في كل عصر زوايا معتمدة لا تستطيع كل القوائد الوصول إليها وانارتسها ،  
ولكن المقطعات تستطيع ذلك لأنها في الأصل مبنية لتلك الزوايا ، فيكون حديث  
المقطعات قادرا على وصف الضئيل والغريب من الأمور مهما كان صغيرا . كما  
يتنوع حديثها عند أصحابها ، فلا يتركون شيئا دون أن يصفوه مهما كان  
ضئيلا منبوزا ، " من عظم بال إلى حجر مآروح ، وابل ، وجعل ووردة ،  
وحية ، وخنفساء ، وكل المظاهر الطبيعية (٢) " .

والمظاهر الاجتماعية أيضا جناحها في معرض المقطعات واسع كسبير :  
يوميات الأفراد ، عاداتهم ، تقاليدهم ، قيمهم ، ومثلهم ، أمانهم أعتلام  
الشباب منهم ، وطموح الرجال ، وضع المرأة ومكانتها بينهم . ويقتلني  
الدخول إلى المعرض الذي تشكل المقطعات هو القلم الموضح لكل هذه  
الأمور

---

(١) : انظر طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٢٧ م .

وانظر مصطفى صادق الرافعي ، تحت راية القرآن ، ص ١٦٧ وما بعد

الطبعة السابعة ، بيروت ١٩٧٤ م .

(٢) : الحيوان ، للجاحظ ج ٦ / ص ٢٧٧ ، طبعة عبد السلام هارون .

## حل المشاكل الاجتماعية :

=====

الشعر قادر ، وليس كل شعر قادرا ! . . . وقدرة التحويل والتبديل موجودة في زبينة الشعر الايجابي الذي يدفع النفوس الى سبيل الرشاد ، والخير ، والعلوبها نحو أهداف يسمى اليها المفكرون والأدباء . وقد أدرك الشعراء واجههم نحو مجتمعهم ، فتحركوا نحو حل كثير من مشاكله ، ونستطيع أن نقف في الجانب الايجابي على مثالين اثنين لبيان أثر الشعر في دفع النفوس نحو طريق سليم ، يخطط مراحل زمنية كثيرة ، ويحرق شوطا من الزمن طويلا .

الاول : يمثل قدرة الشعر فردا في القضاء ، على مشكلة اجتماعية معقدة ، كان الجاهلي يعاني منها كثيرا .

والثاني : يمثل القدرة الاعلامية للشعراء في اطفاء نار الحرب بين الاخوة والاعمام وأفراد الجنس العربي .

أما قدرة الشعر فردا فنثاله عند الشعراء الذين كانوا يحسون بالآلام الناس من المفاهيم الخاطئة ، التي أوجدتها ظروف مختلفة مجتمعة ، فعانى المجتمع الجاهلي منها وتمنسى الخلاص ، ولكن من الناس يملك القدرة على محاربة المفاهيم الموروثية ؟ . . . ليس لها الا أناس يملكون احترام المجتمع ، ولهم حماية جماعية ، وهوؤلاء هم الشعراء في مجتمعهم الجاهلي . والامثلة كثيرة نكتفي بواحد منها ، فنقف عند الاعشى (١) الشاعر ، والمخلق الرجل التائه في أنواع المفاهيم التي تزور أمثاله من الناس ، بإغرات القيم ، والنظر الى المرأة على أنها عيب ثقيل يجب التخلص منها بأودها ، أو يذلها وهوانها ، والنظر اليها على أنها عالة وهمل ثقيل . ومهما كانت الاسباب الواعية ، وغير الواعية التي كانوا يتذرعون بها فسللا عذر لهم في دوامة المقت التي كانوا يغمسون فيها المرأة دون رحمة أو شفقة . وهكذا كان دأبهم في المدر والوبر ، يبحشون عن أودية يتوارون فيها من القوم حين يبشر الواحد منهم بالانثى كما في الشريعة القرآنية التالية :

\* " وانا بشر أهدهم بالانثى ظل وجهه سودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما يشربه ، أمسكه على هون أم يدسه في التراب ؟ ألاساء ما يحكم (٢) أول . "

(١) : ميمون بن قيس بن جندل : تنحو ٦٢٩ م . انظر اخباره في الاغانى

ط . دار الكتب ، ج ٩ / ص ١٥٤ - ١٥٦ ، وانظر ديوان الاعشى . . ط لندن

١٩٢٧ ، تحقيق المستشرق غاير .

(٢) : سورة النمل : الايتان / ٥٨ - ٥٩ .

انها محاربة للتشاؤم بها ولولا دلتها جاء به القرآن ، كما أسس لها مكانة عالية في المجال الانساني ، والاهتماعي ، والعقوبي ليهدر سواد الوجهه ، ويهدد الخوف من نفوس الرجال .

ومما يؤيد أن عِلْيَةَ القوم كانوا على غير ذلك ، فالفرز بالطبقي وارد هنا تماما أيها الناس ، فحال بنات الاشراف لم يكن كذلك .

وهكذا خلص الجاهليون بأنفسهم ، لانفسهم ، مفهوم اجتماعيا متخلفا عاشوا في دوامته ، وعمقوا مأساة المرأة العربية ، وأشعروا الرجل المثنى بأنه وضعف منبوذ ، كما نبذوا المرأة المثنى ، فكان هذا الأمر أحد الأسباب التي أدت الى تعدد الزوجات بحثا عن الذكور ، في مجتمع وسيلة الانتاج فيه يدرجل ، ووسيلة الحواصل فيه يد رجل ، وآلة الدفاع فيه يد رجل . وقد تجاوز قوم من العرب مازالوا على خفاف الفرات ، كل المواقف الاسلامية الرامية الى بيان الانسانية ، التي أناطت أمر الذكر والانثى بالذات الالهية العليا (٢) \* يخلق ما يشاء ويهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور وتجاوزوا معطيات العصر وكفاح الاحرار من الفكريين الذين قادوا حركات " ثورية مبررة لتحريم المرأة ، تجاوزوا - على حد مفاهيمهم - الدين والدنيا وعادوا الى نظرة أجدادهم الجاهليين في التوارى من القوم ، أودس الوجهه في التراب إذا ما بشر بالأنثى . فانظر الى أى حد كان خطر هذا المفهوم السلبي . من هنا يصبح المتصدى لهذا المفهوم ، المفلح في إزالته ذا مكانة عالية بين صفوف المنفيين المفكرين الاحرار .

في هذا الوضع الاجتماعي الصعب يأتي نوع من الشعر فيذيب جليد المفهوم المتخلف ، ويرفع ضيم الرجل المثنى ، وحيف المرأة ، متجاوزا حالهم الى حديث " حريري " عن الاخلاق ، والقيم الكريمة التي تهم الفرد فسي المرأة ، وتعمق احساس الناس بمكانتها .

ومع أن وعي بعض الشعراء كان قاصرا في معالجة هذا المفهوم ، الا أنه كان مقبولا منه ان ينافح بوعي مهما كان مدته .

وقد اشتهر الأعشى بحادثة طريفة عندما قدم ملكة ذات يوم ، فتسامع به الناس ، وسمعت به امرأة عاقلة ، عاتلة على رفع قيود ، وتحطيم اغلال

(١) : لاحظ الامالي ، لابي على القالي : ج ٢ / ١٠٤ ، دار الكتب المصرية القاهرة .

(٢) : سورة الشورى : آية ٤٩ .

ترسّف بها وبناتها ، قيل : هي زوجة (١) للمخلق وقيل : بل امه ، ونحن نقول : هي المرأة .... التي قالت لزوجهها ، للرجل : ان العشى قدم ، وهو رجل مفوه مجدود في الشعر ، ممدوح احدا الا رفعه ، ولا هجا احدا الا وضعه ، وأنت رجل كما علمت فقير خامل الذكر ذوبنات ، وعندنا لقمة نعيش بها ، فلو سبقت الناس اليه فدعوته الى الضيافة ، ونحرت له ، واحتلت لك فيما تشتري به شرابا يتعاطاه ، لرجوت لك حسن العاقبة ، فسبق اليه المخلق ، فأنزله ونحّرله ، ووجد المرأة قد خبزت خبزا وأخرجت ( نَحِيًّا ) فيه سمن وجاءت بوطب لبن ، فلما أكل الاعشى وأصحابه ، وكان في عصابة قيسية ، قدّم اليه الشراب ، واشتوى له من كبد الناقصة وأطعمه من أطيايها ، فلما جرى فيه الشراب ، وأخذت منه الكأس سأله عن حاله وعياله ، فعرف البؤس في كلامه ، وذكر البنات ، فقال الاعشى كفيت أمرها (٢) - ، وأصبح بعكاظ ينشد قصيدته :

أَرَقْتُ وَمَا هَذَا الشَّهَادُ الْمُوَرَّقُ      وَمَا بِي مِنْ سُقْمٍ وَمَا بِي مَعْشَرُ (٣)  
ورأى المخلق اجتماع الناس ، فوقف يستمع ، وهو لا يدرى أين يريد الأعشى بقوله ، الى أن سمع :

كَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عَيُونٌ كَثِيرَةٌ	الى ضوء نارٍ اليغاع تَهـ (٤) سُرُّ
تَشَبُّ لَمَقَرَّوْرَيْنِ يَصْطَلِيَانِـهـَا	وبات على النار الندى والمحلـ (٥) لُ
رَهْيَعِي لَبَانٍ قَدِّي أُمَّ تَحَالِفَا	بأسحـ داج عَوْضُ لَا نَتَفـ (٦) سُرُّ
تَرَى الْجَوْبَ يَجْرِعُ ظَاهِرًا فَوْقَ وَجْهِهِ	كما زانَ متنَ الهندواني رَوْنـ (٧) لُ
نَفَى الدَّمَّ عَنْ آلِ الْمَخْلُقِ جَفَنَةً	كجابية الشيخ العراقي تَقَهـ (٨) لُ

(١) : العمدة في محاسن الشعر ، لابن رشيق القيرواني ج ١ / ص ٤٨ ، بيروت ٩٧٣

(٢) : ديوان الاعشى ص ١١٦ ، بيروت ٩٦٠ دار صادر ، دار بيروت .

(٣) : يروي ( أرقنت ) على الخطاب ، وما بك ، وما أثبتناه ، رواية الديوان .

(٤) : اليغاع : ما ارتفع من الارض .

(٥) : المخلق : ممدوح الشاعر وهو المخلق بن خنثم بن ربيعة الكلابي ، والديوان ص ١١٦

(٦) : بأسحـ داج : أن بليل أسود . عوض : أبداً .

(٧) : الهندواني : السيف المنسوب الى هند .

(٨) : تفهق : تفيض ، الجابية : الحوض الضخم : الشيخ العراقي : قيل

أراد به كسرى .

تري القوم فيها شاربين ، ودونهم من القوم ولدان من النسل دَرَفُ (١)  
طويل اليدين ، رهطه غير ثنية ، أشم كريم جاره لا يرهن (٢) - قُ

ما أتم القصيدة ، الا والناس ينسلون الى المعلق يهنئون ، والاشراف من كل قبيلة يتسابقون اليه جريا يخطبون بناته ، لمكان شعر الاعشى ، فلم تمس فهن واحدة الا في عصمة رجل أفضل من ابيا ألف ضعف (٣) ف وحسبك من الاعشى أن امرأة كسدت عليها بناتها ، فرغبت إليه في أن يشيب ، بواحدة منهمن لعلها تنفق ، فشيب الاعشى بإحداهن فتزوجت ثم شيب بالثانية فوجدت قرينا ، ثم شيب بالثالثة فأسرع اليها الخاطبون ، ومازال يشيب بهن واحدة واحدة ، ويتقاضى على ذلك جزورا حتى زوجهن جميعا (٤) .

وبهذا يكون الشعر قد خدمنا فقدم لنا صورة اجتماعية تمثل العواصل التي تشد الناس الى الزواج ، فاذا بالكرم عامل جذاب يشد الناس الى صاحبه ويزاوجونه ، واذا بالشهرة والمفاخرة التي يجلبها الشعر تنتج ماهرة وخلاصا من واقع مؤلم ، وتحطم مفهوما اجتماعيا متخلفا . كل هذا بفضل حسن استخدام الشاعرية ،

وأما الذي يشل قدرة الشعر قوة في اطفاء نار الحرب بين الاعلام والافراد العرب ، فهو عند زهير بن أبي سلمى . وقد رأينا فيما مضى أن وعي الشاعر لا يكاد ينفصل عن وعي القبيلة ، واذا كانت العلاقات الانسانية داخل القبيلة قد قامت على التأييد والتضامن ، فانها مع القبائل الاخرى تقوم على التافس والتناحر . واذا قامت حرب بين قبيلتين ، فانه من النادر كبح جماحها ، ولما كان زعماء القبيلة أنفسهم لا يملكون القوة التنفيذية أيضا ، فقد انعدم عند البدو وجود القانون الجنائي وأمسى من الضروري أن يفزع كل فرد الى استخلاص العدالة من قاتل نسيه أو سلبه ، بالطرق الشخصية .

(١) : التنية : الذي دون السيد . لا يرهن لا يضايقه الدائنون بالمطالبة .

والأبيات رواية الديوان ، ص / ١٢٠ - ١٢١ ، بيروت ١٩٦٠ م .

(٢) : العمدة : ج ١ / ص ٤٩ ، بيروت ١٩٧٢ ، الطبعة الرابعة ، دار الجيل

(٣) : الاغاني : ج ٨ / ص ٧٩ ، طبعة الساسي .

(٤) : كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ص / ٤٩ ، طبعة / ٤ ، دار

العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٥ .

وصحيح أن من واجب الزعماء في القبيلة أن يعلموا على إيجاد تسوية بين المتخاصمين ، من غير أن يهلكوا حق فرضها عليهم ، ولكن العشائر كثيرا ما لا تنتهي الى الأخذ بهذه التسويات الا بعد أن تكون قد تقانست ودقت بينها عطر منسليم (١) .

وإذا كانت الحال هكذا ، فإنها بحاجة الى شاعرية قوية يمتلكها شاعر فيه ميل شديد الى الخير والمحبة والسلام ، يملأ عقول القوم بشعر عظيم فيه تصفية للإحسان والبغضاء وتنقية لقلوبهم من الضغائن والشارات ، ويدمل الجراح ويوحد بين الصفوف .

ويلمع بين شعراء الجاهلية زهير بن أبي سلمى يرسى دعائم السلام فسي أشهر قصائده ، وهي معلقة التي نظمها مشيدا بهرم بن سنان والحرث بن عوف حين سعيها بالصلح بين ذبيان وعيس ، اللتين خافتا حربا ضرورا فلي المذبحة المشهورة بحرب داحس والغبراء .

قد أدرك زهير وظيفته فشذ من ذوق الجاهليين وأفكارهم التي تطالب بالشأ وتدعو الى القتال وسفك الدماء ، وقضى يظهر سلبيات الحرب في صور مفرعة مخيفة ، لمل الناس يرتدعون عنها وينتهون منها . فهي حينئذ أسد مفترس ، وحينئذ آخر نار ملتهبة تلتهم الأخضر واليابس ، وثالثة رهي تطحن الناس بلا رحمة ولا رأفة ، ورابعة حامل تلد ناراً الشوم .

ولم يفته أن يسخر من الحرب ، ويتهكم بها عن طريق عرض الصور التي تنبه الى خطورة الحرب العسة التي تغل لهم ما لا تغله أرض العراق من الغلال ، والدراهم : قال (٢) :

وما هو ، عنها ، بالحديث ، المرجل (٣) ،	والحرب إلا ما علمت ، وذقتكم
وتضر ، إذا أضريتوها ، فتض (٤) ،	متى تبعثوها تبعثوها ، ذميمة
وتلقح كشافاً ، ثم تنتج ، فتت (٥) ،	فتعركم عرك الرحي ، بشغالها
كأحمر عاد ، ثم ترزع ، ففطيم	فتنتج لكم غلمان أشام ، كلهم

(١) المصدر السابق نفسه ص ١٩ .

(٢) : شرح القصائد العشر ، صنعة التبريزي ، تحقيق : فخر الدين قباوة ،

ص ١٨١ ، حلب ١٩٧٣ .

(٣) : الحديث المرمج : الحديث المظنون .

(٤) : تبعثوها : تهيجوها . تضرى : يقال ضرى الاسد : اذا تهاى للفريسة .

وتضرم : تشتعل ، وأضرى : درب وعور

(٥) : تمركم : تطحنكم . الثقال جلد ، يجعل تحت الرحي حين تحطن . وتستخدم في أيامنا هذه ( في البادية عندنا ) للف الخبز ، ويقال له : تقال الخبز .

فَتَقَلِّلْ، لَكُمْ، مَا لَا تُغَلُّ لَاهِلِهَا قَرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ (٢)، وَدِرْهَمٍ،  
وتصوير سلبيات الحرب، وما تخلفه وتنتجه من مصائب، وويلات دعوة إيجابية  
في الالتزام بأمر السلام. والدعوة إلى الخير والطمأنينة. ثم يعطف على ما هم  
فيه من بوار فيصور حروبهم التي توردهم موارد تزخر بالرماح والدماء، فيقول:  
رَعَوْا مَا رَعَوْا، مِنْ ظَنِّهِمْ، ثُمَّ أَوْرَدُوا غَمَارًا، وَتَفَرَّى، بِالسَّلَاحِ، وَبِالسِّدِّمِ،  
فَقَضُّوا مَنَازِلًا، بَيْنَهُمْ، ثُمَّ أَصْدَرُوا إِلَى كِلَا، سُتُوبِلٍ، مَتَوَخَّسٍ (٣)،  
فهو ينشد السلام من بابه الواسع، ويقومه على النية الطيبة والرغبة  
الصادقة ليدوم ولينتفع الناس به.

كان زهير أخلاقياً اجتماعياً، مرتفعاً في تفكيره وفي مثاليته على المستوى السائد  
في عصره الجاهلي، ومقاوئته لمقاييس الجاهليين الذين كانوا يتباهون بالبطش  
والاستبداء وقسوة الانتقام، ونزعتهم العميقة إلى السلم والتصالح، وحملته القوية  
الحارة على الحرب ويطولاتها الدموية، ومدححه الجميل المخلص لأفراد سموا  
هم أيضاً بطباعهم وعاداتهم على الشائع المألوف في ذلك العصر. كل هذا  
يحلّه في ضميرنا الحديث محلاً رفيعاً (٤).

وعلى الصعيد الفردي نجد زهير بن أبي سلمى، يستخدم شاعريته في  
تدعيم خط الخير والصلاح والعدل، فيحسم الموقف. وذلك فيما كان من  
غارة الحارث بن ورقاء الأسدي على عشيرة زهير، فساق إبلاً وغلاماً لزهير يسمى  
يسارا. وغضب زهير غضباً شديداً، وهنده أن لم يرد عليه إبلاً أن يهجمه  
هجاءً مقدعاً، مذكراً له بما بين عشيرتهما من موثيق وعهود نقضها نقضاً،  
واكتفى بالسخرية قائلاً:

وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي أَقُومُ آلَ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءً

وهو إلى ذلك ذو شعر حكيم فيه أخلاق ومحبة وإخاء، ومقدرة كبيرة في

(٦): قَالَ الْأَصْمَقِيُّ: 'يُرِيدُ: أَنَّهُ تَقَلُّ لَهُمْ دَمًا، وَمَا تَكْرَهُونَ، وَلَيْسَتْ تَقَلُّ لَهُمْ  
ما تَقَلُّ قَرَى الْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهَمٍ.

وقال يعقوب: هذا تهكم وهزء، يقول: لا يأتيكم منها ما تسرون به، مثل  
ما يأتي أهل القرى، من الطعام والدرهم. ولكن غلة هذا عليكم، ما تكرهون.  
شرح التبريزي السابق الذكر، ص ١٨٤.

(٢): القفيز: وزنة ثمانية أرطال، وشمه ثلاثة دراهم بوزن الشقال، وانظر  
الماوردي الأحكام السلطانية ص ١٦١ وما بعدها.

(٣): النهوي، محمد: الشعر الجاهلي ج ٢ / ص ٦٤٦.

(٤): قوله: ثم أصدرُوا إلى كِلَا، أي: إلى أمر استوضحوا عاقبته، وهذا مثل.

استخدام الايجابية في الشعر ، وقد كان عمرو بن الخطاب يعجب بقوله :  
 فَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَاءُ (١) لَاءُ  
 وكان يقول : لو أدركته لوليت القضاة لحسن معرفته ودقة حكمه (٢) .  
 وقد أدرك الشعراء دورهم في مواجهة الولاة الطغاة ، فانقسموا قسمين .  
 بعضهم انتهج الواقعية الشورية ، فراح يفضح طغيان الملك ، ويظهر جور  
 ليعمق احساس الناس بالمصائب التي يصبها عليهم الطغ الحائر ، فيرفض  
 الانقياد للقصور ويكشف للجماهير باطنها فاضحا اصحابها كما في قول شاعر  
 جاهلي يفضح حكم عمرو بن هند (٣) في الحيرة :

أَبَى الْقَلْبُ أَنْ يَهْوَى السَّدِيرَ وَأَهْلُهُ وَإِنْ قَبِلَ عَيْشٌ بِالسَّدِيرِ غَرِي (٤) رُ  
 بِهِ الْبَيْتُ وَالْحَقُّ وَأَسَدٌ خَفِيَّةٌ وَعَمْرُو بْنُ هَنْدٍ يَحْتَدِي وَيَجْشُرُ  
 ويفضح بعضهم الآخر بطريقة جمع الضرائب ، ويهدد بقتل الملوك الذين يسلبون  
 الشعب ويثقلون كاهله بالضرائب ، والإثارات التي يوءدونها في أسواق العراق  
 وغيرها من أسواق العرب ، ويلوح بالدم مهددا ، بقول جابر بن حنن

التغلب (٥) لبي :  
 وَيَوْمًا يَهْوَى لَدَى الْحَشَارِ مِنْ يَأْجُوقِهِ (٦) (٧)  
 وَفِي كُلِّ أَسْوَاقِ الْعِرَاقِ إِتْكَؤَةٌ  
 لَا تَسْتَحِي مَنَا مَلُوكُ وَتَتَّقِي  
 نَعَاطِي الْمُلُوكِ السَّلَامَ مَا قَصَدُوا بَنَا  
 يَزْبِزُ وَيَنْزِعُ ثَوْبَهُ مَطْلُظَمٌ (٨)  
 وَفِي كُلِّ مَابَاعٍ أَمْوُهُ مَكْسُ دِرْهَمٍ  
 مَحَارِمًا لَا يَبُوءُ الدَّمَ بِاللَّدَمِ  
 وَلَيْسَ عَلَيْنَا قَتْلُهُمْ بِمَحْرَمٍ (٩)

- (١) : النفار : هي المنافرة الى شيوخ القبائل للحكمة والجلالة : انكشاف الامر .
- (٢) : كتاب الصناعتين : لابي هلال العسكري . ص ٣٤٢ . طبعة عيسى البابي  
 الحلبي ، القاهرة .
- (٣) : ٥٥٤ - ٥٦٩ م .
- (٤) : الاغانبي : ج ٢١ / ص ١٢٦ ، طبعة الساسي .
- (٥) : انظر ترجمته في معجم الشعراء للمرزباني . ص ٢٠٦ .
- (٦) : الحشار : الجابي بحشر المال .
- (٧) : يَلْوِي : يمطل .
- (٨) : يَزْبِزُ : يتمتع ، أى يدفع .
- (٩) : الأصمعيات : ص / ٢١١ ، دار المعارف بمصر ، تحقيق  
 عبد السلام هارون .



فهذه صورة رائعة مظلومة في أدبتنا القديم فيها فضح لمظالم السلوك ، وكشف لمواقف الشعراء الايجابية التي كانوا يتخذونها من مجتمعهم ، فالصورة تفضح الجاسي الذي كان يحشر المال حشرا ، وتظهر لنا طريقة انتزاع الضرائب . فذلك الذي يمتلئ ( يلوى ) يرغم على الدفع وينزع عنه ثوبه ويجلد حتى لا يعود الى تأخير الدفع وتتحدث القصيدة عن الخراج الذي يدفع في كل أسواق العراق ، للملوك ، فكل سلة عليها دراهم معينة يجب أن تدفع ! .. وهذه اللوحة مشحونة بنفَس المعاصرة ، فكثير من القرى العربية كانت الى حد قريب جدا تعيش طريقة جمع الضرائب الجاهلية التي تحدث عنها الشاعر ، حيث العنف والإرهاب والقسوة لمن يتأخر عن الدفع ومثلها مع السجن وربما القتل لمن لا يدفع ( ١ ) .

واتخذ بعض الشعراء الآخرين مواقف اصلاحية فيها الاستجداء والاستعطاف وذلك أن بعض الملوك كان يهيم بغزو بعض القبائل ، فيستعطفه شعراؤها راجين منه الا يفعل . فقد روى أن عمرو بن المنذر الأكبر هم يغزو عبد القيس فقال المـ ( ٢ ) العبيدي يستعطفه :

أَحَقُّ أَيْتَ اللَّعْنِ أَنْ أَبْنَ فَرْتَنَا	على غير إجرام بريقي مُسْرِقِي ( ٣ )
فَإِنْ كُنْتُ أَكُولًا فَكُنْ خَيْرَ أَكِيلٍ	وَالَا فَأَدْرِكْنِي وَلَمَّا أَمَزَزِي
وَوَطْنِي بِهِ أَنْ لَا يَكْدُرَ نَعْمَانُهُ	وَلَا يَقْلِبَ الْأَعْدَاءُ مِنْهُ بَعْلُ ( ٤ )

- 
- ( ١ ) : انظر عبد الله النديم . البطل الثوري في كتاب محمد أحمد عطية .  
البطل الثوري في الرواية العربية ، نشرات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٧ .
- ( ٢ ) : وهو شأس بن نهار من بني عبد القيس ، انظر اخباره عند المزياني في  
معجم الشعراء ص ٤٩٥ .
- ( ٣ ) : ابن فرتنا : يراد به اللثيم .
- ( ٤ ) : الأصمعيات ص ١١١ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤ م

تسجيل خيانة القبائل وذمها :

=====

ويعمل الشعر الايجابي علمه فيحافظ على العمود والمواثيق بطريقة طريفة  
يخشاها العرب ويهربونها .

والطريقة تعتمد على سجل يضبطه هذا الشعر بخيانة من يخون أو يفدر  
من القبائل، تشهيراً واطهاراً للخيانة الفردية أو الجماعية ، على أنها أمر  
محقر منبوز ، فينفّر الناس منها ويبتعدون عنها .

اعتمد الشعراء لهذا الأمر الصور التي تقوم على عناصر السخرية والهزء ،  
كي تولد طاقة الكره والاشمئزاز من الشر وعناصره ، ويتعود الناس الأمانة  
والوفاء فيستقيم المجتمع ، وتحترم المواثيق ، وتسود الثقة بين الناس المحتاجين  
اليها حقاً وحقيقة .

وقد سجل أعشى<sup>(١)</sup> باهله لبني نفيل خيانتهم ، وغدرهم بالمنتشر<sup>(٢)</sup> الذي  
خرج يريد مكاناً ، وكان بنو نفيل أعداء له ، فغدر<sup>(٣)</sup>وا به بعد أن آمنوه ، فلجأ  
الشاعر الى فضح من لم يحترم عهده ولا مواثيقه ، فلا تأمنه العرب بعدها  
فقال يفضح صاحب رأى الغدر بعد الأمان هند بن أسماء ، وقبيلته نفيل :  
أَصْبَتْ فِي حَرَمٍ مِّنَّا أَهَانَةً هِنْدَ بْنَ أَسْمَاءَ لَا يَهْنِي لَكَ الظُّفَرُ  
إِنَّمَا سَلَكْتَ سَبِيلًا كُنْتَ سَالِكَهَا فَاهْبِ فَلَا يَبْعَدُكَ اللَّهُ مُنْتَشِرًا  
لَوْ لَمْ تَخْنِهِ نَفِيلٌ وَهِيَ خَائِنَةٌ أَلَمْ بِالْقَوْمِ وَرَدَّ مِنْهُ أَوْ صَادَرُ  
وقد كان الشاعر الجاهلي يغتفر بضمير الجماعة التي يثلمها ، ويرى مجده  
من مجدها ، وعزته من عزتها ، فيقف منافحاً عنها ومادحاً في سبيلها  
من يرى أنهم يضايقون أفرادها ، ويشفع لهم ليخلصهم من الذل إن حل بهم  
أو الأسر إن وقعوا فيه .

وترتفع نسبة وعيه عالياً حين لا يقنع الا بخلاصهم جميعاً .

كان الحارث بن أبي شمر<sup>(٤)</sup> الغساني قد أوقع المنذر بن<sup>(٥)</sup> ماء السماء  
فقتله وأسر جماعته من أصحابه ، فيهم شأس بن عبدة ، ثم من بني حنظلة مائة

( ١ ) : عامر بن الحرث بن رياح ، وهو شاعر جاهلي مجيد من أصحاب الأصمعيات .

( ٢ ) : المنتشر بن وهب بن سلمة ، أخو أعشى باهله لأمه كان لقومه رأساً وشهاباً

يستضيئون به .

( ٣ ) : انظر خبر مقتله في خزنة الأدب للبغدادى .

( ٤ ) : الأصمعيات ، ص ٩٢ ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية .

أسير . فوفد علقمة بن عبدة الشاعر ، وهو أخو شأس على الحارث مستشفعا  
مادحا ، الا ليخلص أخاه وحده ، وانما طمعه في تخليص جميع الاسرى ، ثم  
دخل عليه ، وأنشده (١) :

إلى الحارث الوهاب أظلت ناقتي      لككلها والقصريين وجربب  
إليك أبيت اللعين كان وجيفها      بمشتبهات هؤلهن مهـ (٢) يب  
وهداني إليك الفرقدان ولا حيب      له يوم أعلام المتان علنوب  
فلاتحرمني نائلا عن خبايصة      فاني امروء وسط القباب غريب  
وفي كل حي قد خبطت بنعمة      فحق لشأس من ندادك ذنوب  
فلما بلغ الى قوله : " فحق لشأس من ندادك ذنوب " قال الملك : إي  
والله وأذنبه ، ثم أطلق شأسا وقال له : ان شئت الحباء وان شئت  
أسراء قومك ؟ وقال لجلسائه : ان أختار الحباء على قومه فلاخير فيه .  
فقال : أيها الملك ماكنت لاختار على قومي شيئا . فأطلق له الأسرى  
من تميم وكساة وحباء ، وفعل ذلك بالأسرى جميعهم وزودهم زادا كثيرا  
فلما بلغوا بلادهم أعطوا جميع ذلك لشأس وقالوا : أنت كنت السبب في  
اطلاقنا فاستعن بهذا على دهرك ، فحصل له مال كثير من ابل وكسوة  
وغير ذلك (٣) .

(٥) : الحارث بن أبي شمر الفسائي ( ٨٠٠ هـ - ٦٧٠ م ) من أمراء غسان  
في أطراف الشام . كانت اقامته بغوطة دمشق . وأدرك الإسلام فأرسل  
اليه النبي (ص) كتابا مع شجاع بن وهب . ومات في عام الفتح ، الأعلام  
ج ٢ / ص ١٥٧ .

(٦) : هو المنذر بن أمية القيس الثالث ابن النعمان بن الأسود اللخمي ،  
وماء السماء أمه . ثالث المناذرة ملوك الحيرة وما يليها من جهات العراق  
في الجاهلية ، ومن أرفعهم شأنًا وأشدهم بأسا وأكثرهم أخبارا . الأعلام  
ج ٨ / ص ٢٢٦ .

(١) : انظر الكامل في التاريخ ، ابن الاثير الجزري ، ج ١ / ص ٥٤٦-٥٤٦ / بيروت ١٩٦٥  
(٢) : في الديوان ، وفي الأصول : كان وجيبها . والوجيب : ضرب من  
سير الابل والخيول ، أما الوجيب فهو الاضطراب .  
(٣) : الكامل في التاريخ ، لابن الاثير : ج ١ / ص ٥٤٥ - ٥٤٦ / بيروت ١٩٦٥ .

فانظر كيف حل هذا الشعر وثاق الاسرى وبدل وجهة نظر الحارث فجلا  
القلوب من إحبتها ، وأثر في مسار الأحداث ، وهى القبيلة ، وغيرها ممن  
عرفهم الشاعر . وعاد عليه بالغائدة المادية ، وإذا كان هذا الشعر قد  
حرك فردا ليحل مشاكل المجموع ، فان شعرا يحرك مجموعا لتحل مشاكل  
الأفراد ، ويؤدي الى تشكيل حلف لحماية المظلوم والذود عن الضعيف .  
تحدثت كتب الأدب (١) وغ (٢) ليرها عن سبب تشكيل حلف الفضول ، ومفاد  
الحديث أن رجلا من بني زبيد قدّم مكة معتمرا في الجاهلية ومعه تجارة  
له ، فاشتراها منه رجل من بني سهم ، فأواها الى بيته ، ثم تغيب  
فابتغى متاعه الزبيدي ، فلم يقدر عليه ، فجاء الى بني سهم يستعديهم  
عليه ، فأغلظوا عليه ، فعرف أن لا سبيل الى ماله ، فطوف في قبائل قريش  
يستعين بهم ، فتخاثلت القبائل عنه ، فلما رأى ذلك أشرف على أبي قبيس (٣)  
حين أخذت قريش مجالسها في المسجد ، ثم قال :

يَا آلَ فِهْرٍ لِمَ ظَلَمْتُمْ بِيضَ عَيْنَيْهِ	بَيْطُنُ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفَرِ
وَمَحْرَمٍ شَعْبٍ لَمْ يَقْضِ عَمْرَتَهُ	بِالرَّجَالِ وَبَيْنَ الْحَجَرِ وَالْحَجَرِ
هَلْ سَخَّرَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ بِخَفَرَتِهِ	فَعَاذِلْ أَمْ ضَلَالُ آلِ مَعْتَبٍ (٤)
إِنَّ الْحَرَامَ لَمَنْ تَمَتَّ حَرَامَتُهُ	وَلَا حَرَامَ لثَوْبِ الْفَاجِرِ الْغُدَرِ (٥)

فاجتمعوا في دار عبد الله بن جُدعان ، ووضع لهم طعاماً يومئذ كثيراً ، وكان  
رسول الله (ص) يومئذ معهم ، قبل أن يُوحى الله إليه ، وهو ابن خمس وعشرين  
سنة . فاجتمعت بنو هاشم وأسد وزهرة وتيم ، وكان الذي تعاقده عليه القوم :  
تحالفوا على ألا يُظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد الا كانوا معه ،  
حتى يأخذوا له بحقه ، ويؤدوا اليه مظلمته من أنفسهم ومن غيرهم (٥) .  
وفي هذا أنشد بعض أهل العلم قول بعض الشعراء (١) :

تَيْمٌ بَنَ مَرَّةً إِنْ سَأَلْتَ وَهَاشِمٌ	وزهرة الخير في دار بن جُدعان
متحالفون على الندى ما غررت	ورقاء في فنن من جزع كتمان

(١) : الاغانى : ج ١٧ / ص ٢٨٧ ، والكامل ، والاوائل ج ١ / ص ٧١ - ٧٤

وسبب تشكيل الحلف مختلف فيه ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٠ .

(٢) : السيرة النبوية ، لابن اسحق : ج ١ / ص ١٤٠ .

(٣) : اسم جبل في مكة .

(٤) : الخفرة : الذمة

(٥) : هناك رواية أخرى للأبيات

(٦) : الاغانى : ج ١٧ / ص ٢٨٩ ، ط الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٠ .

(٧) : المصدر السابق نفسه / ص ٢٩١ .

لقد فرز الموقف الايجابي مفهومًا ايجابيًا في الشعر ، فأدَّى الى تشكيل هذا الحلف، أو شارك في الحماس والاباء لحفظ حق الغريب والقريب ، فكان ، بمثابة الحكومة التي تضرب يد الظالم والباغي ، لتعيد الحق الى نصابه . وفيما بعد ظهرت آثار الحلف الايجابية واضحة جليلة . جاء رجل من قبيلة ( غشعم ) الى مكة وصحبته ابنة جميلة له يقال لها ( القتول ) فعلقها رجل يقال له ( هبيرة بن الحجاج ) وعلب أباها فيها ، فأتى أبوها حلف الفضول فمنعوها منه ، وهانوا عرضها ، فقال نبي (١) له

لولا الفضول وحلفُها	والخوفُ من عدوانِها
لدنوتُ من أبياتِها	ولطفتُ حول خيبتها
وشرتُ فهللة ريقِها	ولنمتُ في أحشائها

وهذا يعكس لنا مهمة الحلف الذي أخذها على عاتقه ، والمتمثلة بحماية المال والعرض ولا شك أن هذا الامر غاية ما يريد المرء في هذه الحياة ، الطمأنينة والحماية والسلامة لكل ما يملك .

ويجب أن نلاحظ فوائد قريش التي تجنيها من وراء هذا الحلف ، فحين يعلم التجار أن بضاعتهم مؤمنة في مكة ، وأن حقهم مضمون ، فإنهم سوف يوجهون قوافلهم إليها ، فتتحرك الاسواق التجارية وتعود عائدات مالية كثيرة على أهل مكة .

وهكذا فحصادُ مَدْيٍّ وَمَعْنَوِيٍّ ، ومن هنا أثبت موجودية تاريخية مازالت في المعاصرة ايجابية .

والقيم الاخلاقية التي تغنى بها شعراء الجاهلية كثيرة تصور المفاهيم الفاضلة التي كانت عرضة لكثير من الباهشين والمفكرين (٢) (٣) .

فالحلم ، والكرم ، والوفاء ، والشجاعة ، والصدق ، والدفاع ، عن همى القبيلة ، وحماية الجار ، وسعة الصدر ، والاعراض عن الشتم ، والغض عن العورات ونجدة المحتاج والمطهوف ، قيم تغنى بها العرب وخلدها في شعره ونثره .

(١) : الأوائل لابي هلال العسكري . ج ١ / ص ٧١-٧٤ منشورات وزارة

الثقافة السورية ١٩٧٥ م .

(٢) : لاحظ المفصل في تاريخ العرب ، د . جواد علي .  
ولاحظ هذه القيم منتشرة في : الأغاني ، ونهاية الأرب ، والبيان والتبيين

(٣) : لاحظ زكي الأرسوزي ، المؤلفات الكاملة .

ولعل خير من يمثل شخصية العربي في شعره عمرو بن كلثوم (١) ، حيث الأنفة والاباء ورفض الهوان ، وانكار الضيم ، وعلان الصرخة الابية في حينها ، والاصرار على التمتع بنعم الحرية كما فهمها الجاهلي ، وما يمثل ذلك قوله وهو يخاطب عمرو بن هند الملك :

أبسا هند ، فلاتمجل عليـنا	وانظرنا ، نخبرك اليقين (٢) لنا
بأننا نورد الرايات بيضاً	ونصدرهن حمراً ، قد رويـنا
وأيام ، لنا عس طوالـ	عصينا الملك ، فيها ، أن نديـنا
ألا ، لا يجهلن أحد ، عليـنا	فجهل ، فوق جهل الجاهليـنا
بأي مشيئة عمرو بن هند	نكون لقيلكم فيها قطـ
فإن قناتنا ياعدمو ، أعيت	على الأعداء ، قبلك أن تليـنا

(١) وليس الصق بطباع العربي من الشهامة والتضحية بذاته تضحية لا يرجو من ورائها شيئاً في سبيل اصدقائه ، والشعر القديم خاصة يضع بين أيدينا الدليل على أنهم كانوا يجزعون أشد الجزع اذا رأوا جارا ينكت بهمسداً (جلماره) على أن هذا ليس في كل الاوقات والحالات ان يكون الطمع دافعا للغدر ، حتى لو كان المغدور قريبا .

ولاننا سننفرد قسماً خاصاً للمناحي الفكرية الايجابية في الجاهلية نغض الطرف عن الحديث المفصل في هذه القيم الاخلاقية الكثيرة ، مكتفين بما أوردناه من شخصية العربي التي لم يستطع نيكلسون (٤) في تاريخه للأدب العربي تحديد صفاتها السلبية كما سيرد معنا .

(١) : عمرو بن كلثوم التغلبي صاحب المعلقة ، وهو تغلبي مشهور ، وكان أبو عمرو الشيباني قد تحدث عن بني تغلب وعظمتها ، فقال : كانت . . . من أشد الناس في الجاهلية . . المملكات العشر ، التبريزي ، ص ٣١٨ ، الطبعة العربية حلب ١٩٧٣ .

(٢) : اشرح القصائد العشر ، صعدة التبريزي ، تحقيق . د . فخر الدين قباوة ص ٣٤٥ / ٠ ط ٢ ، حلب ١٩٧٢ .

(٣) : انظر السلبية في المناحي الاقتصادية الجاهلية من هذا البحث .

(٤) : Nieholso alietarang history of the ara 6s. P . 84 .

## المناحي الفكرية

• المظاهر العقلية

(علم - فلسفة - حكمة)

• حركة التوحيد

## المظاهر العقلية في العصر الجاهلي

كانت الصحراء الممتدة أمام العربي مدرسة فكرية على ترابها درج الجاهلي ونشأ ، ومن سمعتها تعلم كيف يعشق الحرية ، ومن مظاهرها تعلم كيف يفكر . فكل ما في الصحراء يدعو إلى لسان إلى التفكير . الطبيعة الصحراوية الممتدة برمالها وكثبانها ، وسمائها وشمسها ونجومها والتي لا أثر لليد الانسانية فيها ، عامل مساعد يبعث على التفكير . وقد عكس الشعر الجاهلي تلك المظاهر العقلية التي كانت الصحراء عاملاً رئيسياً في ولادتها .

ولعل أعظم المظاهر العقلية عند عرب الجاهلية تنحصر في الحكمة والحلم وفي الخطرات الفلسفية والعلمية .

فالحكمة جزء من الفلسفة ، التي تكون في الشعر إذا احتوى على نظام شامل ذي مقدمات ونتائج منطقية ، لا يشترط لها أن تخوض في تحليل (١) مظاهر الوجود فقط بل تسعى إلى إدراك الواقع الاجتماعي للعرب والسعي بهذا الواقع نحو الأفضل بفهم الأسباب والنتائج التي تحقق لهم السلامة والحكمة في تصرفاتهم اليومية .

والمنتظر أن تكون الحكمة في الأمثال ، " على أنك واجد في الشعر الجاهلي أمثالاً وحكماً أبرع لأنها لم تدخل الشعر إلا بعد إعادة نظر ولا الشاعر يتخير منها ما هو خليق بشعره ، فتجني عبارة للاختبار العام ونظرة أعمق في الحياة وأشمل لها (٢) " .

وبإمكان الدارس أن يقف على كثير من شعر الحكمة ، ولكننا سنقف عليه عند ثلاثة شعراء . زهير الشايع الحكيم ، وطرفة الشاذ القليل ، وعبيد بن الأبرص الرجل المحتاج .

- (١) : عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، عمر فروخ ، الطبعة الأولى ، دار اليقظة دمشق .
- (٢) : المصدر السابق نفسه .
- (٣) : زهير بن أبي سلى ( ١٣٠٠ - ٦٠٩ قه ) من مضر ، حكيم الشعراء في الجاهلية من أصحاب المعلقة والحوليات . كان أبوه شاعراً ، وخاله شاعراً ، وأخته شاعرة ، وابناه كعب وجبير شاعرين .
- (٤) : طرفة بن العبد ( نحو ٦٠ - ٦٠ قه ) ( ٥٣٨ - ٥٦٤ م ) شاعر ، جاهلي ، من الطبقة الأولى . ولد في بادية البحرين ، وتنقل في بقاع نجد . هجا عمرو بن هند ، فقتله المكبر ، شاباً . أشهر شعره معلقته .
- (٥) : عبيد بن الأبرص من بني أسد ( ٢٥٠ - ٢٥٠ قه ) ( ٦٠٠ - ٦٠٠ م ) شاعر ، من دهاة الجاهلية وحكائها . له مناظرات مع امرئ القيس ، قتله النعمان في يوم بؤسه .



أما زهير بن أبي سلمى ، فقد تجلّت عبقريته في الدعوة الى السلم ، في زمن كان العالم كله غارقاً في الحروب ، يعتقد ان الحرب هي السبيل الوحيد لحل المشاكل . فقد كانت اوية منذ اواخر القرن الرابع للميلاد غارقة في غزوات البوابرة الهون والجرمان في اليونان ، وفي ايطالية وفرنسة ، وانكلترا وفي شبه الجزيرة الايبيرية ، حيث قام الوندال بحروب طاحنة (٢) .

وكذلك كانت الحرب بين الامبراطوريتين الفارسية والرومية قائمة على قدم وساق . وكانت اوريا حافلة بالشحراء ، وأثناء الحروب الطاحنة لم ينقطع النبلاء في اوريا عن نظم الشعر (٣) ، ولم نسمع بينهم من دعا الى نبذ الحرب والعيش بسلام . في تلك الجواء التي لا تسمع فيها الاذن إلا أصوات السلاح ، ولا يلصرف الفكر فيها الى غير الحرب ، ولا يقضي البشر حياتهم في غير العداوة ، قام زهير بسن ابي سلمى يدعو الى السلم وينثر الناس من الحرب باظهار ويلاتهم ، ويعلن ان كل غرامة مهما كانت باهظة تعود خفيفة في جانب النعمة التي يضيفها السلام على الناس . وحين قام هرم بن سنان والحارث بن عوف يدفعا ن ديات القتلى من مالهما نهض زهير يمدحهما ، ويجسم بشاعة الحرب ، ليرى الناس العمل العظيم الذي قام به الرجلان ، فقد قال (٥) :

سعى ساعيا غيظ بن مُرّة ، بعدما	تبزّل ما بين العشيرة بالدم
يميناً ، لنعم السيّدان وجدّتما	على كلّ حال : من سكيل ومبوم
تداركتما عبساً وذبيان ، بعدما	تفانوا ، ودقوا بينهم عطر ملشم (٦)

- (١) : انظر تاريخ اوريا (العصر الوسطى القسم الاول) تأليف هـ ١٠١٧ ل نشر .  
ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العربي . الطبعة الثالثة .  
دار المعارف بمصر . ص/٣١٠ - ١٩٥٧ .
- (٢) : المصدر السابق : ص/٣٠ .
- (٣) : المصدر السابق : ص/٢٩٠ .
- (٤) : عبقرية العرب في العلم والفلسفة . ص/٢١١ عمر فروخ .
- (٥) : شرح القصائد الحشر للتبريزي . ص/١٦٥ وما بعد .
- (٦) : قال أبو عمرو بن العلاء : " عطر ملشم " انما هو . من التشميم في الشر .

وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكَ السَّلْمَ وَاسْعَا  
وما الحرب إلا ما علمتم ، وذقتهم  
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة  
فَتَعْرُكُكُمْ عِرْكُ الرَّحَى ، بِثَغَالِهَا  
بمالٍ ، ومعروفٍ من القول ، نَسَلَمَ ،  
وما هو عنها بالحديث ، المَرْجَمُ ،  
وتضره إذا ضربتوها ، فتَضَرَّمُ ،  
وتلجج كشافاً ، ثُمَّ تَنْتَجِ فَتَنْتَجِمُ ،  
وأما طرفة بن العبد البكري ، فقد أساءت الحياة إليه ، وأساء إليه أهل الحياة ،  
وأهله أيضاً فاشتد عليه الظلم ، وزادت الحياة ألماً حين حرمه أعمامه من إرث  
أبيه ، فانقلب ما ديا لا يبصر من الحياة إلا كل لذة عاجلة ولا يرى الدنيا إلا شجرة  
مثمرة أن أنت لم تتمتع بظلمها فتأكل من ثمرها فأما الظل وفسد الثمر (١) وسقط ، فليس  
للنفس حظ إلا في ما يأتونه في حياتهم الدنيا ، أما الخلود في هذه الحياة  
فليس إلا لبقايا الأحرار على الجثوة توضع فوق القبور ، ولقد عبر طرفه عن ذلك كله  
تعبيراً بارعاً ، فقال (٢) :

أَلَا أَيُّهَذَا اللَّائِي ، أَحْضَرُ الْوَفَى  
فَإِنْ كُنْتُ لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَيْتَتِي  
أَرَى قَبْرَ نَعَامٍ ، بِخَيْلٍ بِمَالِهِ ،  
تَرَى جُثُوتَيْنِ ، مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمَا  
أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ ، وَيَمْصُطَفِي  
أَرَى الدَّهْرَ كِنَازاً ، نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ  
لِعَمْرِكَ ، إِنْ الْمَوْتَ ، مَا أَخْطَأَ الْفَتَى  
وُظْلَمَ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدَّ مَضَاضَةً  
وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ ، هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي ؟  
فدعني ، أبادرها بما مَلَكَتْ يَدَيَّ  
كَقَبْرِ غَوِي ، فِي الْبَطَالَةِ ، مُفْسِدِ (٣)  
صَفَائِحِ صَمٍّ ، مِنْ صَفِيحٍ ، مُنْصَدِّدِ  
عَقِيلَةٍ مَالِ الْفَاحِشِ ، الْمُتَشَدِّدِ (٤)  
وَمَا تَنْقُصُ الْأَيَّامُ ، وَالْدَّهْرُ ، يَنْفَدُ (٥)  
لِكَالطُّولِ الْمَرْهُسِ ، وَثَنِيَاهُ ، بِالْيَدِ (٦)  
عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ ، الْمَهْلِكِ (٧)

- (١) : عبقرية العرب في العلم والفلسفة : عمر فروخ ، ص ٤٠ .  
(٢) : شرح القصائد العشر صنعه الخطيب التبريزي ، تحقيق : فخر الدين  
قباوة : ص ١٢٢ وما بعد حلب ١٩٦٩ .  
(٣) : نَعَامُ أَوْزَحَّارٍ ، بِخَيْلٍ .  
(٤) : يَعْتَامُ : يَخْتَارُ . وَعَقِيلَةٌ كُلُّ شَيْءٍ خَيْرَتُهُ وَأَنْفُسُهُ عِنْدَ أَهْلِهِ . وَالْمُتَشَدِّدُ :  
البخيل .  
(٥) : أَرَادَ أَهْلَ الدَّهْرِ فَحَذَفَ الْمُضَافَ .  
(٦) : الطُّولُ : الْحَبْلُ . وَثَنِيَاهُ : مَا تُشْيَاهُ مِنْهُ .  
(٧) : قِيلَ إِنْ هَذَا الْبَيْتَ لَعَدِيَّ بْنِ زَيْدٍ الْعَبَادِي . شرح التبريزي ص ١٣٧ .

وقد إجاد طرفة وابدع حين قال :

سَتَبْدِي لَكَ الْيَّامُ مَا كُنْتُ جَاهِلًا وَيُطْعِمُكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَسْأَلْهُ

أَيُّ سَتَظَاهِرُ لَكَ الْيَّامُ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُهُ ، وَيَأْتِيكَ بِالْخَبَرِ مَنْ لَمْ تَسْأَلْهُ عَنْ ذَلِكَ وَلَمْ تَسْأَلْهُ . وقد كان الرسول (ص) يتمثل هذا البيت دائما (١) .

وقد كانت حكمة العربي الجاهلي مبنية على إحياء منظر خاص أعجبه فتحرّك له . ولكنها ليست وليدة نظرة عامة شاملة ، فما هي الا خطرات تملأ صدره . فحديث الحياة والموت والغاية والخيبة ، وحصر السؤال بالله ، ووحدانيته ، والبلاغ بما قد يدركه الضعيف أخذ من تفكير الشعراء كثيرا ، فربما أدرك الضعيف ، بضعفه ما لا يدركه القوى ، بقوته وقد يخدع الأديب العاقل ، عن عقله ، والدهر خير واعظ للناس ، ومن لم يتعصم به ، فإن الناس لا يقدرّون على عظامته . وقد عبّر

عن هذا عبيد بن الأبرص فقال (٢) :

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَسْأَلُ الْوُجُوبَ  
أَعَاقِرُ مِثْلُ ذَاتِ رَحْمَتٍ مِمَّ؟  
مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ  
بِاللَّهِ ، يُدْرِكُ كُلَّ خَيْرٍ  
وَاللَّهِ ، لَيْسَ لَهُ شَرِيرٌ  
أَفْلَحَ بِمَا شِئْتَ ، فَقَدْ يَبْلُغُ  
لَا يَعِظُ النَّاسُ مِنْ لَا يَحِظُ  
وَفَائِبُ الْمَوْتِ لَا يُؤُوبُ  
أَوْ غَائِبُ مِثْلُ مَنْ يَخِيْبُ؟  
وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَخِيْبُ (٣)  
وَالْقَوْلُ فِي بَعْضِهِ تَلْفِيْبُ  
عَلَامٌ مَا خَفَّتِ الْقُلُوبُ  
صَعِيفٌ ، وَقَدْ يُخْدَعُ الْأَوْيْبُ  
دَهْرٌ ، وَلَا يَنْفَعُ التَّلْيِيْبُ

وإذا كانت مظاهر الحياة العقلية في الجاهلية معروفة في اللغة والشعر والا مثال والقصص ، فإنها غير ظاهرة في العلم والفلسفة . فما رأيناه وامثاله لا يستطيع ان يطلق عليه مذهباً فلسفياً ، إنها خطرات فلسفية ، وهناك فرق كبير بين مذهب فلسفي وخطرة فلسفية " فالمذهب الفلسفي نتيجة البحث المنظم وهو يتطلب توضيحاً للرأى وبرهنة عليه ، ونقضا للمخالفين .

(١) : ذكره ابن كثير عن قتادة . وذكره مارجوليرث " اصول الشعر العربي "

ص / ٤١٩

(٢) : شرح القصائد العشر . صفة التبويزي ص / ٤٧٢ - ٤٧٤ . تحقيق

قباسوة حلب ١٩٦٦ .

(٣) : قال ابن الاعرابي : هذا البيت ليزيد بن ضبة الثقفى . المصدر السابق

ص / ٤٧٣

وهذه منزلة لم تصل اليها العرب في الجاهلية • أما الخطرة الفلسفية فدون ذلك لانها لا تتطلب الا التفات الذهن الى معنى يتعلق باصول الكون • من غير بحث منظم وتذليل وتفنيد • وهذه درجة وصل اليها العلم <sup>(١)</sup> "عرب"

فمجتمع العرب " ذوافق عقلي محدود " • وهذا لا يمنع ان " نجد في بيت من الشعر الجاهلي اوفي مثل من أمثالهم او قصة من قصصهم فكرة راقية • وربطاً للأسباب بالمسببات • ولكن حتى هذه يعجزها العمق في التفكير • كما يعجزها الشرح والتحليل <sup>(٢)</sup> " واذاً فطبيعة هذا التفكير تكون بعيدة عن العلم ومع انه " كان عندهم معرفة بالانساب والالواء والسما • وبشيء من الاخبار • ومعرفة بشيء من الطب • ولكن من الخطأ البين ان تسمى هذه الاشياء علماً <sup>(٤)</sup> " •

وهذا لا يمنع من مجيء " خطرات علمية ايضا وقد اعتبر ابن خلدون <sup>(٥)</sup> علم الجبر والمقابلة من فروع علم العدد • وهو صناعة يستخرج بها العدد المجهول من العدد المعلوم اذا كانت بينهما صلة تقتضي ذلك • وقد <sup>(٦)</sup> " وصل شيء من هذا الفن الى عرب الجاهلية • فكثير ذكر <sup>(٧)</sup> " المعادلة ذات المجهول الواحد في الشعر " قال النابغة <sup>(٨)</sup> :

وَأَحْكُمُ كُنْهَ قَتَاةٍ حَيٍّ إِذْ نَظَرْتُ  
إِلَى حَمَامٍ سَرَّاجٍ وَارِدِ الثَّمَرِ <sup>(٩)</sup>

- (١) : فجر الاسلام • أحمد أمين • ص ٤٩٠ • الطبعة العاشرة • القاهرة - ١٩٦٩
- (٢) : تاريخ الادب العربي : بلاشير • المجلد الاول • ص ٥٢
- (٣) : فجر الاسلام : ص ٤١٠
- (٤) : المصدر السابق : ص ٤٢٠
- (٥) : المقدمة : ص ٨٩٨
- (٦) : تاريخ العلوم عند العرب : عمر فروخ • ص ١٤٠ • دار العلم للملايين • بيروت ١٩٧٠
- (٧) : ربما بالغ الدكتور عمر فروخ هنا • فإن حديث المعادلات لم يكثر في الشعر الجاهلي
- (٨) : في معلقته يحذر الى النعمان
- (٩) : الثمد : الماء

قَالَتْ : أَلَا لَيْتَنَا هَذَا الْحَمَامَ لَنَا  
فحسبوه فَأَلْفَرَهُ كَمَا ذَكَرَتْ :  
فكَلَّمْتُ مَائَةً فِيهَا حَمَامَتَهَا

إِلَى حَمَامَتِنَا مَعَ نَصْفِهِ فَقَدْ  
تَسَعًا وَتَسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ  
وَأَسْرَعَتْ حَسْبَةً فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ

لقد أعجب النابغة بالمدرَك (١) الاستقراي :  $س + \frac{س}{٢} + ١ = ١٠٠$

وليس صعباً أن نعرف العلم الذي يأتي عن طريق الشعر ، وإذا كان تعريف العلم دراسة تتخلق إما بمجموع من الوقائع المبرهنة أو بمجموع من الوقائع الملاحظة التي ترتب ثم يجمع بعضها إلى بعض على نظام مخصوص ليستخرج منها قوانين عامة ، على أن يقوم ذلك كله على أساليب موثوقة تمكن الدارس من اكتشاف حقائق جديدة في الناحية التي يوليها اهتماماً (٢) . إذا كان تعريف العلم كذلك — وهو كذلك — فإن الحقائق التي يكتشفها الشعر ، ويريد فرضها اكتشاف علمي في الفكر — وهذا تعريف مطلق يشمل كل مظاهر الوجود بها فيها الشعر .

والعلم شيء غير الحلم ، وأحياناً تختلط الأمور بينهما ، وقد يسمى بعض الناس الشيء علماً وليس بعلم . وقد فضل العقل على المنطق حكمه ، وفضل المنطق على العقل حكمه . وخير الأمور ما صدق بعضها بعضاً كما (٣) في قول زهير ابن أبي سلمى :

وَكَأَنَّ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجَبٍ      زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ  
لِسَانُ الْفَتَى يَصِفُ وَيُصِفُ فَوَادُهُ      فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَوْرَةُ اللَّحْمِ وَالسَّدَمِ  
والحلم " نوع من رحابة الصدر المسمى بالحلم وهو مزيج غريب من كبر النفس والحيلة الناجمة (٤) "

(١) : تاريخ العلوم عند العرب . . . عمر فروخ . ص ١٤ دار العلم للملايين بيروت / ١٩٧٠ .

(٢) : عبقرية العرب في العلم . . . عمر فروخ ص ٩ / الطبعة الأولى . دار اليقظة دمشق .

(٣) : العقد الفريد ، لابن عبد ربه : ج ٢ / ص ٢٤١ .

(٤) : تاريخ الأدب العربي : بلاشير . المجلد الأول : ص ٣٨ .

وقد أدرك الجاهليون أن الحلم يجب أن يحمي بحد السيف والا فإنه ينقلب هففاً  
وشستان بين الضعف والحلم ، كما أن الجاهل في قبيلة ما يصبح نقمة كبيرة إذا لم  
يكن في تلك القبيلة حلیم يردع الجاهل عن جهله . وقد عبر عن هذه الفكرة النابغة  
الجعدى في قوله :

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ      بَوَادِرِ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْدَّرَا  
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ      حِلْمٌ إِذَا مَا أُورِدَ الْأَمْرُ أُصْدَرَا

ولا شك أن التواضع سمة ايجابية وهذا التواضع الذي قصدناه هنا ليس التواضع  
بل هو ترك الغرور والا بتعداد عن التكبر . وأن الحلم عند العربي الجاهلي  
كالْحِكْمَةِ لا يتجاوز الفطرة السليمة ، فهو ينطلق من التجربة فيسجلها . ففي هذا  
الوسط حيث علاقات الفرد والمجموع متوترة ، تزودنا الحكمة ببعض النصائح العملية ،  
التي تحتوي حديثاً عن الحلم ، يقول المرار الفقمي (١) :

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسْرُدَ عَشِيرَةً      فَبِالْحِلْمِ سَدِّ لَا بِالتَّسْرِعِ وَالشَّتَمِ  
وَالْحِلْمِ خَيْرٌ فَاعْلَمْ أَنَّ مَغْبِرَةً      مِنَ الْجَهْلِ أَلَّا أَنْ تَشْمَنَ مِنْ ظَلَمٍ  
ربما كان للأحوال الاقتصادية والاجتماعية الدور الفعال في ولادة هذه القيم . وهذا  
يعني أنها خاضعة للتغيير بحسب التغيير الحاصل في تلك الأحوال كما سنرى  
في العصر الإسلامي .

(١) : المرزوقي : شرح حماسة ابي تمام / ١١٩ / .

## حركة التوحيد في الجاهلية

=====

عرف التوحيد لدى عرب الجاهلية ، ليس لدى خاصتهم فحسب مثل خالد ابن سنان الحكيم المتأله ( ٤٠ ق.هـ ) وأكثم بن صيفي الواعظ الرشيد وغيرهما بل لدى عامتهم . .

" وليس هذا القول بالقول العجيب . فان الحقيقة التي جاء بها ابراهيم وابنه اسماعيل ، والتي تقول بتوحيد الله وتصفه بالكمال والجلال والقدرة والعلم وغير ذلك من صفات التنزيه ، كانت معروفة بل وشائعة فيهم ، وان الاصنام والاوثان والالهة المتعددة ما اخترعتها عقول العرب الا للتقرب بهم الى الله العلي القدير (٢) " وفي هذه الفقرة لا نريد الخوض في ديانات العرب الجاهلية ، ففي الكتب الخريفة شي كثير عنها ، لكن الجانب الذي يتصل بالبحث هنا ، يدور حول المتألهين الموحدين من الشعراء ، الذين تشعر قلوبهم بالله حقيقة والذين يملكون شعور الخير ، والرجاء آمليين ، يحسون بالخوف من الخطأ فيجللهم الحياء من اقتراف الموبقات . وقد وقف الباحثون من هذه القضية على طرفين متناقضين . فنفى بعضهم الحس الديني ، وجعل المسألة ديناً متوارثاً عن آبائهم . " فاقتدوا بهم . وساروا على اعرافهم ، فكان الشعراء يمجّدونها ويذكرونها في شعرهم . في حين لا يشعر بوجود حس ديني في شعرهم الا في شعر عدد قليل من الشعراء (٤) " . وذهب بعضهم الاخر الى المبالغة فزعم انهم كانوا موحدين (٥) ، والمتفحص الباحث يجد شعراً فيه حس ديني متأله كما وجد هذا الحس عند عامة الناس . وقد ذكر عن قريش انها " اجتمعت يوماً في عيد لهم عند صنم من اصنامهم كانوا يعظمونه ويلتحرون له ويعكفون عنده ويدورون ، وكان ذلك عيداً لهم "

(١) : الاصابة : ج ١ - ٤٦٦ .

(٢) : التربية والتعليم في الاسلام ، د . محمد اسعد طلس . ص ٤٠ / دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٥ .

(٣) : انظر : ايمان العرب في الجاهلية ، النجدي ، ابو اسحاق ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، بلا تاريخ .

(٤) : Goldzi her; history of classical Aribic litrature, P;15.

عن الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢٠ / ٥ ، ٥٣ ، جواد علي .

(٥) : المصدر السابق ، ج ٥ ، ٢٠ / ٥٣ .

في كل سنة يوما ، فخلص منهم أربعة نفر نجياً ، ثم قال بعضهم لبعض :  
تصادقوا وَلَيْكُمَّ بعضكم على بعض قالوا : أجل ، ، فقال بعضهم لبعض : تعلمون  
والله ما قومكم على شيء ، لقد اخطأوا دين أبيهم إبراهيم ، ما حَجَرٌ لطيف به لا  
يسمح ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ، يا قوم التمسوا لا أنفسكم ديناً ، فانكم والله ما أنتم على  
شيء (١) .

فالحقيقة عند عقلاء القوم كانت واضحة تحت نور الحق ولا شك ان كثيراً من  
الشعراء مارسوا دورهم تحت نور الحقيقة . ومن جاء عنده ذكر الله منزهاً من محل  
شريك عبید بن الابرص في معلقته حين يقول (٢) :

من يسأل الناس يحرمه      وسائل الله لا يخيب  
والله ليس له شريك      علام ما أخفت القلوب

ومشهور قول زهير في معلقته الذي يدل على انه كان متألهاً كما في قسمه بالبيت  
العتيق :

فأقسمت ، بالبيت ، الذي طاف حوله      رجال ، ينوه من قریش ، وجـرهم (٣)  
ويؤمن باطلاع الله على الغيب ، ما يشعرون بايمانه بالله واحداً (٤) :

فلا تكتمن الله ما في صدوركم      ليخفى ، ومهما يكتم الله يعلم  
يوخره فيوضع في كتاب ، فيدخر      ليوم الحساب ، او يعجل ، فينقسم

وقد سمع الرسول (ص) بيت لبید بن ربيعة العامري المشهور :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل      وكل نعيم لا محالة زائل  
فقال : أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبید " ألا كل شيء ما خلا الله باطل (٥) "

(١) : السيرة النبوية ، لا ابن اسحق : ج ١ / ٢٣٧ .

(٢) : رسالة الغفران ، لا أبي العلاء المعري ص / ١٨٦ . وشرح القمائد العشر صنعه

التبريزي . ص / ٤٧٢ حلب ١٩٧٣ . وفيه . قال ابن اعرابي : هذا

البيت ليزيد بن ضبه الثقفي .

(٣) : شرح القمائد العشر ص / ١٧٣ حلب ١٩٧٣ م .

(٤) : المصدر السابق ص / ١٧٩ .

(٥) : الشقيطي ، شرح المعلقات ص / ٣٨ - ٣٨ .



وقد كان لحركة التوحيد قبل الاسلام أثر في اشعاع حضارى حاز على نفس طيب عند النبي المرسل فيما بعد .

وأهم من قال بالتوحيد من الجاهليين ، ورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وأميمة بن الصلت ، وقس (٤) بن ساعدة الأيادي . كلهم كان موحداء ، لكن قسا فاز بقصب السبق .

وقد طيب الرسول (ص) ذكره عندما قدم عليه وفد اياد . فقال : ما فعله قس بن ساعده ؟ قالوا : هلك يارسول الله . فقال : كأي أنظر اليه بسوق عكاظ يخطب الناس على جمل أحمر ، ويقول : ايها الناس اسمعوا وعوا . ممن عاش مات . ومن مات فات . وكل ما هوات آت . ليل داج ، ونهار ساج ، وسما ذات أبراج ، وانهار مجزاة ، وان في السماء لخبراً ، وان في الارض لعبراً .

(١) : ورقة بن نوفل من قريش : حكيم جاهلي : اعتزل الاوثان قبل الاسلام ، وامتنع من أكل ذبائحها ، وتنصر ، وقرأ كتب الاديان . الاعلام : ج ٩ ص ١٣٠ .  
(٢) : زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي . نصير المرأة في الجاهلية ، واحد الحكماء . كان يكره عبادة الاوثان ولا يأكل مما ذبح عليها . ورحل السيوف الشام باحثاً عن عبادات اهلها ، فلم تستطع اليهودية ولا النصرانية ، فماد الى مكة يعبد الله على دين ابراهيم . كان عدواً لواد البنات ، لا يعلم ببنت يراد ولدها ، الا قصد اباها وكفاه مؤنتها . رآه النبي (ص) قبل النبوة ، وسأل عنه بعدها فقال : يبعث يوم القيامة أمة وحده . له شعر قليل منه البيت المشهور :

أرباً واحداً أم ألف رب  
أدين : إذ تقسمت الأمور ؟

الاغاني : ج ٣ ص ١٥٠ . وتاريخ الاسلام . للذهبي .  
(٣) : شاعر جاهلي حكيم ، من أهل الطائف . قال هـ الاصعي : ذهب أميمة في شعره بعامة ذكر الآخرة . الاعلام جزء واحد ص ٣٦٤ .

(٤) : من بني اياد : أحد حكماء العرب ، ومن كبار خطبائهم ، في الجاهلية . قال عنه النبي (ص) : يحشر أمة وحده .

وكان اسقف نجران ، ويقال انه أول عربي خطب متوكئاً على سيف أو عصا ، وأول من قال في كلامه " أما بعد " وكان يفد على قيصر الروم زائراً ، فيكرمه ويعظمه . أنظر أخباره في ، البيان والتبيين : ج ١ ص ٢٧ . والاغاني ج ١٤ ص ٤٠ . الاعلام ج ٦ ص ٣٩ .

ما بال الناس يذهبون فلا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا  
فناموا يقسم قس بالله قسماً لا إثم فيه أن لله ديناً هو أرفع لدي ، وأفضل من  
ديكم الذي أنتم عليه . إنكم لتأتون من الأمر مكرراً ، ثم أنشأ يقول :  
في الذاهبين الأولين  
لما رأيت ميوارداً  
ورأيت قومي تحووها  
لا يرجع إلياضي إلي  
أيقنت أنني لا محصا  
من من القرون لنا بطائره  
للموت ليس لها مصادير  
يمضي الأكابر والأصاغر  
ي ولا من الباقيين غابير  
لما حيث صار القوم صائير

وكان النبي (ص) قد سمع الشعر فقال : يعرض هذا الكلام يوم القيامة على قس بن  
ساعة ، فإن كان قاله لله فهو من أهل الجنة (٢) .

ومثل هذه الشهادة من الرسول تعطى لقس وتبشر المؤمنين العارضين  
بالخير وتحسف ركاباً من الفقه أوجد نوعاً من العداوة بين الله والإنسان .  
والتيار التوحيدي " لا يظهر في اعتناق اليهودية والمسيحية فحسب فإن  
المؤمنين المسلمين الذين غنوا بشأه الاسلام قد أشاروا الى وجود  
أناس متدينين قليلي العدد في مكة أطلقوا عليهم اسم الحنفاء ، ثم  
ان معطيات هؤلاء المؤرخين . . . قد توضحت . . . بآيات قرآنية (٣)  
تشير الى وجود مذهب توحيدى (٤) .

وفي التقويم العصري للسليبي او الإيجابي في حركه التوحيد الجاهلي ،  
يصبح الإيجابي سلبياً في عصرنا ، حيث لم يعد أحد من الناس يعبد  
صنماً .

- (١) : الاغانى : ج ١٥ / ٢٤٦ . وانظر خطبته المشهورة بجمع الأمثال ج ١ / ٥٢ اوفي  
البداهة والنهاية : ج ٢ / ٢٣٠ . والعقد الفريد ج ٤ / ١٢٨ .  
(٢) : المصادر السابقة .

- (٣) : وردت كلمة " الحنيفيه " في القرآن اثنا عشرة مرة وهي من أصل غير موثوق به  
ويرى بعضهم أنها مشتقة من الثلاثي (حذف) أى مال ، وحدث في يمينه ،  
ويرى المستشرق هاليفي بقربها <sup>من</sup> الأرامية حانف أو حانفا ومعناه الرياء  
(المجلة الآسيوية مجلد ١٩٠٥ ص ١٤٤) .

- (٤) : تاريخ الأدب العربي ، بلاشير : ج ١ / ٧٥ .

أو وثلاً، وتعود للحركة ايجابية إذا كشف المعاصرون عن الشعراء  
الحقيقة الأزلية للإيمان في كل نفس، فيرفعون أحقاداً تاريخية  
ويوحّدون الله حق توحّيده، عارفين أنه الأمل والملجأ، فيأتي  
التجاوز ليمرر الإنسان المؤمن المقيد بالأغلال الكثيرة والقابع بين  
البيع وبين الأقدام الواقفة على الحافة ظانّة نفسها في الوسط  
الديني المطلوب .

إن ايجابية التوحيد المعاصرة تطلب من الإنسان أن يستخدم  
مناشط التوحيد للتوصل إلى معانيه (١) .

---

(١) : لاحظ د. أسعد علي : فن الحياة ، المقدمة وقدمية المصدق  
دمشق ١٩٧٧ م . دار الوال بدمشق ، ط ١

## المناحي الاقتصادية

مواقف الشعراء من تضخم الثروة  
أثر المال في العلاقات الاجتماعية  
دور المرأة في سياسة المال

حين نقول المناحي الاقتصادية الجاهلية ، نكون قد قصدنا أثر التجارة وأربابها في المجتمع الجاهلي ، وأثر الماشية من إبل ، وغنم ، وخيل ، وكل دابة نافعة .

كما نقصد الفوائد التي يجتلبها العرب من حراسة القوافل التجارية الخارجية والداخلية .

فالبيزنطيون " كانوا يعتمدون في شؤونهم التجارية على قوافل البدو والتي كانت تحمل لهم الأحجار الكريمة والتوابل من بلاد الهند ، والجلود والمعادن والمواد الخريبة والحريز من الصين ، لأجل ثياب أباطرتهم وخظاياهم وكهنتهم ، والعطور من بلاد المجوس ، والبخور من بلاد اليمن ، والصمغ من افريقية من أجل كنائسهم (١) وقصورهم " .

" وكانت كثرة التجارة مع بلاد العرب الجنوبية تنقل إلى الشام ومصر عن طريق الحجاز . . . وقبل أن يبدأ القرن السابع كان طريق الحجاز كله في أيدي العرب الذين ينزلون فيه ، والذين جعلوا من كله مركزا إداريا لهم (٢) " .

كما كانت للعرب أسواق تجارية داخلية ، وهي كثيرة منتشرة : ففي أقصى الشمال هناك سوق دومة الجندل ، وعلى طول الخليج العربي تنتشر عدة أسواق حيث سوق المشقر في المجر ، وسوق محار ، وسوق دبي ، وفي الجنوب أسواق كثيرة أيها . أهمها سوق الشحر ، وسوق الراية بحضرموت ، وسوق ملط (٣) ،

وقد عرفت مكة أسواق عكاظ وذى المجاز ، وسوق مجنة ، وعرفت تهامة سوق حباشة (٤) . وهناك أسواق أخرى مشهورة (٥) .

(١) : Derme nghem; the Isefial Mahomet, PP;25-26 .

(٢) : C. lary; Arabia Befeur; Mahammad, PP.180; 181 .

(٣) : تاريخ اليعقوبي : ج ١ ص ٢١٣-٢١٤ .

(٤) : معجم البلدان لياقوت ، مادة (( مجنة ، وعكاظ ، وحباشة )) .

(٥) : لاحظ الأغاني : ج ٢١ ص ٩٢ .

وقد نتج عن التجارة وكثرة الأسواق ، أمر مهم في حياة العرب ، في طليعتها : أنها كانت سببا في تشكيل طبقة الأغربة في المجتمع العربي الجاهلي • ومنها فرز المجتمع البدوي إلى طبقتين أساسيتين :

طبقة أرباب المخاض ، كما يدلو لبعض الشعراء أن يسميهم وهي طبقة ملاك الإبل ، والإبل هي الرصيد المالي والمحرك لأحداث حياتهم منها " مـهـمـر نسائهم ، وديات دمائهم ودهن ميسـرهم " (١) •

والطبقة الثانية ، هي طبقة الفقراء من المعاليك وغيرهم • كما نتج عن ذلك سعي إلى تأمين دماء التجار وأموالهم ، فأُقيـدوا في تلك الأسواق من ينصب نفسه لنصرة المظلوم ، ويسمون الذادة المجـررين (٢) •

مذه هي أهم النشاطات أو الألوان الاقتصادية التي يمكن ان يقتصد فيها الناس ، فتكثر لديهم الثروة ، والتي يمكن أن يتخذ الشعراء منها مواقف واضحة يمكن ذكرها •

---

(١) : Lammeus; le Berceaud al; Is lamvol; 1 P 134 •

(٢) : تاريخ اليعقوبي : ج ١ / ٣١٢ •

موقف الشعراء من تدهور الثروة :

لا ندعي أن وهي الشعراء المالي والاقتصادي في الجاهلية كان صاعدا واضحا، لكننا نحاول أن نشير من خلال النصوص الشعرية التي بين أيدينا أن الشعراء كانوا يدركون أثر المال في خلق التفاوت الطبقي، كما يدركون أثره في التسوية العلاقات الاجتماعية .

قبل كل شيء لا بد من الاعتراف بقصور وعيهم الذي لم يمكنهم من إدراك قيمة العمل بصفته نشاط الناس العقلاني الهادف إلى إنتاج الخيرات المادية .  
والشاعر الجاهلي يدرك خطأ المجتمع حين يذم الفقير لفقره ، ويمدح الغني لغناه كذلك يدرك بوعي منه جهل الناس الذين يفسرون غنى الأغنياء بنشاطهم وكثرة حركتهم ، وفقر الفقراء بكسلهم . إنه تجاوز عن الحقيقة وتجاهل لجهود العاملين الكادحين .

ولكنه يخطئ حين يفسر القضية تفسيراً يعتمد على الحظ والقسم كما في قول رجل من بني قريع (١) :

متى ما يرى الناس الغني وجاره فقير يقولون عاجز وجايل (٢)  
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ولكن أحاط قسست وجدود (٣)

فهذا الظن القاصر يفرغ المسألة الحقيقية القائمة على الاستغلال .

ويرى بعض الشعراء الجاهليين أن الراحة بالعبث والتعب بالفقر ، فلا يغادر الأغنياء أرضهم ، على حين تحصد الغربة الفقراء الباحثين عن مصدر قوتهم ، فيكشف لنا عن طبيعة الحقيقة المتباينة للطبقتين الجاهليتين ، الأغنياء والفقراء ، يقول إياس بن القائل (٤) :

تقيم الرجال الأغنياء بأرضهم وترى النوى بالمقترين العراييل (٥)

(١) : حماسة أبي تمام . شرح التبريزي ج ٢ : ٢٨٠ .

(٢) : الجليلد : الصلب ، وأراد به تقيض العاجز .

(٣) : الأحاظي : الحظوظ ، مرادف للجدود .

(٤) : حماسة أبي تمام ، شرح التبريزي ج ٢ / ١٨ ، القاهرة . ١٩٥٥ م .

(٥) : النوى : الغربة . والمقتر : الفقير .

ولا شك أن هذا الوعي وليد مدرسة الحياة والتجربة والحكمة ، فقد أدركوا أثر الغنى في نفوس الناس ، وكيف يوجد عندهم الحب الكاذب والبغض الكاذب<sup>(١)</sup> فثار بعضهم على نمط التفكير المتخلف ، وطالب الفتيان بالعمل ، لينالوا مالا ، ويوجدوا سعادة ، أو يغنوا دون ذلك . وأنه لعار أن يقصد المرء الفقير رجلا سوء يستعطيهِ دون فائدة ، وعلا مدّ الوعي فطالب بعض الشعراء بالعمل ، ولو أدى ذلك إلى الهجرة ، التي ربما أدّت إلى الموت ، والموت أشرف من القصد وسؤال مولى السوء الذى يدنو حين اليسر ، ويبتكر حين العسر ، وينصح ألاّ يُبَطَّر الغنى عن الأهل وذوى القربى ؛ وبهذا يكون متفهما طابع العمل لتعديل الانحياز الإجتماعي :

قال سهرم بن خالد<sup>(٢)</sup> :

يُذَيِّبُ الْفَتَى لِلْغِنَى فِي الرَّافِيسِ<sup>(٣)</sup> إِذَا لَيْلُ التَّمَامِ أَهَمَّ الْمُقْتِرَ الْعَزِيزَا<sup>(٤)</sup>  
حَتَّى يَصَادَفَ مَالًا أَوْ يُقَالَ فَتًى<sup>(٥)</sup> لَا قَسَى<sup>(٦)</sup> الَّتِي تَشْعَبُ الْفَتَيَانَ فَأَنْشَعَا<sup>(٧)</sup>  
إِنْ أَنْتَابَكَ مَوْلَى السَّوِّ<sup>(٨)</sup> تَسَأَلُهُ مَثْلُ الْقَصُودِ وَلَمَّا تَتَخَذْ نَشَبَا<sup>(٩)</sup>

إنه إدراك لواقع الحالة ، لكنه غير مشحون بمضمون ثورى فيه دعوة إلى التغيير ، ولا يمكن إغفاء الشاعر من هذه المهمة لأنه كان من المخضرمين وهو لا \* المخضرمون عاشوا مرحلة المسح والتغيير .

فبإدراكه قائم على معرفة نظرية اقتصادية بمفاهيم فطرية مفادها ، ان قسوة

الطبقات الغنية جاءت على حساب الطبقات الفقيرة .

وهو مدرك أخلاق أصحاب تلك الطبقة . فهم إن رأوك غنياً ألانوا جانبهم لسبك ، واقتربوا منك أكثر ، وهذا يعني أنهم أدركوا أثر المال

(١) : وهو أحد بني لمير فتى : بن اعصر ، فارس مشهور وشاعر محسن مضمون .

الأصمعيات ص/ ٥٣ القاهرة ١٩٦٤ م .

(٢) : الراغبون : الموسرون . (٣) : ليل التمام : أطول ليالي الشتاء .

(٤) : المقتر : الفقير المقل . (٥) : العزب : من ليس له زوجة .

(٦) : تشعب الفتيان : وقد عني بها المنية .

(٧) : انتاب الرجل القوم : قصدهم مرة بعد مرة .

(٨) : النشَب : المال الأصيل .



في ولا دة ظاهرة التفاق ، وهي قيمة سلبية ، وللتابع قصيدة سهم بن حنظلة :  
 إذا افتقرت نأى واشتدَّ جانبه  
 وذو القربة عند التَّيْلِ يَطْلُبُهُ  
 لَا يَحْمِلُكَ اقْتَارٌ عَلَى زُمٍّ  
 أَلَا تَرَى أَنَّمَا الدِّينُ مَعْلَلَةٌ  
 لَا تَكُ ضَبًّا إِذَا اسْتَفْلَى أَضْرَ وَلَمْ  
 أثر المال في العلاقات الاجتماعية :

على الرغم من بساطة وعي الشعراء في الجاهلية ، فقد استطاعوا تسليط الضوء على  
 أغلب مؤثرات المال في العلاقة الاجتماعية .

فالمال قد يفسد الزوجة ، فتجاهر زوجها بالمفارقة والمفاضية لأنه متلاف للمال  
 كما في قول المرقش الأصغر (٤) :

أذنت جارتني بوشك رحيل  
 أزمت بالفراق لما رأتنني  
 باكراً جاهرت بخطب جليل (٥)  
 أطف المال لا يذم دخلي (٦)

ثم ينحسر وعيه فيلجى على مكتنزي المال الخافلين عن ربب الزمان ، معلناً أن الرزق  
 قدر وتقدير ، لا اجتهاد وتشهير ، وهذه سلبية اقتصادية مفرطة مازال لها رصيد من  
 الناس في مجتمعنا المعاصر يعيشون على نظرية " اصرف مافي الجيب ، يأتي مافسي  
 الغيب " ؟

عجبت ما عجت للعاقد الما      ل ربيب الزمان جَمُّ الخبول (٧)

- (١) : يقرب منك إذا رغب في ثيلك وعطائك ، فإذا ما طلبت منه شيئاً نأى عنك .
- (٢) : تسري عنهم السلب : تنزعه . والسلب ما يسلب .
- (٣) : الضب : يضرب به المثل في العقوق .
- (٤) : ربيعة بن سفيان ، عم طرفة بن العبد ، وابن أخي المرقش الأكبر وأشعر منه .
- (٥) : المرأة جارت زوجها لأنه مؤتمر عليها . والقصيدة في الفضليات : ص / ٢٥٠ ،  
 دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م .
- (٦) : أزمت : عذمت . دخيلي : من يدخل إلي . يريد أنه يتلف المال لشلاً  
 يذمه الضيف .
- (٧) : العاقد المال : الذي يجمعه ويحفظه . والخبول : جمع خبل ، وهو  
 الفساد .

أَجَلِ الْعَيْشِ إِنْ رَزَقَكَ آتٍ لَا يَرُدُّ التَّرْقِيحُ شَرَّهُ فَتَيْسَلُ (١)  
ومحز بن المكبر يجعل ماله فدى لقومه ، ووسيلة لخدمتهم . وإذا اشتدت  
اللزبات ، وقامت ساعة القتال ، فإن كل ماله تحت تصرف قومه :

فدى لقومي ما جمعت من تشب (٢) إذ لفت الحرب أقواماً بأقوام (٣)  
وإذا كانت زوجة العرقش الأصغر تريد تركه لعدم حرصه على المال ، فإن زوجة عبيد  
ابن البرص استقلت مال زوجها وعابت حاله ، فأذاقته مر العيش حتى نفر منها  
فخيرها بين الفراق والبقاء على هذه الحال ، يقول (٤) :

تلك عرسي غضباً تريد زيا لي      ألبين تريد أم لـدلال  
إن يكن طبعك الفراق فلو      أهضمتل      تعطفني صدر الجمال  
أو يكن طبعك الدلال فلو      في      سالف الدهر والليالي الخوالي  
فاتركي مطحاً جيبك وعيشي      معنا بالرجاء والتأمل

والمال قد يجلب على صاحبه الموت إذا خرج . غازيا في سبيله . وإذا كانت  
كل من الزوجتين السابقتين تريد ترك زوجها لقلة ماله ، فإن زوجة مضاه بن عمرو  
تمثل وعيا مناقضا فهي حريصة على زوجها تخشى عليه القتل والهلاك ، ان هو خرج  
غازيا ، فيقول على لسانها (٥) :

تقول : أقم فينا فقيراً وما الذي ترى فيه ليلى أن أضميم فقيراً

وإن كثرة حديث النساء عن المال تجعلنا نفردها لفرة خاصة بها .

دور المرأة في سياسة المال :

كثيرة هي النصوص الشعرية ، الجاهلية التي تصور لنا ما كان يدور بين المرأة والرجل  
ضمن سياسة المال ، رعاية الجار ، واحتمال الحقوق والعطف على الفقير والحديث  
عن الأملاك والموارد الاقتصادية من نزع ونخيل ، وبيع وإبل وأغنام ، حديث شعري  
واقعي جاء في وقت مبكر على لسان بعض شعراء الجاهلية .

(١) : الترقيح : إصلاح المال والقيام عليه . الشروي : المثل . الفتيل : الخيط  
الذي في شق النواة .

(٢) : جاهلي من بني ضبة ، انظر أخباره في المفضليات ص/ ٢٥١ دار المعارف بمصر  
١٩٦٤ م .

(٣) : التشب المال الأصيل .

(٤) : البيان والتبيين : ج ١ / ٢٣٦ الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٤٨ م .

(٥) : انظر أخباره في جبهة اشعار العرب . ج ١ / ص ٥٤ ، دار النهضة  
مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ م . وانظر الابيات

في الاغاني : ج ١٣ / ١١٣ ، طبعة بلاق ، ١٩٢٠ م .

كان العربي يعتز بفروسة ويكرمها لأنه يرى فيها الأداة الرئيسية في الحروب والوسيلة السريعة في الركوب .

وتراقب زوجه سوق الخيل ، فتلح على زوجها في بيع فرسه ، محتجة في ارتفاع أثمانها ، وترى أنها فرصة سالحة لبيعها ، مما يدل على أنها كانت تراقب الحركة الاقتصادية ، وتشارك الرجل في سياسة المال ، وربما قصدت بذلك ألا يذهب زوجها إلى الغزو ، فليس لها إلا أن تسلبه فرسه ، لكنه لا يرد عليها ، ولا يستجيب لها ، بل يبين لها مناقب فرسه الأصيلة ، كما في الحديث الذي جرى بين حاجب بن حبيب الأسدى وزوجه التي تريده أن يبيع فرسه ثادى (١) :

باتت تلوم على فادق	ليشترى فقد جد عصيانها
وقالت : أغثنا به إنسي	أرى الخيل قد شاب أثمانها
فقلت : ألم تعلمي أنم	كريم المكسبة مبدائ (٢)

وهذا يعني أن القضايا الاجتماعية الخاصة بين الزوج والزوجة ، قد ارتبطت بنمو إنتاجية العمل ، وبالمردود المالي .

فمثل هذه الزوجة تتجاوز آلية الإنتاج (الفرس) على حين يدرك زوجها أن الفرس هي إنتاجية العمل ، ولا شك أن المحافظة على إنتاجية العمل دليل هام على تقدمية الوعي الاجتماعي لدى الشاعر ، كما أنه لا بد من الاعتراف بأن إنتاجية العمل التي عناها تقوم على اعتماد حركة الصراع .

وهذا التدخل السلبي في آلية الإنتاج الحربي من قبل الزوجة ، يفسر لنا جفاء كثير من الشعراء عن آراء النساء لدرجة أن الشفوى الشاعر الصعلوك صار يفخر بأنه لا يأخذ برأى عرسه ، ولا يطالعها في شأنه ، ولا يخبرها بشئ من أفعال (٣) :

ولا جبالاً أكهنى مُرَبِّ عرسه      يطالعها في شأنه كيف يفعل (٤)

(١) : المفضليات . ص ٣٦٨/٣٦٩ ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م .

(٢) : المكبة : الحملة في الحرب ، والدفعة في القتال والجري ، وشدته .

(٣) : أمالي القالي : ج ١ ص ١٥٥ الطبعة الثالثة . دار الفكر ، بيروت .

(٤) : الجبال : الجبان . الأكهنى : الضعيف الجبان أيضا . مُرَبِّ عرسه : مقيم

لا يفارقها ، وعوس الرجل زوجته .

ويدرك عروة بسن الورد أثر المال في المجتمع الذي لا يحترم الفقير لأنه  
في نظره " شر الناس وأحقهم وأهونهم عليهم مهما يكن له من فضل ، يجافيه  
أهله ، وتزدريه امرأته ، حتى الصغير يستطيع أن يذله أما الغني فمهما يفعل  
يقبل منه ، ومهما يخطئ يغفر له ، فللغني رب يغفر الذنوب جميعاً <sup>(٢)</sup> " ولكن  
منطق الزوجة يختلف ، فهي تخشى عليه القتل فيطلب منها أن تتركه وشأنه يسعى  
في دروب الحياة التي عرفها <sup>(٣)</sup> :

رأيت الناس شرهم الفقير	ذريتي للغنى أسعى ، فإني
وإن أمسى له حسبٌ وخير	وأدناهم ، وأهونهم عليهم
حليته ، ويقهره الصغير	يباعده القريب ، وتزدريه
يكاد فؤاد لاقيه يطير	ويلقى ذو الغنى ، وله جلال

وقد أدرك الصعاليك أسباب الصراع ، ووضعوا يدهم على الجرح ، فكانوا حرباً على  
أولئك الذين تكدست لديهم الثروة ، فصنعت التفاوت الطبقي . وكان الصعاليك  
أرادوا أن يعيدوا توزيع الثروة على أسنة الرماح ، ورؤوس السهام ، فصاروا يؤثرون على  
أنفسهم ، ويؤثرون ما عندهم من مال وثروة على الفقراء من الناس ، فكلما أوشك عرو  
على الغنى ، حال بينهما فقير أبو عيال <sup>(٤)</sup> :

إذا قلت قد جاء الغنى ، حال دونه	أبوصيبة يشكو المفاقر أعجف
له حيلة لا يدخل الحق دونه	كريم أصابته خطوب تجرّف

ربما فعل عروة ذلك ليحافظ على تماسك الأسرة التي راحت تنفتحت تحت تأثير

الحاجة .

(١) : كان يلقب بعروة الصعاليك . انظر أخباره في " الشعراء الصعاليك فسي

العصر الجاهلي " يوسف خليف القاهرة ١٩٦٦ م .

(٢) : الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، يوسف خليف ، ص ٣٢٨ ، الطبعة

الثانية دار المعارف بمصر ١٩٦٦ م .

(٣) : البيان والتبيين : ج ١ ص ٢٣٤ الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٦٨ م . ودسيوان

عروة ص ١٩٨ . دار الكتب المصرية ١٩٣٥ م .

(٤) : حماسة أبي تمام ، شرح التبريزي ، ص ٤٦٧ . طبعة ١٩٥٥ م القاهرة .

وبدو أن الأغنياء تباخلوا أكثر في سبيل الحصول على بعض زوجات الفقراء اللواتي كن يرحلن عن أزواجهن ، ويصدقن عليهم إلى غيرهم من الرجال لا شيء إلا لأنهم فقراء وغيرهم من الذين اخترنهم أغنياء ، كما في حديث سبيع بن الخطيم التميمي وهو يعرض مآساة مع زوجه التي اختارت عليه رجلاً غنياً :

بانت صدوف قلبه مخطوف      ونأت بجانبها عليك صدوف<sup>(٢)</sup>

واستبدلت غيري وفارق أهلها      إن الغني على الفقير عيب

وشكواه ، مازلنا نشكو مثلها . فإن كثيراً من نساء عصرنا يفلتن عقولهن ، ويذبحن قلوبهن رضا خلف مال زائل ، أو جلم زائف . ولا شك أن وعي الشاعر الجاهلي هذا ، سابق وعي كثير من الشعراء في عصرنا الذين لم يعالجوا هذه المعضلة المنتشرة في مجتمع نساء اليوم .

فالمرأة لها دورها الكبير في العلاقات المالية سلباً كما رأينا في إيجاد نوع من تفسخ العلاقات الإنتاجية ، فرأينا الشغرى شبطاً للهبة فلم يستشرها ، وإيجاباً في مشاركتها الحياة الاقتصادية .

كما دلت على أن وجود الإنتاج الجماعي ، يكاد يكون مفقوداً . وأن الورقة الرابعة التي كانت بيد الأغنياء لهدم الأمر وتغرق الزوجات عن أزواجهن وأولادهن .

ومنطق آخر فيه السلبية أيضاً تمثل في خوف بعض النساء على أزواجهن فيما ولن تشييط الهمم خيفة القتل .

✱ ✱

ولما كان أثر المال كبيراً في المجتمع الجاهلي ، فإنه لا بد من الاعتراف ببعض أغنياء الجاهلية وحكامها — وهم قلة — من الذين تجاوزت ألمعيتهم حدود قبائلهم فكانوا يدركون أثر المال في جمع الناس وتفريقهم ويشاركون الفقراء في أموالهم ، فلا يعودهم سائل إلا عاد مخمباً ، ومعه ما يركبه من ناقصة أو بعير أو فرس ، وهو لاء قوم بشعر بن عمر الشاعر الجاهلي يشكلن وحدة إنتاجية جماعية فالمرء يعيش بينهم :

في إخوة جمعوا ندى " وساحة "      هضم إذا أزم الشتاء ترمي

غلبت سماحتهم وكثرة مالهم      لزبات دهر السوء حتى تذهب<sup>(٤)</sup>

(١) : المؤلف والمختلف للأمدى بشر بن آمد : ص ١١٢ . القاهرة بلا تاريخ .

(٢) : بشر بن عمرو بن مرشد شاعر جاهلي قديم .

(٣) : المفضليات ص ٢٧٧ دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م .

(٤) : لزبات : جمع لزبة . وهي القحط الشديد .

وَتَرَى الَّذِي يَعْفُوهُمْ لِحَبَابِهِمْ يُحْبَسُ وَيَرْجُو مِنْهُمْ أَنْ يَرْكَبَ كَأَنَّهُ

إنه نوع من العمل الجماعي المباشر يعزز مواقع الطبقة الكادحة . كما أنه نوع من الاشتراك الجماعي الذي يساعد التغلب على العادة الأنايية في معارضة المصالح الاجتماعية ؟ في وقت كان التاريخ العربي فيه " يسجل صراعا مع ظروف الحياة لا صراعا بين الطبقات فحسب (١) " . فكانت مواقف الشعراء تلك (تقوم على المفاهيم البسيطة التي تعارف عليها الناس في (العصر الجاهلي) نتيجة عوامل غير العوامل التي ابهرت منها الاشتراكية الحديثة (٢) ) .

ولكن هذا لا يعني أنهم غير ملومين . كان الأجدى بالشعراء أن يحطموا مفهوم قداسة المال ، لا أن يصرعهم بريقه ، فيصارعون في سبيل ما يرفع شأنهم نزولا عند ما هو سائد في المجتمع عصرئذ . لقد اعتقدوا بأن مسألة الغنى حظ وقسمة ، وهذه سايية في التفكير . كما رأوا الناس يحترمون الغني لغناه ، فأجهدوا أنفسهم للوصول الى الغنى عليهم يحترمون وهذه سلبية في العمل والتفكير أيضا .

كان عليهم أن يحصروا نفوذهم بالوقوف الى جانب الحقيقة المتثلة بسوء توزيع في الثروة قام به الأغنياء حين استغلوا جهود الشغيلة المتعبة . كما كان عليهم رفع قيمة الفرد لأن المكانة قيمة تكمن في الفرد ذاته ، في تفكيره وسلوكه ، لا في جيبه أو رصيده . إن مواقفهم تنازل كبير يجب ألا يقع فيه شعراء اليوم . وهم يستلهمون الماضي لتأدية دورهم في الحاضر المشابه لدورات تاريخية كثيرة جاهليّة وغير جاهليّة .

\* \*

والسؤال الآن : ماهي المدرسة الأدبية التي ينتمي إليها مثل هذا الشعراء؟ الملاحظ أنه ليس أصلاحيا " ، كما أنه ليس ثوريا . انهم أخطأوا التفسير فلم يعرفوا كيف يعالجون مواقف الناس من المفاهيم المالية فلم يصلحوا . كما انهم ليسوا ثوريين ، ليكون شعرهم ثوريا . فما هو الانتماء الأدبي لهذا الشعر ؟

إنه صورة واقعية ، وصور صامته لمجتمع قامت فيه علاقات تسلط .

(١) : الفروسيّة في الشعر الجاهلي ، نوري حمودي القيسي / ٣٠٧ . بغداد ، مكتبة النهضة  
١٩٦٤ م .

(٢) : المصدر السابق نفسه .

ولو اتيح للشعراء نظرية سياسية تتبنى واقع الكادحين ، وتعمل على تغييره ، لفتح أمامهم باب طويل • ولكن هذا لم يكن لطبيعة الاطار التاريخي العربي عصرئذ • وحتى شعراء الصعاليك فان وعيهم وطبيعة حركتهم لم تتبعها عن نظرية سياسية ثورية تتبنى تغيير بنية المجتمع ، فالت الى العقم انه شعر موضوعي واقعي كما يعبر عنه في اللاتينية انه يدور في عالم واقعي • كما في قول حاجب بن جيب السابـ (١) ق :

باتت تلوم على ثادق      ليشتري فقد جد عميانها  
وقالت : أفتنا به اني      ارى الخيل قد ثاب اثمانها  
فهي تراقب السوق ، وتلاحظ ارتفاع اثمان الخيل فتطلب بيعه ، كما تفعل المرأة المعاصرة وهي تراقب ارتفاع الذهب فتطلب من زوجها لبيع ما عنده لتشتري شيئاً " آخر وهو واقعي في جوابه لها :

فقلت : ألم تعلمي أنه      كريم المكتبة مبدانها  
كما أن الحديث عن وهم الطبقات الفقيرة ، حديث واقعي • وكلمة أدق : ان الشعر الذي مربنا ، تناول قسماً مهماً " من حياة الأدب ، بتعقيدها ، يدور حول الانسان بأوضاعه المادية المختلفة ، ومواجهته لهذه الأوضاع ، وهذا فتح هذا الشعر حدود الأدب الجاهلي الى أقصى أبعاده ، وزاده غنى وثقناً " •

والوجه الايجابي الذي نراه بمنظور عصرنا ، يكمن في نوعية الصدق الغني يحمله هذا الشعر في التعبير عن روح المجتمع ، وليس صدقاً في التعبير عن قوانين الحياة وتطورها •

كما أنه الكاشف عن عوامل تقبل الطبقات الكادحة التي ألقت

الاسلام فيما بعد •

---

(١) : الفضليات : ص/٢٦٨ دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م •

## المناحي التربوية

- الحصول الحميدة التي يربى بها الفتى .
- الحصول الحميدة التي تربي بها الفتاة .
- مظاهر أخرى في التربية الجاهلية .



### ففي المناحي التربوية :

لسنا هنا أمام وثائق تربوية إذ أننا - لسوء الحظ - لا نملك وثائق في هذا الجانب ، ولكننا نقف على ما وصلنا من التراث ، من أشعار كثيرة ، إلى خطب وأمثال ، وقصص ، و نوادر .

وأكثر ما نعتمد في بحثنا هذا الشعر لنقف من ورائه على المناحي التربوية في المجتمع الجاهلي . هناك أصول وأعراف تربوية أخذ بها الجاهليون واستمر كثير منها بعد الإسلام .

فقد كان العربي يريد لابنه التربية الحسنة ، ولا بنته التربية الخلقة الرفيعة ولجيرانه احترام جيرانهم ، ثم إنه يملك الغيرة والعفة وهذه سمات فطرية في النفس العربية يربي عليها الجاهلي .

الخصال الحميدة التي يربي بها الفتى .

التصق أدب الجاهليين بحياتهم اليومية التصاقاً وثيقاً ، فالعربي كان يقتبس خلقه من تجاربه ومن حنكته ، ويجعلها سجلاً للمثل والأخلاق العربية الجاهلية والوثائق التربوية الشعرية تسجل تلك المثل وتحببها إلى نفس الفتى العربي ، مما جعل للشعر دوراً في مجال التربية ، يمكن استخدامه في التربية الحديثة . ومثل هذا الشعر يعتبر من الأدب الرفيع والخلق السامي . فتصيدة مفضلية من أولها إلى غايتها سياسة رسمها الشاعر لابنه " جبيل " اقتبسها من خلق العربي ومن تجاربه وحنكته . فهي بذلك سجل لأمثل الأخلاق العالية عند العرب ودليل على عنايته بهؤلاء القوم بتربية أبنائهم ، وحرصهم على السمو بها ، وهي للشاعر عبد قيس بن خفاف ، قال (٢) :

أَجْبِيلُ إِن أَبَاكَ كَارِبَ يَوْمِهِ	فَإِذَا دُعِيتَ إِلَى الْعِظَائِمِ فَاعْمَلْ (٣)
أَوْصِيكَ إِيْصَاءَ أَمْرٍ لَكَ نَاصِحٍ	طَبْنٍ بَرِيْبِ الدَّهْرِ غَيْرِ مُغْفَلٍ (٤)

- (١) : شاعر جاهلي من بني عمرو بن حنظلة من البواجم ، أخبره في الأغاني : ١٤٥/٧  
والامالي ٢١/٣ . وقد أخطأ السيوطي في شواهد المغني ٩ إذا زعم انهم  
اسلامي . فإنه لم يزعم هذا أحد غيره ، ولم يأت هو عليه بدليل .
- (٢) : الفضليات . ص ٣٨٤ دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .
- (٣) : . : كارب : (قرب ودنا ) او كارب يومه ، بوزن أسم الفاعل ، أي قريب .
- (٤) : طبن : حاذق فطن .

اللَّهُ فَاتَّقِهِ وَأَوْفِ بِلِذِّهِ  
والضيف أكرمهُ فَإِنَّ بَيْتَهُ  
واعلم أَنَّ الضيفَ مَذْبُورُ أَهْلِهِ  
ودع القوارصَ للصديق وغيره

فهو يضع الخطوط العريضة فيحمله على الأخذ بتقوى الله : وإيفاء الذمه : ومواصلة  
الصديق الوفي بالود : وألا يدخل في جدال عقيم : ويحثه على إكرام الضيف : وتجنب  
الكلام القبيح .

ثم يحذره في قسم آخر من الإقامة في دار الهوان : فمن أقام في دار الهوان  
سهل عليه الهوان : وليس من يرفض الهوان : كمن يحتمل الضيم ويقوم عليه : يقول :  
وميل المواصل ما صفا لك ودّه  
واترك محل السوء لا تحلل به  
دار الهوان لمن رآها داره  
واحذر حبال الخائن المتبدّل  
واذا بنا بك منزل فتحوّل  
أفراجل عنها كمن لم يرحل

وليتئذ المرء إذا تحدثه نفسه بالشره وليسرع إلى عمل الخير عاجلا . هذه تعليمات  
لاحقة في القميدة ذاتها في وقت كان الناس فيه يكيلون الصاع صاعين .

وهذا لا يعني أن ينصاع الإنسان للقوارص فيطلب منه ألا يسكت على الظلم وأن يدفع  
العدوان بالعدوان ولكن العدوان هنا دفاعا عن النفس ونفي للذل والهوان : يقول :  
وإذا هممت بأمر شرّ فاتتد  
وإذا أتتك من العدو قوارص  
وإذا هممت بأمر خير فافعل  
فاقرضك ذلك ولا تقل لم أفعل  
وليس مطلوبا من المرء أن يتجشع ويتذلل إن حلّ به الفقر كما يجب ألا يرجو زيادة  
أو فضلا عن غير الفضليين .

وفي الحرب على المرء أن يكون فتاكا شجاعا : يتقيه الناس ويتحامونه كما يتحامون  
الأجرب وطلاءه .

- 
- (١) : المرء . الجدال . وقد نهى عنه الإسلام .  
(٢) : لُعنة : بضم اللام وسكون العين : يلعنه الناس كثيرا .  
(٣) : القوارص : الكلام القبيح .  
(٤) : الفضليات ص : ٣٨٤ .  
(٥) : المصدر السابق .

وخير ما يستغني به الإنسان عن الناس هو الله ، فحين يغني الله يكون الصرف من ماله ، وإذا وقع الفقر ، فليس أفضل من التجلّد وتكلف الصبر ، يقول :  
 وإذا افتقرت فلا تكن متخشناً  
 وإذا لقيت القوم فاضرب فيهم  
 واستغن ما أغناك ربك بالغنى  
 والجاهلي يريد لولده أن يتعلم الأناة والصبر في الأمور كلها ، ولا يريد له الشؤدة كما يدره على حسم الأمور ، فإذا حدث ونازعته نفسه في أمرين ، ما عليه إلا أن يلجأ إلى الحفيف منهما . والتفريج عن الكرب أمر يريده الجاهلي لولده ، فمواصلة المحتاج وإجابته لما يريد وتخليصه من الهم والكرب أمر ذو قيمة رفيعة فيها دربة تربية ، قال :

وَأَسْكَنْتُ أَنْ حَلَمْتُ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا  
 وَإِذَا تَشَاوَرْتُ فِي فُؤَادِكَ مَرَّةً  
 وَإِذَا لَقَيْتَ الْبَاهِشِينَ إِلَى النَّدَى  
 فَأَعْنِيهِمْ وَأَيِّسِرْ بِمَا يَسْرُوا بِهِ  
 وَإِذَا عَزَمْتَ عَلَى الْهَوَىٰ فَتَوَكَّلْ (٣)  
 أَمْرًا فَاغْمِذْ لِلْأَعْفَى الْأَجْمَلِ  
 غَيْرًا الْفَهْمِ بِقَاعِ مُحَدِّ (٤)  
 وَإِذَا هُمْ نَزَلُوا بِضْنِكَ فَانْزِلْ (٥)  
 والذي تأخذه على أصحاب تلك الوثائق التربوية أنها تأتي متأخرة عند الكبر والشيخوخة ، أو عند الموت . والأصل في هذا أن تصدر عن قوة وعزيمة فتكون ورقة نافعة وعطية ، بدل أن تكون عظة مؤثرة في ساعة موت . فهذا عبدة (٦) ابن الطيب لما أسن رواه جمع بنيه يوصيهم في هذه القصيدة . فأنشأ يسرد لهم ما خلف من مآثر باقية . ثم نصحهم بتقوى الله وبر الوالد ، والاتحاد وترك التنابد ، والحذر من النمام والمنافق ثم نوه بحسن رأيه في المفضلات وغلبيته في المفاخرة .

- (١) : الخصاصة : الفقر والحاجة . (( يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ))  
 (٢) : وهذا الرأي التربوي السليم استمر حيا لصحته قال المتنبي :  
 إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة  
 فإن فساد الرأي أن تتردها  
 (٣) : استأن : من الأناة .  
 (٤) : الباهش : الفرج ، يريد الذين يأتونه يلتصقون جداه ونائله .  
 (٥) : وأيسر بما يسروا به : أسرع إلى إجابتهم . الضك : الضيق أي أسهم في ضيقهم .

(٦) : هو عبدة بن الطيب ، والطبيب اسمه يزيد بن عمرو ينتهي بنسبه إلى زيد مائة بن تميم . شاعر مجيد ليس بالكثير ، وهو مخضرم أدرك الإسلام فأسلم وكان عبدة اسود . وقد ادرجناه مع الجاهليين هنا ولا شك أن قصيدته تحمل طابعا اسلاميا في كثير من المعاني التي جاء بها المفضليات : ص /

ثم صور يومه الأخير ، وذكر البكاء والقبر ، وقدم لبنيه عزاء بأن الموت غاية كل حسي ،  
(١) قال :

بَصْرِي ، وفي المصلح <sup>(٢)</sup> تمتع  
تبقى لكم منها ماثر <sup>(٣)</sup> أربى  
وراثته الحسب المقدم <sup>(٤)</sup> تنفع  
عند الحفيظة والمجامع <sup>(٥)</sup> تجمع  
يوماً إذا احتضر النفوس <sup>(٦)</sup> المطمع  
مادمت أبصر في الرجال وأسرع  
يُعطي الرغائب من يشاء <sup>(٧)</sup> ويطلع  
إن الأب من البين الأطمع  
ضاقته يداه بأمره ما يصنع  
إن الضغائن للقرابة <sup>(٨)</sup> توضح  
متنمياً ، ذلك السام <sup>(٩)</sup> المنقوع  
عمر الفتى في أهله <sup>(١٠)</sup> مستودع  
جداً ، وليس بأكل ما يجف <sup>(١١)</sup> مع

أنلي إني قد كبرت وارابي  
فلئن ملكت لقد بنيت مساعياً  
ذكر إذا ذكر الكرام يزيكهم  
ومقام أيام لهم فضيلة  
ولهم من الكسب الذي يخليكم  
وبصيرة في الصدر صادرة لكم  
أوصيكم بتقى الإله فأنتهم  
وبه والدم وطاعة أموره  
إن الكبير إذا عصاه أهله  
ودعوا الضغينة لا تكن من شأنكم  
وعصوا الذي يزجي الممائم بينكم  
إن العوادث يخرمنه وإنما  
يسعى ويجمع جاهداً مستهتراً

- (١) : المفضليات • ص / ١٤٥ - ١٤٦ •
- (٢) : يقال : رابي الشيء : إذا تيقنت منه الريبة ، وارابي : إذا شككت فيه  
لمصلح : لمن استصلحتني فاستمتع بعقلي رأيي •
- (٣) : المساعي : المكارم •
- (٤) : الذكر : الشرف والصيت •
- (٥) : المقام : بفتح الميم : مقام ساعة في خطبة ، وخصومه أو نحو ذلك • الحفيظة  
الغضب •
- (٦) : اللبس ، بضم اللام : العطايا ، واحدتها لهوة ، وأصلها الحفنة من الطعام  
تطرح في الرحي •
- (٧) : الرغائب : جمع رغبة وهي الشيء الواسع الكثير ، والشيء النفيس •
- (٨) : توضح : من قولهم أوضعت البعير : إذا حملته على الحد • أراد أن  
الضغائن في القرابة سريعة التفشي •
- (٩) : يزجي : يسوق • المنتصح : المتشبه بالنصحاء • السام : جمع سم •
- (١٠) : ملق : محقق من قولهم : انقع السم : عتته ، وانقعه الحية : جمعته •
- (١١) : يخرمن : يقتطعن ويستأصلن •
- (١١) : المستهتر : المولح بالشيء ، الذاهب العقل فيه من حرصه عليه •

ويلاحظ أن هذه الخطوات والتوجيهات التي يريد لها الشاعر — ولنا عودة إليهم — ماهي إلا استجابة لحاجات كانت قائمة في المجتمع الجاهلي .

الخصال الحميدة التي تربي فيها الفتاة :

بالإضافة الى تلك القيم التي مرت هناك أمور تربية أخرى تطلقها الفتاة في الجاهلية مرة عن أبيها ومرة عن أمها .

ففي الزواج هناك تعليمات خاصة ونصائح تربية قيمة تقدمها الأم لا بنتها حرصاً منها على سعادتها ونجاح زواجها .

من ذلك ما روى عن خطبة عمرو بن حجر الى عوف بن محلم الشيباني . فقد خطب عمرو أم أياس ابنة عوف ، فقال : نعم ازوجها على أن اسمي بنيتها وأزوج بناتها فقال عمرو بن حجر : أما بنونا فنسميهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا ، وأما بناتنا فينكنهن أكفاؤهن . من الملوك ، ولكي أصدقها عقارا في كندة وأمنحها حاجات قومها ، لا ترد لأحد منهم حاجة ، فقبل ذلك منه أبوها وأكنحه إياها .

فلما كان بناؤه بها خلت بها أمها فقالت ((أي بُنيَّة . إنك فارقت بيتك الذي منه خرجت ، وعشك الذي فيه درجت ، إلى رجل لم تعرفه وقرين لم تألفه ، فكوني له أمة يكن لك عبداً ، واحفظي له خصالا عشرة يكن لك ذخراً .

أما الأولى والثانية فالخشوع له بالقلعة ، وحسن السمع له والطاعة . وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لموضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا طيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن تواتر الجوع مهلكة وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله ، والارعاء على حشمه وعياله ، وملاك الأمر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة فلا تبقين له امرأة ولا تفشين له سراً ، فأنتك إن خالفت أمره أغرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره . ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مهتماً ، والكآبة بين يديه إذا كان فراحاً<sup>(١)</sup> .

وأحيانا كانت التربية الجاهلية تحسن إلى المرأة في اختيار زوجها وتستشار بأمر زواجها فتختار من تريد .

ذكر أن هند بنت عتبة بن ربيعة — بعد أن فشلت في زواجها الأول من الفاكه بن المخيرة المخزومي — قالت لأبيها :

يا أبت ، إنك زوجتني من هذا الرجل ولم تؤمنني في نفسي ، فعرض لي معه ما عرض ، فلاتزوجني من أحد حتى تعرض عليّ أمره ، وتبين لي خصاله .

(١) : العقد الفريد لابن عبد ربه . ج ٦ / ٣٤ .

فخطبها سهيل بن عمرو وأبوسفيان بن حرب، فدخل عليها أبوها وهو يرق (١) :

أَتَاكَ سَهِيلٌ وَابْنُ حَرْبٍ وَفِيهِمَا      رِضًا لَكَ يَا هِنْدُ الْهُنُودُ وَمَقْتَمُ  
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا يُعَاشَرُ بِفَضْلِهِ      وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا يَضُرُّ وَيُلْقَمُ  
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا كَرِيمٌ مَرَزَا      وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا أَغْرَّ سَمِيدُ  
فَقُوْنِكَ فَأَخْتَارِي فَأَنْتَ بِصَبِيْرَةٍ      وَلَا تُخْدَعِي إِنْ الْخَادِعُ يَخْدَعُ

قالت : يا أبت، والله ما أصنع بهذا شيئا ، ولكن فسرفي أمرهما ويسن لي خصالهما ، حتى أختار له نفسي أشدهما موافقة لي . فبدأ بذكر سهيل بن عمرو فقال : أما أحدهما ففي سطة (٢) من العشيرة وثروة من العيش ، ان تابعته تابعك ، وان ملت عنه حط اليك ، تحكمين عليه في أهله وماله .

وأما الآخر فموسع عليه منظر إليه ، في الحسب الحسيب ، والبرأى الأريب ، مذكره أرومته ، وعزّ عشيرته ، شديد الغيرة ، كثير الطيرة لا ينالم على صفة ولا يرفع عصاه عن أهله .

فقالت : يا أبت ، الأول سيّد مضياغ للحرة ، فما عست أن تلين بعد إيائها ، فتصنع تحت جناحه ، إذا تابعها بعلها فأشرت ، وخافها أهلها فأملت ، فسأمت عند ذلك حالها ، وقبح عند ذلك دلالها ، فان جاءت بولد أحققت ، وان أنجبت فعن خطأ ما أنجبت ، فاطو ذكر هذا عني ولا تسمّه لي .

وأما الآخر ففعل الفتاة الزيدة ، الحرة الحفيفة ، وابني للتي لا أريب له عن عشيرة فتغيره ، ولا تصيبه بذعر فتغيره لأخلاف مثل هذا لموافقة ، فزوّجنيه ، فزوّجها من أبي سفيان . وهناك مواقف أخرى من المرأة ، بعضها أيّده العلم ، وبعضها لا يؤيده علم ولا شرع .

فإنهم يرون أن الغرائب أنجب وبنات الحم أصبر ، ويقولون في هذا اغتربوا ولا تضرّوا . أي انكحوا في الغرائب ، فان القرائب يضرّون البين .

(١) المصدر السابق . ص ٣٩ ، ولا حظ أمالي القالي ج ١ / ص ١٦٠ .

(٢) سطة : أي هو من أوساطهم وخيارهم . والسطة ، الشرف أيضا .

ومن عجيب معتقد هم في الوقوع على المرأة أنه يتم هذا إذا أراد الرجل أن يصلب ولد المرأة ، فله أن يفضبها ثم يقح عليها ، وفي هذا يقول أبو كبير الهذلي (١) :

مَنْ حُمِّلَ بِهِ وَهَنْ عَوَاقِدِ      حُبِّكَ النَّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مَهْلٍ  
حَمَلَتْ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزُودَةٍ      كَرِهًا وَقَدَرِ نَطَاقِهَا لَمْ يُمَلِّ  
وفي المقد الفريد (٢) جزء يسير من هذه الأخبار

وهناك روى ترتبط بالنظرة العامة التي يراها العربي الجاهلي في المرأة ، حيث ينظر اليها على أنها مكن اللذة تطارد في الرجل شبابها وماله ، وهو أيضا لا يجد فيها إلا ملاذاً للذة ، فيأتي بروية قاصرة ذات حدين ، وقد اعتبر أبو عمرو بن العلاء علقمة بن (٣) عبدة أعلم الناس بالنساء في الجاهلية إذ يلخص رأى المجتمع الجاهلي في المرأة ويحدثنا عما تبغيه في الرجل ، وإذا كان لقول علقمة التالي الذكر من وجهة إيجابية فهو يعطينا صورة عن نظرة المجتمع الجاهلي إلى المرأة ، لكنها في الحقيقة صورة قاسية سلبية تحصر المرأة التي تشكل نصف المجتمع البشري في نطاق ضيق من الحياة ، وفي روية المصلحة المادية واللذة الذاتية ، يقول (٤)

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَأَتَّبِني      بصيرٌ بأدواءِ النِّسَاءِ طَيِّبٌ  
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ      فليس له من وَدَّهِنَّ نَصِيبٌ  
يُرَدْنَ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمَهُ      وشرحُ الشَّبابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبٌ (٥)

وهذه النظرة القاصرة امتدت في التربة العربية حتى أيامنا حيث مازال قسم كبير من الأعراب والعرب لا يرى في المرأة إلا الفدر ، وقصر النظر وأن مودتها لا تعطى إلا لمن كثر ماله أو كان شديد سواد الشعر .  
وهذه النظرة تقرير يقدمه الشاعر الجاهلي عن نظرة أهل الجاهلية إلى المرأة في وقت كان أغلب فكره فيه محصوراً في الانتقاء والتفضيل بعيداً عن العلة والتحليل .

- (١) : حماسة أبي تمام ، شرح التبريزي : ج ١ / ص ١٩  
(٢) : انظر العقد الفريد : ج ٦ ( المرجعة الثانية في النساء وصفاتهن ) .  
(٣) : هو علقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس ، من مشر ، شاعر جاهلي مجيد .  
كان من صدر الجاهلية وفحولها .  
(٤) : المفضليات : م ٣٩٢ . الطبعة الثالثة . دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م .  
(٥) : الثراء : الكثرة . شرح الشباب : أوله .

## مظاهر أخرى في التربية الجاهلية :

ومن هذا المنحى التفضيلي في عالم التربية تفضيلهم بعض الأصدقاء على الأقارب ، واختيار القرين ؛ وهذا أمر هام ، فمن خلال هذا القرين يُحَكَّم على المرء ، كما في قول عدي بن زيد :<sup>(١)</sup>

عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْلُ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ      فكلُّ قَرِينٍ بِالْمَقَارِنِ يَنْقُتُ عِدِي

ومن هذه القيم التربوية التحسب إلى الناس ، وإظهار صفات المودة والمحبة . وشعارهم في هذا الوفاء لأهل عصبيتهم ولمن يحظى العهد فلا يسعهم أن يغدروا ، وإذا حدث وغدر الرجل منهم رفعوا له في سوق عكاظ لواء لعرف الناس غدره ، فيفضحوه ، فيرتدع غيره عن مثل عمله لتكون للتربية جوانب عظيمة ، وإلى هذا اللواء كان قطبة بن أوس الحاذرة يشير إذ قال :<sup>(٢)</sup>

أَسْمِيَّ وَيَحْكُ هَلْ سَمِعْتَ بِغَدْرَةٍ      رفع اللواء لنا بها في مَجْمَعٍ

ومن أسس التربية السليمة التي سار عليها الجاهليون ، مبدأ " ولا تنزروا زرة وزر أخرى ، فقد كانوا يرون أن أولى الأمور بالإنسان خصال نفسه ، فإن كان كريما ولدا لا بقاء لثام لم يضره ذلك ، وإن كان لثيما ولدا لا بقاء كرام لم ينفسه ذلك ، وفي هذا يقول عامر ابن الطفيل الحامري :<sup>(٣)</sup>

وَأَيُّيَ وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ سَيِّدٍ عَامِرٍ      وفارسها المشهور في كلِّ مَوْكِبٍ  
فَمَا سَوْدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وَرَائِهِ      أَبَى اللَّهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ وَلَا أَبٍ

ومن الشعر التربوي ما يعلم مكارم الأخلاق كما في الأمية الشنفرى . فهذه الأمية تحتوى على أصول تربوية عريقة استقتها الشاعر من الحياة وفيها يبحث على الإباء ، ودعوة إلى مفارقة من لا يرجى خيره ، ودعوة إلى الصبر والجلد ، وتحمل المشاق في سبيل المآرب الجليلة . وقد نسجت حول هذه القصيدة أقاويل كثيرة<sup>(٤)</sup> . وتبقى في ذهننا القصيدة التي تعطي صورة حية عما يريد الجاهلي من تربية ويراه خيرا ما يتوصل إليه الإنسان العربي ، يقول :

(١) : العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، ج ٢ / ص ٣١١ .

(٢) : المفضليات : ص ٥٦ ، الطبعة الثالثة - دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٤ م .

(٣) : عيون الأخبار : ج ١ / ص ٢٢٧ .

(٤) : نسب إلى الرسول قوله : (رووا أولادكم لامية الشنفرى فإنها تعلم مكارم الأخلاق

ولا ترووهم مقاطعة آل غسان) . محاضرات مجمع اللغة العربية . دمشق ١٤٧ .

١٩٥٤ ، ولا نعتقد صحة لهذا الحديث ، وقد جاء في أمالي القاضي : ج ١ / ص ١٥٤ أن هذه القصيدة لخلف الأحمر .



أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صَدْرَ مَطْيَكُمُ  
وَفِي الْأَرْضِ مَنَآئِلَ لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى  
لَعَنُوكَ مَا فِي الْأَرْضِ ضِيقٌ عَلَى أَمْرِي  
فَالدَّعْوَةُ إِلَى إِبَاءِ الضَّيْمِ • وفارقة من لا خير فيه • وترك البلاد التي

تسوء ذى المرء صريحة واضحة • ومقدم كشفاً بالصفات السلبية التي لا يرتضيها :

ولستُ بلمهيافٍ يعشَى (٢) سَوَامَهُ  
وَلَا جَبَانٌ أَكْبَرُ (٧) مُرَبِّاً بِعَرْسِهِ (٨)  
وَلَا خَيْرٌ أَهْيَافٌ كَأَنَّ فُؤَادَهُ  
وَلَا خَالِصٌ دَارِسُهُ (١٣) مَنْغُولٌ  
وَلَسْتُ بِعَقْلٍ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ  
وَلَسْتُ بِمُخَيَّرِ الظَّلَامِ إِذَا انْتَهَتْ  
وَكثيراً مما افتخر به الشاعر وعابه مازال ماثلاً في أذهان العرب فسي

فَأَيْسَى إِلَى قَوْمٍ سَوَاكُمُ لَا مَيَّسَلُ  
وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْقَلْبُ مَتَحَوَّلُ  
سَرَى رَاغِباً أَوْ رَاهِباً وَهُوَ يَعْقِلُ  
مَجْدَعَةٌ سَقْبَالُهَا (٤) وَهِيَ (٥) بَهْلُ  
يُطَالَعُهَا فِي أَمْرِه كَيْفَ يَقَعْلُ  
يُظَلُّ بِهِ الْمَلِكُ (١٦) يُعْلُو وَيَسْفُلُ  
يَرْوَحُ وَيَغْدُو دَاهِنًا يَتَشَبَّهُ  
أَلْفٌ إِذَا مَا هَجَّتْهُ اهْتَاجَ (١٦)  
هَدَى الْهَوَجِلُ الْعَسِيفُ بِهِمَا هَوَجِلُ (١٧) (١٨) (١٩)

(١) : المهياف : السريع العطش •

(٢) : يرعاها ليلا خوف العطش •

(٣) : سيئة الغذاء

(٤) : أولادها •

(٥) : ما يشد به خصر الناقة لئلا يرضعها ولدها •

(٦) : جبان

(٧) : جبان ضعيف : فكأنه وصف ونفى وأكد النفي •

(٨) : ملازم لزوجته •

(٩) : دهش من الخوف •

(١٠) : رقيق طويل •

(١١) : طائر

(١٢) : لا خير فيه

(١٣) : لا يفارق البيوت فهو فيها دائما •

(١٤) : المسن الصغير الجثة •

(١٥) : عاجز •

(١٦) : لا سلاح معه •

(١٧) : الطويل الذي فيه تسرع وحمق

(١٨) : فلاة لا أعلام فيها •

(١٩) : الأخذ على غير الطريق •

وكثير مما أفتخر به الشاعر وعابه ما زال ما  
الجزيرة الفريجية • فما زال الناس هنا يعيبون على الرجل جلوسه في البيت  
ويعيبون عليه استشارته لزوجه ، ويفتخر بعضهم بأنه لا يعبا برأى  
المرأة ولا يأخذ له اعتبارا مهما كان • كما أنه من المعيب عند  
بعضهم أن يطالع زوجته بما يريد أن يفعل •

ثم يسرد صفات ايجابية أخرى تصلح مثالا في تربية الاعرابي ، يقول :  
إذا الأملح الصوان لا قى مناسي تطاير منه قاذح ومضلل  
أديم مطال الجوع حتى أميته وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل  
جلد على المتاعب ، وصبر على المشاق ، واقدام وقوة • كما يخط سياسة

الاباء في رفض تحمل ملة الناس ، مهما كانت الحاجة ماسة :  
وأستف تراب الأرض كيلا يرى له علي من الطول أمروه متطول<sup>(٢)</sup>  
ولولا اجتلاب الذأم لم يلف مشرب يعاش به الا لذي ومأكول<sup>(٣)</sup>  
ولكن نفسا حرة لا تقسيم بي على الضيم<sup>(٤)</sup> الا ريشما أتحول

- 
- (١) : الارض الحزنة ، الغليظة ذات الحجارة ، والصوان حجارة يقذف بها •  
(٢) : المن والمتطول : الممتن •  
(٣) : الذأم والذأم : العيب •  
(٤) : الظلم •

## استنتاج :

=====

يلاحظ الباحث التربوي أن هذه النصوص الشعرية التربوية - على قلتها - تؤكد أموراً تربوية مهمة .

فمن جهة تظهر على أنها استجابة لحاجات كانت قائمة في المجتمع الجاهلي ، ومن جهة أخرى فإنها تؤكد أموراً تربوية عربية معاصرة كما سيظهر معنا في نهاية الاستنتاج . كما أنها تقرّ بربوبية مبدئي عن تأديب النفس ، ورياضتها على مكارم الاخلاق . وتنمية التفكير ، والنهوض بتكاليف إيجابية كثيرة تتركز على الأمالة . " ان التربية في جوهرها عطيات نفسية واجتماعية تصدر عن شخصية الانسان بجملتها ، جسماً وفكراً ووجداناً وارادة وخلقاً ، تتحقق على خير وجوهها اذا شملت تلك النواحي وعملت على تكاملها وهي اما تفهم طبيعتها بالاستناد إلى الفكر الإنساني وتطور العلم الحديث في مجال العلوم السلوكية خاصة ، والممارسة الواقعية والتجريب ، وتحتاج خاصة الى سند من التحليل الفلسفي والتحليل العلمي ، يعني الأول خاصة بالأهداف ، والنهايات ، والثاني خاصة بالأساليب والوسائل والعليات (١) " .

أمام هذا النص المطول نستطيع أن نعدد مرة أخرى الى القصائد التي مرت بنا . فعبد القيس البرجمي مجرب مرت عليه سلون من دراسة المجتمع حوله بأشكاله ، وأنواع معاملاته ، فيخرج لإبنه بتحليل نفسي وعلمي ليرسم له أهداف وجوده في هذه الحياة ، وليصنع له الوسائل الكفيلة بتحقيق تلك الأهداف ، ويؤكد له قيمة وصيته النابعة من أمالة المجتمع الذي يعيشه بقوله :

أوصيك أيها امرئ لك ناصح  
طبن برنب الدهر غير مغفل  
ثم يضع له خطوطاً تربوية كثيرة يبدأها بالخط الإيجابي ، أو المبدأ الإيماني بالمصطلح المعاصر ، فيطلب منه تقوى الله ، وتقوى الله أمر كبير يوجد شخصية متزنة في مناحيها الكثيرة ، اتزان بين الروح والجسد ، واتزان بين المعرفة والوجدان ، وبين الفكر والعمل ، وبين الارادة والمسؤولية ، وهي الأنواع المتعددة الشاملة المنظمة لشؤون الحياة عاملة (٢) .

(١) : استراتيجية تطوير التربية العربية ، وضع لجنة المنظمة العربية للتربية والثقافة

والعلوم . ص ٣٣ - ٣٤ ، الطبعة الاولى . ١٩٧٩ م .

(٢) : المصدر السابق نفسه / ص ٤٣ .

وبعد أن وضع له المبدأ الايماني ، راح يفرس فيه مجموعة من القيم النفسية المستمرة ، ويعتبرها نظام حياة شاملة ، متكاملة في تفاعلها مع ظروف الزمان والمكان .

ثم يأتي عبدة بن الحبيب ويقدم مجموعة أخرى من القيم ، ثم يؤكد على تقوى الله كذلك بحلة ايمانية موحدة . ومع أن الشاعر مخضرم أدرك الاسلام إلا أن هذا النفس التربوي في قصيدته لا يعني أنه سالم من كل ما هو جاهلي ، وتكاد تكون كسابقتها ، عدا أنها تأخذ طابع وصية أكثر من كونها تعاليم تربوية .

فهو يذكرهم بالمكارم التي بناها لهم ، من شرف وصيت وحسب . . . . .  
ومال . . . وهذه القيم النفسية والمادية مما يعتز به الجاهليون والمسلمون ويظهرون أن التعاليم الإسلامية بارزة التأثير في الأبيات السبعة الأخيرة ففيها إجاز الحركة الإسلامية الفاصلة من صدع نزعات الفسي ، والهوى الشخصي ، وتذكير بنهاية المرء والحياة .  
ومن خلال النظر في هذه النصوص تتبين لنا مكانة الانسان الصالح

في الوجود .

فهي تسعى إلى شمولية في النظر إلى تكوين هذا الانسان . وهذه مبادئ " تسمى إليها أرقى النظم الاجتماعية المعاصرة ، وتحاول المذاهب التربوية الحديثة تمثلها والدعوة إليها (١) " .

فصلاح المجتمع من صلاح الفرد ، وصلاح الفرد يأتي من خلال نظرة تربوية شاملة .

والحقيقة أن هذه الخطوات ، أو قل المبادئ التي طرحتها هنا لا تخلو من سلبيات وإيجابيات .

فالسلبات التي حصلها من هذه النصوص - على ضوء الدراسة الاجتماعية والتاريخية - تتمثل في مظاهر مختلفة ولكنها متداخلة .  
فهناك انقطاع تام بين التربية العربية الجاهلية وتربية الأم المجاورة وذلك لما قلناه من أنها استجابة لحاجات كانت قائمة في المجتمع الجاهلي " وهناك واقع عربي في إطار قبلي فقير يجعل التربية في حالة من الركود . ويجعلها تسعى إلى تغيير معالم الفقر عن طريق الحث على الكرم والسخاء ، فتأخذ طابعاً اصلاً حياً .

كما أن هذا الأمر يهز أهداف التربية الديمقراطية... ويجعلها متفاوتة بتفاوت الوضع الطبقي . فإذا دعا العني ابنه الى الكرم والسخاء ، فالأم يدعوا الفقير ابنه في هذا الجانب ؟ ... كذلك السن التعليمية أو الوقت التعليمي الذي يبدأ الشاعر فيه ، سلبية بحد ذاته ، وهذه السلبية تجعل من التعليم التربوي مجرد نصائح خاصة تأتي للكبار ، ومن بعد عمر مديد . والإيجابيات تستطيع اجالها بقيمة الأهداف السلوكية التي تبتغيها هذه التربية ، فهي تلك خصائص أصلية تابعة من حاجة المجتمع ، لكنها لا تملك المعاصرة .

كما تبرز هذه الإيجابيات في الوحدة الإيطالية ، وفي وحدة العادات والتقاليد ، وفي وحدة الهدف اللغوي . وعلى ضوء المبادئ الاستراتيجية المقترحة في التربية العربية المعاصرة والمتمثلة بالمبادئ التالية :

- ١ - المبدأ الانساني .
- ٢ - التربية للإيمان .
- ٣ - المبدأ القومي في التربية .
- ٤ - المبدأ التنموي .
- ٥ - المبدأ الديمقراطي .
- ٦ - مبدأ التربية للعلم .
- ٧ - مبدأ التربية للعمل .
- ٨ - التربية للحياة .
- ٩ - مبدأ التربية للقوة والبناء .
- ١٠ - مبدأ التربية المتكاملة .
- ١١ - مبدأ الأصالة والتجديد .
- ١٢ - مبدأ التربية للإنسانية .

من هذه المبادئ العربية المعاصرة ، ما جاء في وثائق الجاهليين والاسلاميين الشعيرة والتربوية . فمبدأ التربية للإيمان وجدناه

(١) : الاستراتيجية : لفظة استخدمت أصلاً في الحياة العسكرية وتطورت دلالاتها فيها حتى أصبحت تعني فن القيادة العسكرية في مواجهة الظروف المعقدة وحساب الاحتمالات المختلفة فيها ، واختيار الوسائل الرئيسية المناسبة لها . وقد امتد استعمال هذه الكلمة في السنوات الأخيرة بمعانٍ مقاربة إلى أخرى اجتماعية واقتصادية وسياسية .

ففي الدعوة الى تقوى الله وما ينجم عنها • وكذلك مبدأ التربية  
للقوى والبناء مع اختلاف بين البناء القبلي والبناء القومي • ومبدأ  
التربية المتكاملة كذلك مع الاختلاف الذى ذكرناه أيضا •  
أما المبدأ الإنساني • والتموى • ومبدأ التربية للحياة • والمبدأ  
الديمقراطي • ومبدأ التربية للعمل وللعلم • ومبدأ التربية للإنسانية  
فقد أكدت عليها التربية الإسلامية فيما بعد •  
يزداد حرصى في نهاية الحديث عن العصر الجاهلي أن أبين  
شيئا ربما تبادر الى ذهن القارئ أنه سلبى في هذه الدراسة  
الخاصة بالسلبية والايجابية •  
الحقيقة أنى حاولت أن أحشد أهم المواقف السلبية والايجابية من  
أهم المفاهيم الجاهلية •  
وقد جعلنا هذا الأمر نتجاوز الكيف أحيانا في معالجة بعض المواقف  
فبمبدأ الأمر أن خلل فى تأليفنا هذا •

الباب الثاني

العصر الإسلامي

## الفصل الأول

الشعر ونفوذها في الإسلام.

التغيرات البنيوية في المجتمع العربي.



## الشعر ونفوذه في الاسلام (١)

=====

يمكن تلخيص أهم المتغيرات التي أحدثها الإسلام بما يلي :

استنكار قريش للدين الجديد استنكاراً مدعماً بأقوال الشعراء المشركين مما جعل القرآن يرد عليهم وينزل بحقهم آيات بينات تفضح مواقف الشعراء السلبية كما في قوله : " والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون (٢) " .

كما أن أهم صور الانقلاب جعل (يثرب) التي سميت المدينة فيما بعد عاصمة الدولة الدينية . حيث أحدث الرسول (ص) ثورة في (التأهيل) والاقتصاد والسياسة والنفوذ الديني (٣) .

ولاشك أن الدين الجديد ، وقد اعتنقه أغلب أهل المدينة قد رفع من شأنها ، وصار مؤكداً على بدء سيطرة شرقي الجزيرة العربية وكان لابد من الرد على المشركين باللغة التي يفهمونها ، فجعل شعراء المدينة الشعر سلاحاً فعالاً فيه قيم إيجابية وردود عطية على تحدي المشركين ، فنزلت بقية الآية تخفف من حدة إثم الشعر " إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (٤) " .

وهكذا استثنى القرآن الشعراء المؤمنين ، وهم في بحثنا الإيجابيون وأشار إلى ضرر قوم آخرين منهم ساهم (الغاؤون) وهم في بحثنا السلبيون

(١) : احترست عن الديث في " الشعر والاسلام " لكثرة من خاض في هذا الموضوع ، مستقلاً في كتاب - مثل كتاب الدكتور يحيى الجبوري : " الشعر والاسلام " بغداد ١٩٦٤ م أو ضمن دراسة أدبية . لاحظ مثلاً شوقي ضيف " العصر الاسلامي " .

(٢) : سورة الشعراء : الآيات / ٢٢٢ - ٢٢٦ /

(٣) : تاريخ الادب العربي ، ر ، بلاشير : ج ٢ / م ٩٨٠ ، دمشق ١٩٧٣ ، وزارة الثقافة .

(٤) : بقية الآية من سورة الشعراء / ٢٢٦ - ٢٢٧ / .

ومن أهم ما أحدثه الإسلام ظهور الفعالية الأدبية في المدينة المنورة باعتبارها قد أصبحت مركزاً حضرياً • ولم يفتأ شعراء المدينة أن تأثروا بالمعطيات الجديدة التي قدمها الإسلام •

وقد توضح عشية تمكن الإسلام في المدينة أن المطلوب من الشعراء وقوفهم وشعرهم إلى جانب الدين الجديد في الصراع بين الخير والشر •

فكان يهجو قريشاً ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم : حسان بن ثابت • وكعب بن مالك • وعبد الله بن رواحة • وكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وينسبهم إليه • ويعلم أنه ليس فيهم شر من الكفر • فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم حسان وكعب • وأهون شيء عليهم قول ابن رواحة • فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة (١) •

وحين انتصر الإسلام • وساد شبه الجزيرة العربية حمل الشعراء الذين أسلموا على هجر السجاب والموضوعات الهجائية المثقلة بالنزعة البدوية الوثنية • ولا بتعداد عن التغني بالمفاخر الجاهلية • وتبني القيم السلبيه التي حاربها الإسلام • وظهر تأثر هؤلاء الشعراء المسلمين بالقرآن الكريم ودعوته بعد إيمانهم به •

وقد كان الرسول (ص) — وكأن يعبر عن الشعر الإيجابي الذي يوصل من وراءه إلى تدعيم خط الخير — يقول : " فضل لسانك تحبب فيه عن أخيك الذي لسان له صدقاً " (٢) •

ولاشك أن بعضاً من الشعراء لا تكاد يجد عنده اختلاف في شعره بين الجاهلية والإسلام • ولا شك أيضاً أن هذا المصنف من الشعراء كان من أصحاب الدين الرقيق (٣) •

وقد جاء دعم القرآن الكريم للخط الإيجابي في الشعر حين استثنى الشعراء المؤمنين • فخفف من حدة الشعراء في كل شيء وخفف من أثر الشاعر في المجتمع الجديد تخفيفاً بينا حيث صارت المكانة في هذا المجتمع الجديد لقارئ القرآن • وللعامل بما فيه •

(١) : الأغاني : ج ٥ / ص ٢٨ ، طبعة الساسي •

(٢) : البيان والتبيين : ج ١ / ص ٢٥٨ / الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٤٨ م •

(٣) : لاحظ تصرف الحطيئة في أخباره الكثيرة •

ولم يهمل الشعر، فقد وجه رسول الله (ص) الشعر الإيجابي  
ونماه ودعا اليه وحارب الشعر السلبي جاهداً وكان يقول :  
" اما الشعر كلام مؤلف ، فما وافق الحق منه فهو حسن  
وما لم يوافق الحق منه فلا خير منه " (١)  
وأكد أن الإيجابي من الشعر هو الطيب ، والسلبي منه  
هو الخبيث في قوله : " اما الشعر كلام ، فمن الكلام خبيث وطيب " (٢)  
ومن هنا كان حرصه على توجيه الشعراء نحو تمثيل  
المفاهيم الإسلامية ، ونشر المثل الجديدة التي تتأى عن التمسك  
بضلالات الجاهلية ومصيبياتها ، لئلا يكون في الشعر عبث ومجون  
وإذا شعر الرسول (ص) بميل الشعراء نحو ترديد مثل جاهلية  
نسبة وعاتبه ووجهه .

وقد حرص على جعل المدعاة والمباهاة دينية جماعية محسوبة  
اسدال الستائر على مباهاة الجاهلية الفردية ، والقبليية  
وأرادها دينية بحتة . وقد سمع كعب بن مالك الانصاري  
يشهد .

أَلْهَلْ أَتَى غَسَّانَ عَنَّا وَدَوْلَنَا      مِنْ الْأَرْضِ خُرْقُ غَوْلِهِ مُتَمَتِّحٌ  
مُجَالِدُنَا عَنْ جِذْمَا كُلِّ فُخْمَةٍ      مَدْرَبَةٍ فِيهَا الْقَوَائِسُ تَلْمَحُ  
فَقَالَ لَهُ : لَا تَقْلُ عَنْ (جِذْمَنَا) وَقُلْ عَنْ دِينِنَا " (٣)

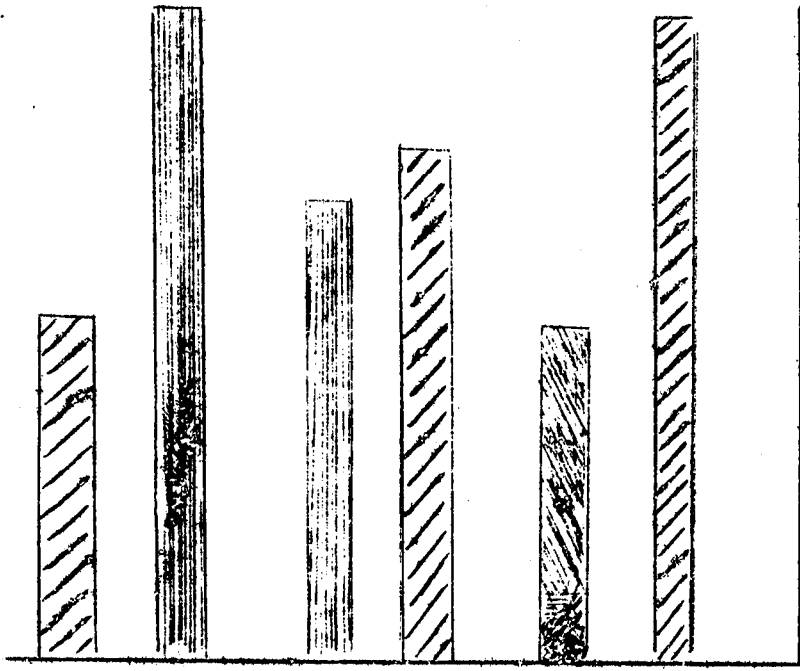
علقت اشارات الرسول وتوجيهاته في هذا الجانب ، على تقوية  
التيار الإيجابي في صدر الإسلام ، أيام حياته (ص) واستمر  
في صحوده إلى أن جاء يوم صاري ينزل ، ويعلو بدلا منه  
السلبيية ، فكلهما ابتعد الزمن عن عهد الرسول (ص)  
تقاصر الخط الإيجابي ، وتطاول الخط السلبي ، حتى إذا  
كان العهد الأموي ، علقت السلبيية في الشعر ، وعادت إليه  
الصور الجاهلية جديعةً نشطة . ويمكن للشكل المرافق  
أن يقدم صورة تقريبية .

(١) : العمدة : لابن رشييق : ج ١ / ص ٢٧

(٢) : المصدر السابق نفسه .

(٣) : السيرة النبوية : ف ٢ / ص ١٣٣ - ١٣٦ / طبعة الشلبي والبياري

وأبي الفضل ، القاهرة .



" التغيرات الحاصلة في الشعر الاسلامي حسب العهود "

١ - صدر النبوة

أفقيا ٢ - الخلفاء الراشدون

٣ - العهد الأموي

عموديا : قياسات تربيبية للايجابية والسلبية حسب التغيرات الحاصلة  
ويلاحظ في هذا البيان التصوري ارتفاع المد الايجابي (اللون الكاشف)  
للشعر أيام الرسول (ص) ، وقصر المد السلبي المتمثل في البقية من  
القيم الجاهلية (اللون الغامق) .

ويلاحظ في عهد الخلفاء الراشدين تطاول السلبي على حساب  
الايجابي حين ظهرت العصية القبلية مرة أخرى .  
وتقلب المقاييس في عهد بني أمية ، فيرتفع المد السلبي  
معادلاً الايجابي في صدر الاسلام ، ويضمّر الايجابي معضاداً لـ  
السلبي تقريباً في صدر الإسلام .

وسبيلنا الآن أن نتحدث عن نفوذ الشعر في العهد الإسلامي  
فقد تبين أن الرسول (ص) كان يريد أن يدخل الشعر في المعركة  
مع قريش وكان يقول : " ما يمنع القوم الذين نصرنا رسول الله  
بسلاحهم أن ينصروه بالسنتهم ؟ فقال حسان بن ثابت :  
.....

(١) : يريد الأتصار .

أنا لها ، وأخذ بطرف لسانه ، وقال : والله ما يسرني به مقول  
بين بصري <sup>(١)</sup> و <sup>(١)</sup> " .

كما كان رسول الله (ص) يرى في بعض الشعر حكمة ، ويرى  
في البيان الواضح منه سحرا يأخذ بالألباب ، وكل هذا يدل  
على نفوذ الشعر في عصره .

وبما أثر الشعر في ذات الرسول (ص) ، فحطه على اصدار العفو  
عن الذين اتخذوا المواقف السلبية من الدعوة الجديدة ، كما فعل  
مع كعب بن زهير <sup>(٢)</sup> . ومن هذا القبيل موقفه من قتيلة بنت

الضر ، فقد قتل النبي (ص) أباهما الضر بن الحارث بن كلدة  
عقب معركة بدر ، لشدة أذاه ، فجاءته قتيلة فأسفستته <sup>(٣)</sup> :

أَمَحَدٌ وَلَا تَضُنُّ جَنِيَّةً      فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقٌ  
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْنَتِ رَبِّمَنَا      مَنْ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمَحْلِقُ  
فَالضَّرُّ أَقْرَبُ مَنْ تَرَكْتَ قَرَابَةً      وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقٌ يَعْتَبِقُ

ففرق لها الرسول (ص) وبكى وقال : " لو بلغني شعرها قبل  
قطعه ما قتلته <sup>(٤)</sup> " .

والظاهر أن التأثير جاء رسول الله من حيث هي فتاة فقدت  
معيلها ووالدها .

لأن الشعر كما ترى - لا شيء فيه سوى الحديث عن مواقف  
يتخذها روماء القبائل في حروبهم ، من غزو عند المقدرة ، ومن  
كره . وما كان رسول الله <sup>(٥)</sup> إلا نبيا رحيما ليسر إلا .

كذلك غفا النبي عن أسرى حنين من هوازن بشعر أبي جسرول  
الجمي وكان رئيس قومه ، فوقف وهو بين الأسرى الذين أسره الرسول  
يسوم حنين وأنشدته <sup>(٥)</sup> :

(١) : الأغاني ، ج ٤ / ص ١٣٧ ، طبعة الساسي .

(٢) : لاحظ ديوان كعب بن زهير : ص ٦ / دار الكتب المصرية ، والعمدة ، ج ١ /  
ص ٢٣ / بيروت ١٩٧٤ م .

(٣) : أسد الغابة ، لابن الأثير الجزي : ج ٧ / ص ٢٧١ ، طبعة كتاب الشعب ، القاهرة  
وفي البيان والتبيين ذكر الجاحظ أنها (علي) : ج ٤ / ص ٤٣ ، الطبعة ٣  
القاهرة ١٩٦٨ ، وفي زمر الاداب : ص ٢٩ ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٥٣ م  
قال الزبير بن بكار : سمعت بعض أهل العلم يغزف في أبيات قتيلة بنت الحارث  
ويقول : انها مصنوعة .

(٤) : الأبيات والجز تجدما في المصادر السابقة كلها .

(٥) : لاحظ محاضرات المجمع العلمي العربي / ص ١٥٦ ، دمشق ١٩٥٤ م .

أَمْنٌ عَلَيْنَا رَسُولٌ فِي حَرَمٍ      فَاكُ الْمَرْءُ لِرُجُوهٍ وَلِنَتَظَرُ  
أَمْنٌ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا      يَا أَرْجَحَ النَّاسِ حُلْمًا حِينَ يَخْتَبِرُ  
إِنَّا لِلشُّكْرِ لِلنَّعْمِ الَّتِي كَفَرْتَ      وَعَدْنَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ مَدَّ خَرُ

فَقَالَ النَّبِيُّ (ص) أَمَا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ فَهُوَ لِلَّهِ ، وَلَكُمْ ،  
فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِلَّهِ رَسُولُ اللَّهِ (١) .

ولعب الشعر الدور ذاته بعد الرسول (ص) وفي أبرز مسائل العقيدة  
وفي ركن من أهم أركان الإسلام وهو الجهاد . فيحقق المخبِّل السعدي  
غايته في استرداد ابنه شيبان الذي هُرج مع سعد بن أبي وقاص  
إلى غزو فارس ، وكان شيخا مسنا ضعيفا ، فما برح يناديه ويتألم لفراقه  
ويدعوه للعودة إلما عليه وَجَدًا ، وحين لم يملك الصبر ، مضى إلى الخليفة  
عمر فأشده (٢) :

أيهلكي شيبان في كل ليلةٍ      لقلبي من خَوْفِ الْفِرَاقِ وَجِيبُ  
ويخبرني شيبان أن لم يفقني      تعق إذا فارقتني وتحسبُ  
فإن يك غمني أصبح اليوم بالياً      وفصلك من ماء الشباب رطيبُ  
فإني حنت ظهري خطوب تتابعت      فمشي ضعيف في الرجال ديبُ  
أشييان ما يدريك أن كل ليلةٍ      غبتك فيها والغـبوق حبيبُ

فأمر باشخاصة اليـلـة (٣) . وتأثر كثيرا فأمر بالا يغزو من  
له أب هرم إلا بعد أن يأذن له راضيا بهجرته (٤) . وعرف الشعراء  
نفوذ الشعر في عهد عمر (ص) ففزع إليه أبو خراش الهذلي حين  
هاجر ابنه مع المجاهدين إلى الشام . فأنشده شعرا مؤثرا ، فأمر برده  
عليه ، وأصدر أمره السابق الذكر .

وقد وقف أعرابي على علي بن أبي طالب ، فقال : إن لي إليك  
حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها حمدت  
الله تعالى . وشكرتك ، وإن لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك ،

(١) : المصدر السابق نفسه مقال ، بقلم ، محسن الأمين الحسيني .

(٢) : الإصابة ، لابن حجر : ج ٣ / ص ٢٢٧ ، القاهرة ١٣٢٣ هـ .

(٣) : الإصابة : ج ٣ / ص ٢٢٧ ابن حجر العسقلاني ٨٥٢ هـ ، مطبعة السعادة

بمصر ١٢٢٣ هـ . : والاغاني ج ١٢ / ص ٣٨ ، طبعة الساسي .

(٤) : الاغاني : ج ٢١ / ص ٢١ ، طبعة الساسي .

(٥) : انظر ترجمته في الاغاني ج ٢ / ص ٤٧ ، طبعة الساسي ، وديوان

الهذليين : ج ٢ / ص ١٧٠ .

فقال له عليّ : خطاجتك في الأرض قايي أرى الضرّ عليك ، فكتب  
الأعرابي على الأرض، (إني فقير) فقال عليّ : يا قنبر ، ادفع اليه  
حلّتي الفلانية ، فلما أخذها مثل بين يديه فقال :

كسوتني حلّة تبلى محاسنها      فسوف أكسوك من حُسْن الثنا حللا  
إن الثناء ليحي ذكر صاحبه      كالغيث يحي نداء السّهل والجبال  
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به      فكلُّ عبْدٍ سيَجْزَى بالذى فعسلا

فقال على : يا قنبر أعطه خمسين ديناراً ، أما الحلّة فلمسألتك ، وأما  
الدنانير فلادبك ، سمعت رسول الله (ص) يقول : ( انزلوا الناس  
منازلهم ) (١) . ثم ان الثناء ليس الا اعلام ويكون في الايجابي من  
الامر . وهو في الشعر مقابل لوسائل الاعلام في عصرنا . فهي  
من أكثر الامور نفعا للمرء . فالصحف ، والاذاعات ، والرأى ، والتصوير  
بأشكاله المتنوعة ، في عالمنا المعاصر تعطي مردودا ايجابيا  
لمن دارت هموله تلك الوسائل ، ان كانت فيه تلك الصفات حقاً ، والا  
فالمردود عكسي . ومردود تلك الوسائل لا يقل عن مردود الثناء  
الشعري الايجابي عمرئذ .

(١) : العمدة ، لابن رشيق : ج ١ / ص ٢٠١ ، الطبعة الثالثة . القاهرة

## التغيرات البليوية في المجتمع العربي بعد الإسلام :

لن نبحث في الحالة الاجتماعية منصرفة عن التغيرات الفكرية ، وبإمكانك أن ترى أننا نركز على التغيرات الاجتماعية من منظور التغيرات الفكرية الثقافية ، وقد زعم قوم من المستشرقين أن الإسلام الثقافي لم يجد طريقة إلى قلوب المسلمين إلا في العصر العباسي<sup>(١)</sup> ، وأنه انتشر انتشاراً جغرافياً سياسياً ، وهذا زعم باطل ، فالرجوع إلى الشعر العربي بعد الإسلام يؤكد لك استناد هذا الشعر إلى كثير من المدارك الإسلامية التي وجدت طريقها في الشعر العربي منذ الهجرة على وجه التأكيد .

ولا شك أن قيام كيان سياسي للحرب يعتبر من أكبر التغيرات ذات الأبعاد الواسعة ، كما أن جعل ( المدينة ) - وقد سميت بهذا الاسم حين نزلها الرسول ( ص ) - موكراً شجبه حضري يتمركز فيها الرسول بدينه الجديد ، جعلها قبلة أنظار الشعراء - ولأن الشعراء حساسين جداً بالتأثيرات المباشرة عن المراكز الحضرية وشجبه الحضرية ، فانهم متأثروا بهذا الوجود الجديد ، مستخدمين ذكاءهم في التلاؤم مع هذا الوضع حيث أصبحت الكلمة العليا هنا للرسول ( ص ) ولأصحابه المتتلين إيماناً الحافظين للقرآن الكريم ، المرددون لأحاديث النبي المومنين ، فأهل الناس الشعر إلى حين .

وكان من جراء ذلك أن انقلبت الموازين النقدية ، فبعد تمكن الإسلام وانتصاره اسلخت مفاهيم كثيرة من ذهنية الشعراء الذين تأثروا بالكلمة القرآنية وبالفسخ الإيماني الذي جاء به الإسلام ، فلم يعد الشعر أكاذبه كما كان بل صار أصدق كما يريد الإسلام ، وكما في قول حسان ابن ثابت :

وإنَّ أشعرَ بيتٍ أنتَ قائلُهُ      بيتٌ يُقالُ إذا أشدَّتْهُ صدَقَا

وقد أخطأ كثير من النقاد والدارسين حين فهموا تغير الشعر

(١) : انظر عمرو فروخ تاريخ الأدب العربي ، ج ١ / ص ٢٥٨-٢٥٧ .

(٢) : انظر مقالة في هذا الموضوع / مجلة الجامعة الإسلامية / عدد ٢ / سنة ١٩٧٠ / ٣ / ١٩٧٠

(٣) : لاحظ تاريخ النقد الأدبي عند العرب . طه أبوهايم . دار الحكمة ، بيروت

لاحظ تاريخ الشعر العربي حتى القرن الثالث . د . نجيب البهيتي .

لاحظ الشعر العربي بين الجمود والتطور ، محمد الكفراوي

لاحظ طبقات الشعراء ، لابن سلام . ص ٢٢ .



ففي الإسلام بأنه لين، وقد غرهم في هذا ما قيل لحسان بن ثابت يوماً : فقد قيل له : " لان شعرك - أوهرم شعرك - في الإسلام يا أبا الحسام ، فقال : يا ابن أخي إن الإسلام يحجز عن الكذب ، وإن الشعر يزسه الكذب (١) " .

وقد ناقض حسان نفسه بين شعره وقوله . انهم في الحقيقة لم يكونوا مدركين للكلمة التي تعبر عما حدث في الشعر بعد مجيء الإسلام . إنه تجاوب وإجابية ، فقد تجاوب الشعراء مع الديمن الجديد فحدث التغيير .

وحين أراد الاصمعي أن يضع يده عما حدث ويعبر عنه ، قال بأن الشعر إذا دخل في باب الخير لان . ولم يدرك ما حدث ، فعاد إلى دائرة حسان في قوله ، ولم يصيب كبد الحقيقة أيضاً . وبعد أن تمكن الاسلام وحفظ الناس القرآن ، وتأكدوا أنه قد اكتمل نزوله ، عادوا الى الشعر متأثرين بالمعطيات الجديدة التي قدّمها الإسلام . منهم من تغير بعد إسلامه وإيمانه ، ومنهم من لم يتغير لأنه كان رقيقاً في دينه منافقاً في إيمانه ، من هذا نرى النقاد مخطئين في استخدام كلمة " الليونة في الشعر الاسلامي " لأنها لا تنطبق على شعر المنافقين وضعيفي الإيمان من الشعراء كالحطيئة وأضرابه .

كما أنها لا تنطبق على الشعراء المؤمنين لانهم تأثروا فتغيروا وجاءوا بشعر جديد موافق لكل معطيات الخير التي تحدث عنها الدين الجديد والتي نريدها بالإيجابية الإسلامية . وقد كانت تعاليم الإسلام حامية حارة ، فهجر الشعراء قبائلهم متعدين عن الإطار القبلي الذي حاربته الإسلام ، وجعلوا من أنفسهم شعراء مدافعين عن الديمن الجديد وعن الدولة التي أسسها هذا الدين ، فولد لهذا الدرع من الشعر نفوذ جديد بعد أن تلاشى نفوذه القديم ، أو كاد . هذا على صعيد الشعر أما على صعيد الدين فقد كان الحدث عظيماً ، خلّص الاسلام الناس من عبادة العباد ، وربطهم بعبادة الله الفرد الصمد ، وانقذ القبائل من الآلهة التي كانت تعبدوها ، ونقلها إلى عبادة (رب العالمين)

(١) : الاستيعاب : ج ١ / ص ٣٤٦ .

(٢) : انظر الموشح ، للمزباني : ص ٦٢ - ٦٥ / .

ووضعت آيات القرآن الخطوط العريضة والدقيقة للإنسان كما يريد الإسلام فهو المتقي ، المتوكل ، المحسن ، الخير ، العامل ، الشيط ، الغيرى الذى يحب للآخرين ما يحب لنفسه ، البعيد عن الفساد والظلم الكاره للمظاهر المادية ، المتعلق بجمال الحياة ، العابد لله كأنه يموت غدا ، والعامل لدنياه كأنه يعيش أبدا ، المحب للناس جميعا البعيد عن الشقاق والنفاق ، والكسل ، البعيد عن غلبة الرجال .  
ومن استعراض بعض القيم الكثيرة التي جاء بها الإسلام يلاحظ أن الإيجابي من الشعر ما تنى تلك القيم ، والسلبى منه ما أنكرها واتخذ منها موقفا رافضا ، وعاد إلى الجاهلية يستقي منها ويصنعه عندها .

كذلك يعتبر تشكيل الكيان السياسى للعرب من أهم التغييرات السياسية ، فقد حلت العصبية الدينية فيه محل العصبية القبلية وأصبحت الدعوة للدولة للقبيلة ، وهذا يحدد الوجهة الأدبية حيث يصبح الشعر سلبيا إذا اتجه وجهة عصبية مرة أخرى ومن الملاحظ أن كثيرا من الصفات الايجابية الجاهلية في شخص القائد السياسى ، بقيت محبوبة في الإسلام ، فالقاعدة في السلوك الشخصى ظلت مسجلة في قيمة المروءة وكرمتها التي يحدد أفقها التصورى الفضائل الاتية :

الشجاعة ، والحلم ، والكرم ، والثبات في الملمات ، فالنفس ما هي الإنطة في شنة - واحترام العهد - دعا اليه القرآن ، وأهم من كل ذلك ما يجب أن يتحلى به القائد المسلم ، دين يتمكن في نفسه فيسرقها نحو الخير دائما ، من هنا كان مديح القائد المسلم بما يمدح به القائد الجاهلي على إطلاقه<sup>(١)</sup> نوعا من المواقف السلبية .  
كما أن أهم ما يطلب إلى الجمهور المسلم في المجتمع الجديد السمع والطاعة ، ولو استعمل عليهم الحب الحبشى ما أقام كتاب الله فيهم فلم تعد القيادة محصورة في أبناء طبقة معينة ، أو تابعة لعرق معين .

---

(١) : لاحظ مثلا مديح حسان بن ثابت للرسول (ص) في كتب السيرة والفتوح

، ومديح كعب بن زهير في الأنصار .

حارب الاسلام نظام القبيلة الذى كان قائما ودعا الى نظام جماعي يضم كافة القبائل العربية ، كما تشير اليه الآية الكريمة : هذه "أممكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون" (١) " فأصبح محتما على الشعراء أن يدعوا الى التمسك بأهداب الدين لتبقى الأمة واحدة ، الأمة التي يراها الله (خير أمة أخرجت للناس) يجب أن تحافظ على الحق والعدل وهذا يحتم أن تتحد الأمة للاسلام ، الذى حصر حق الثأر بالدولة • وانطلق الاسلام يلطم القبائل ، ويكوّن منها المجتمع الجديد بما رفيه من عناصر أخرى ، لا يعتبر الفرد منها مؤمنا الا إذا أحب لأخيه ما يجب لنفسه •

ولا شك أن الوحدة الأساسية في هذا الكتاب الجديد هي الاسرة التي دعا الإسلام الى تأسيسها بطنائى وصلاية ، ثم جعل من مجموعها أمة متعاونة على الخير •

واستمر يقطع أواصر الجاهلية ، ويبني الأواصر الإسلامية ، فعمل على إذابة الفوارق القبلية والجنسية ، وجعل الناس جميعا في الحقوق والواجبات ، وفرض الله تعالى على المسلمين المقتدرين زكاة معلومة (٢) وأكد على ذلك كثيرا ، فلم ترد في القرآن آية تدعو الى إقاسمة الصلاة إلا مقرونة بالدعوة إلى إيتاء الزكاة ، فالزكاة والصلاة دعائتان متينتان بُني عليهما الإسلام من ذلك قوله تعالى " فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة (٤) " • كما أن المسلم لا تحصل أخوته الدينية للمسلمين الا بأدائهما " فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين " وأنذر النبي (ص) مانعي الزكاة بالحدب وشيق العيش فقال : (وما منع قوم الزكاة إلا منعوا القطر من السماء ولولا البها ثم لم يطرخوا) (٦)

(١) : سورة الانباء ، آية ٩٢ •

(٢) : سورة آل عمران ، آية ١١٠ •

(٣) : الزكاة صدقة ، والصدقة زكاة ، اختلف الاسم واتفق المسمى : الطاهري في احكامه السلطانية •

(٤) : سورة الحج ، الآية ٧٨ •

(٥) : سورة التوبة ، الآية ١١ •

(٦) : لاحظ جامع الاصول ، لابن الاثير ج ٤ / ص ٥٥٠ باب الزكاة •

ولم يجعل الإسلام الزكاة هوى شخصيا للفرد إن شاء أعطى وإن شاء منع، بل جعلها اجبارية لأنها حق الفقير في مال الله الذي أعطاه للغني لقوله تعالى : ( والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ) فكان حقا على الإمام المسلم أن يجمع حقوق الفقراء ويوزعها عليهم بالعدل .

وبهذا ضمن الإسلام للفقراء حقوقهم مدركا أن البطون إذا جاءت دفعت أصحابها لاستساعة جميع صنوف الجرائم . من هنا كانت مواقف الخليفة الأول عزيمة أذ قد حاربنا لإعادة حقوق الفقراء ، كما فعل عمرو بن اللود في الجاهلية مع الفارق بالمنطق والأهداف ، فكانت حربا أهلية " لإصاف الطبقة الفقيرة ، ولن تجد في جميع الحروب الأهلية التي قامت لإصاف الطبقة الفقيرة في أوروبا ما يعادلها إخلاصا ونزاهة ذلك لأن الذين حاربوا لإصاف الطبقة الفقيرة في أوروبا هم الطبقة الفقيرة نفسها حاربوا تحت تأثير الحاجة ، أما الذين حاربوا في زمن الخليفة أبي بكر فهم سرقة الصحابة ، رجال الحل والعقد وعلى رأسهم الخليفة نفسه (٢) .

أما هذا المفهوم العظيم الذي جاء به الإسلام وجب على الشعراء أن يتخذوا مواقف معينة ، فما كان داعيا إلى إثبات هذه الحقوق كان إيجابيا ، وكان بعيدا عنها فهو سلبى بعيد عن مهمته . إن المواقف التي اتخذها أبو ذر الغفاري (رض) من تلك الطبقات التي كدست الذهب ومنعت الحق أن يصل إلى أصحابه كاملا ، قد تأتي في الشعر أيضا وهذا ما نبحث عنه في الإيجابي من الشعر الإسلامي الإقتصادية .

والإسلام الذي قلب المجتمع القبلي إلى أمة قوية راح ينظم العلاقات العامة من ميراث ، وتجارة ، وزراعة ، وصناعة ، إلى دفاع قوى عن المرأة ، وانقاذها منها من أصناف العذاب ، وأشكال الموت الذي كانت تعانيه على صعيد التفسيرات الفكرية ، نلاحظ أن العربي ارتقى بالإسلام إذ خلصه من السلبات التي مرت بنا ، ونجاة من الحماقات والخرافات التي كانت من صميم تفكيره الجاهلي .

(١) : سورة البعارج ، آية ٢٤ - ٢٥ .

(٢) : إصلاح الإسلام الإقتصادي . هاشم الدفتر دار المدني . انظر

روح الدين الإسلامي ، عفيف طيارة ، ص ٣٣٣ ، بيروت ١٩٦٩ م .

كذلك دفعه الى التفكير بخالق هذا الكون وموجده ، وامتكم الى العقل في قضايا الوجود والحياة والموت ، وأسس فكرة التدبر عند العرب ، وجعل طلب العلم فريضة ، " قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون اما يتذكروا <sup>(١)</sup> اولوا الالباب " . وطالب القرآن المسلمين بأن يطلبوا العلم يهديهم الى القبول الفصل في كل ما يرجعون معرفته من حقائق علوية وكونية : " وقل رب زدني علما <sup>(٢)</sup> " .

وقد أثبتت الاسلام أصولا تحمي العقل من الجسود والرجعية ، فهو دين الحجة والبرهان ، ودين العقل لا الظن ، وعدو للتقاليد وداع للأخذ بالأحسن .

واذن فالتهمة التي ذاعها الأوربيون في القرون الماضي تهمة خاطئة موهناها أن الاسلام كان حربا على حرية الفكر ، وأنه كبت جميع الحركات العلمانية <sup>(٣)</sup> .

وقد أرسى الاسلام كثيرا من الفضائل : كالإحسان ، والتقوى ، والصبر والعفو ، والمدق ، والاستقامة ، وإصلاح النفس وتركيتها وإصلاح بين الناس ، وحسن المعاشرة ، والإيثار ، والكلام الحسن ، والتعاون <sup>(٤)</sup> . وكل شعر دار في فلك هذه الفضائل ودعا الى نموها ايجابي فكري .

كما حارب الإسلام الرذائل : كالاتقياد لهوى النفس ، والكبرياء ، والزنا ، والخمر واللقمار ، والكذب ومظاهره ، والتجسس ، والغيبسة والنميمة ، والظن السيئ ، والغضب ، والشراسة ، واللغو ، والحسد وما الى ذلك من سوء الخلق . وكل شعر دار فلك هذه الرذائل ودعا الى نموها سلبى فكري . ولا شك أن من أجمل ما جاء به الإسلام ، الايمان بحرية الفكر ، فإنه : " لا اكراه في الدين قد تبين الرشيد من الغيبي <sup>(٥)</sup> " .

(١) : سورة الزمر : الآية : ٩

(٢) : سورة طه ، الآية ١١٤

(٣) : أرنست ريلان ، في كتابه (الاسلام والعلم) .

(٤) : روح الدين الاسلامي . غيف عبد الفتاح طيارة ، ط ٨ / ص ١٩٨ وما بعد

(٥) : سورة البقرة ، الآية ٢٥٥ .

- وقد قبل الإسلام الشعر الذي كان إلى الله وحده .
- وفيما يلي نسرد أهم المعاني الشعرية التي يقبلها الإسلام وفيها النفس الإيجابي الذي يبحث عنه في المناحي الفكرية الإسلامية :
- أن يكون الشعر قيما روحية ، فيها دعوة إلى طهارة النفس وبذ لكل فاحش وذيلة .
  - أن يراقب الشاعر ربه في كل ما يأتي به من قول أو فعل .
  - ألا يكذب الشاعر في قول يأتيه .
  - ألا يعود إلى تمجيد كهانة ، أو شعوذة ، أو خرافة ، أو سحر تشاكلي أو اتصالي (١) .
  - أن يذكر بقدرة الله وتدييره ووحدايته .
  - أن يدعو الناس إلى التفكير والإيمان والتدبر .
  - أن يبصر الناس بالفضائل الكثيرة التي دعا إليها الإسلام .
  - أن يبتعد عن الرذائل التي حاربها الإسلام .
  - ألا يخوض في غمار العصبية وأن يبتعد عن التنازع والتنازع .
  - ألا يدعو إلى الأخذ بالثأر ، وأن يجعله من اختصاص الدولة .
  - أن يعي دور المال في المجتمع ، فيدعو إلى رد مال الزكاة إلى بيت مال المسلمين ، لتعود على الفقراء ، حقا ثوبا لا استجداء أو استعطافا .
  - أن يحترم الإنسان وحقوقه عامة مشتقة من هدى القرآن الكريم فالشعر الذي يخالف هذه المعتقدات سلبى بالنسبة للدين الجديد وهو الخاضع للذم ، الذي حاربته القرآن الكريم وقصد أصحابه .
  - في قوله : " والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ويقولون مالا يفعلون (٢) " .

(١) : لاحظ (الفصل الذهبي . دراسة السحر والدين . سير جيس فريز ج ١ / ص ١٠٨ . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة ، ١٩٧١ م .

(٢) : سورة الشعراء ، الآية / ٢٢٣ .

## الفصل الثاني

### المفاهيم السلبية

- المناحي الاجتماعية
- المناحي الفكرية
- المناحي الاقتصادية
- المناحي التربوية

## المناحي الاجتماعية

- شعر الفتى .
- شعر التخرّض .
- العصية القبلية .



شعر الفتن والتحريض :

من المفروض أن يكون الشعر في صدر الإسلام مثلاً لروحه وأخلاقه  
فقد تأثر المسلمون بأدب القرآن وبلاغته ، فأصبح الشعر العربي بعد  
ظهور الإسلام يغاير قليلاً أو كثيراً الشعر الجاهلي ، وبصر عقلا غير  
المقل الجاهلي .

غير أن بعض الشعراء خاض في نوع من الشعر ذي المردود السلبي  
فكان يشير الفتن ويغري الضغائن .

والغريب أن يخوض شاعر الرسول ، حسان بن ثابت (١) في مثل هذا  
الحديث فيحرض طرفاً من المسلمين على طرف آخر ، ويحث أهل الشام  
على قتال المسلمين وكأنها الجاهلية الجاهلة ، يقول في رثاء عثمان  
بن عفان :

مَنْ سَرَّهُ الْمَوْتُ صِرْفًا لَا مِزَاجَ لَهُ  
فَلَيَأْتِ مَأْدُبَةً فِي دَارِ عَثَمَانَ  
ضَحَوْ بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ  
يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا  
لَتَسْمَعَنَّ وَشَيْكًا فِي دِيَارِهِمْ  
اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتُ عَثَمَانَ

ويبدو أن مواقف التحريض عند حسان شجعت بعض الناس على اتهامه  
بقصة الافك التي دارت حول عائشة زوج الرسول (ص) مما جعله يجادر  
إلى الاعتذار عما نسب إليه (٣) فقال :

حِصَانُ رِزَانٍ مَاتُزَنُ بِيَسْبَةِ  
وَتَصْبِحُ غَرْنِي مِنْ لِحْيَمِ الْغَوَافِلِ (٤)  
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتَ  
فَلَا رَفَعْتَ سَوْطِي إِلَيَّ أَنَا مِلِّي

وقد وجه كلامه الأخير إلى بعض المهاجرين وكانوا بوثاسة صفوان  
ابن المعطل آثاره في هذا الحادث ، حتى وجد وجدًا شديد ، ولم  
يجد أمامه وسيلة يدافع بها عن نفسه سوى التحقير من شأنهم  
فسماهم الجلابيب استصغارا لشأنهم وقال :

(١) : انظر توجمته في الشعر والشعراء ج ٦ / ص ٢٦٤ . والموشح ص ٦٠ وسير أعلام

النبلاء للذهبي طبعة ، دار المعارف ج ٢ / ص ١١٥ و ص ٣٦٦ وما بعدها .

والأغاني ، طبعة الساسي ج ١٦ ص ١٢ وما بعدها .

(٢) : ابن الأثير ، (أسد الغابة) ج ٣ / ص ٥٩٥ ، طبعة دار الشعب .

(٣) : الحمدة ، لابن رشيقي : ج ١ / ص ٢٤ ، بيروت ١٩٧٢ ، الطبعة الرابعة .

(٤) : حسان عفيفة ، رزان : ذات وقار . تنن : تتهم . غرني : جائعة ، أي لا تغتاب  
النساء .

أُمسى الجلابيب قد عَزَّوا وَقَدْ كَثُرُوا

وابن الغريفة أُمسى بيضة البلد (١)

ومن الشعر الذي كان يذكرى نار الفتنة ، ويحط من شأن الآخرين ، هجاء الحطيئة (٢) للزبورقان بن بدر .

سار الزبورقان الى عمر بمصدقات قومه ، فلقبه الحطيئة ومعه أهله وأولاده يريد العراق فرارا من السَّنة وطلباً للعيش ، فأمره الزبورقان أن يقصد أهله وأعطاه أمانة يكون بها ضيفاً له حتى يلحق به ففعل الحطيئة ، ولأنه لم يحقق ما يريد نسي حسن الكرم ثم هجاه بقوله (٤) :  
دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْجُلَ لِبَغْيَتِهَا      وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي  
وقد كان "جشعاً سوءاً" ملحقاً دنيء النفس ، كثير الشر ، قليل الخير بخيلاً ، قبيح المنظر ، رث الهيئة ، مغصور النسب ، فاسد الدين ، وما تشاء أن تقول في شاعر من عيب إلا وجدته ، وقلما تجد ذلك في شعره (٥) " وقد فهم الدين أنه تعلق بشخص الرسول ، وما دام الرسول قد مات ، فلا يحق لأحد بعده أن يتابع عقيدته ومبادئه ، فخاض في حديث كبير وخطير حرض فيه الناس ضد أبي بكر وخلافته ، وقوى المرتدين في سوء صنيعهم كما في قوله (٦) :

أَطْعَمَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِذَا كَانَ بَيْنَنَا      فَيَا عِبَادَ اللَّهِ مَا لَأَبِي بَكْرٍ  
أَيُّوثُهَا بَكَرَاهُ إِذَا مَاتَ بَعْدَهُ      فَتُكِّ ، وَبَيْتُ اللَّهِ ، قَاصِمَةُ الظُّهْرِ

ومن المؤكد أن أهم سلبيات شعر الفتن إشارة العصية القبلية .

- (١) : سير أعلام النبلاء للذهبي ، طبعة دار المعارف مج ٢ / ١١٥ ، ص ٣٦ وما بعد ومن أمثاله العرب : هو أذل من بيضة البلد لأن النعام يترك بيضه فيحتضنه غيره
- (٢) : انظر أخباره في الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، ج ١ / ص ٢٣٨ ، وديوانه ص ١٧٤
- (٣) : انظر ترجمته في أسد الغابة ، لابن الاثير ، ج ٢ ، ص ٢٤٨
- (٤) : المصدر السابق نفسه والقصة مشهورة في كتب الادب .
- (٥) : الاصمعي : أغاني دار الكتب ، ج ٢ / ص ١١٣ .
- (٦) : من الرواة من نسب هذين البيتين إلى غيره ، انظر تاريخ الطبري ، ج ٢ / ص ٤٧٧ ، حيث نسب البيتين إلى أخيه الخطيل .
- وانظر الأبيات في أغاني ، دار الكتب ، ج ٢ ، ص ١٥٧ ، وشفي ديواسة / ص ٣٢٦ .

## شعر التحريض :

شعر التحريض هنا أكثر سلبية من الشعر الجاهلي ، فالدين الجديد غسل النفوس من أدران الجاهلية ، ووضع أسسا جديدة للحياة ودعا الى الطيب من الكلام ينتشر بين العباد في عامة البلاد ، وفي عمق الزمان ، ومثل الكلمة الإيجابية الطيبة في قول الله : " ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون (١) " .

ضرب الله الأمثال للناس عامة ، والشعراء من الناس ، أكثر دقة في فهم المقصود بالكلام الطيب ، فكان الرسول (ص) يقول : " انما الشعر كلام مؤلف ، فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه (٢) " .

وجاء القرآن بثنييه آخر من الكلام الخبيث ، واعتبره ومنع الكلام المشبه . بالشجر الخبيث المقتلع الخيشو ، فقال تعالى : " ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار (٣) " . وبالرغم من معرفة الشعراء مقصود الكلمة الطيبة ، وحب الله لها ومقصود الكلمة الخبيثة ، وبغض الله لها ، فقد سار قسم منهم في هذا الخبيث من الكلم ، يحرض المسلمين على بعضهم فيضعف من قوتهم ، وينتقص من أيمانهم .

لما قامت الفتنة التي انتهت بقتل عثمان بن عفان (رض) صار بعض الشعراء يحرك العصبية ، ويحرض معاوية بن أبي سفيان على قتال علي ابن أبي طالب . كما في شعر الوليد بن عقبة الذي أرسله إلى معاوية (٤) :

مُعاوِيَّ إِنَّ الشَّامَ شَأْمُكَ فَاعْتَصِمْ      بِشَأْمِكَ لَا تَدْخُلْ عَلَيْكَ الْأَفَاعِيَا  
وَأَنَّ عَلِيًّا نَاضِرٌ مَا تُجِيبُكَ      فَأَهْدِ لَهُ حَرْبًا تُشِيبُ النَّوَامِيَا

(١) : سورة ابراهيم : الاية ٢٣ .

(٢) : العدة ، لابن رشيقي : ج ١ / ص ٢٧ .

(٣) : سورة ابراهيم : الاية ٢٤ .

(٤) : الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، أموي قرشي ، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه .

من شعراء قريش وأجودهم ، فيه ظرف ومجون ، ولهو ، مات بالرقعة : الأعلام ج ٩ ص ١٤٣ .

(٥) : ابن مزاحم ص ٩٨ ، وقعة مفين . ط ٢ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٣٨٢ هـ .

أين هذا الكلام ما جاء به الإسلام ؟ إنه من الخبيث السليبي ففيه وفي أمثاله حقت الغاية ، مدعوما بقايليات مسبقة • فعلي بن أبي طالب الخليفة الجديد ، وأصحابه في رأي الوليد بن عقبة أفاع " وما على معاوية إلا أن يهدى له الحرب الضروس •

ويبدو أن قابلية معاوية لهذا الشعر عميقة متينة : فقد استفاد منه وجاءه آخر غيره يقوى من فطرتهم التي هو عليها في قوله (١) :  
أبلغ معاوية بن حرب خطبة لا تقبلن دية تعطونها  
ولكل سائلة تسيل قرار في الأمر حتى تقتل الأنصار  
وكما تبوء دماؤهم بدماؤكم وكما تهدم بالديار ديار  
وترى سائرهم يجلن حوارا ولهم من علق الدماء خوار  
وحين انتقل الناس إلى حرب صفين ، كان لهذا الشعر دور كبير في تأجيج نار الحرب •

وأهم دور لعبه شعر التحريض السليبي في أيامه الأولى أيام حرب صفين ، ولا سيما في رقعة هذا اليوم تلخص بأن أصحاب معاوية استولوا على مشرب القوم من نهر الفرات ، وبقي أصحاب علي يوما وليلة بلا ماء فقال رجل من السكون من أهل الشام يعرف بالسليل بن عمرو (٢) يا معاوية :

اسمع اليوم ما يقول السليل	إن قلبي قول له تأويل
امنع الماء من صاحب علي	أن يذوقه والذليل ذليل
واقتل القوم مثل ما قتل الش	يخ ظمأ ، والقصاص أمر جميل (٣)

فحديث الكلام الخبيث غير بعيد عنا ، اذكره واسمع قوله : " امنع الماء من صاحب علي " ، وقوله " الذليل ذليل " ثم تعريضه بقتله عثمان تحريضا • أين هذا من تعاليم الإسلام التي جاءت لمثل هذا الموقف متشكلة في قوله تعالى : " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحدهما على الأخرى ، فقاتلوا التي تبغي حتى تفي إلى أمر الله (٤) " •

(١) : رقعة صفين ، لابن مزاحم ، ص ٩٨ ، القاهرة ، ١٣٨٢ هـ

(٢) : المصدر السابق ، ص ١٦٣ •

(٣) : الشيخ ، أراد به ، عثمان بن عفان •

(٤) : سورة الحجرات : الآية ٤٩ •

لسي الشامي الشاعر كلام الله هذا ، فحرض وحرض حتى قال  
معاوية : " لا سقاني الله ولا سقني أباسفيان ان شربوا منه أبدا حتى  
يقتلوا بأجمعهم عليه (١) " .

ثم نجم عن هذا الامر - الفعل عند الشاعر ، ورد الفعل عند  
معاوية - انفجار حرّك عليا وأصحابه ، فاستولى على الماء ثانية : ولك  
تحت تأثير الفعل ، ورد الفعل عند رجل من أصحابه ينادي ، وكان  
مغتتا لما فيه أهل العراق من العطش (٢) :

أيمنعنا القوم ماء الفرات	وفيما الرّماح وفيما الجحيف (٣)
فذبّوا اليهم كِبْزَلِ الجمال	دوين الذّميل وفوق القطف (٤)
فأما تحلّوا بشط الفرات	وملّا ومنهم علسيه الجيف
والأفانتم عبيد العصا	وعبد العصا مستذلّ تطرف (٥)

وقد كان معاوية في هذه الحرب حريصا ألا يترك فرصة تفوته دون أن  
يسعى لتحريض الناس ضد علي ، كي يتوصل الى طيريد في حربه مع  
علي .

ففيها عزل علي بن أبي طالب الأشعث عن رئاسة كندة ، وأجمع الأمر  
لحسن بن مخدوج ، فدعا معاوية مالك بن هبيرة فقال : اقذفوا  
إلى الأشعث شيئا تهيجونه على (علي) فدعوا شاعرا لهم ، فقال هذه  
الآبيات ، وكتب بها مالك بن هبيرة إلى الأشعث ، وكان له صديقا  
وكان كنديا :

من كان في القوم مظلوماً بأسرته	قاله يعلم أبي غير مظلوج (٦)
زالت عن الأشعث الكندي رياسته	واستجمع الأمر حسن بن مخدوج
يا للرجال لعار ليس يغسله	ماء الفرات وكرب غير مفسوج
إن ترض كندة حسانا بما حبسها	يرض الدّناة وما قحطان بالهوج
ليست ربيعة أولى بالذي هذيت	من حق كندة ، حق غير محجوج (٧)

(١) : رقعة صفين ، لابن مزاحم : ص ١٦٣ .

(٢) : المصدر السابق نفسه .

(٣) : الجحيف : جمع جحفة . وهو الترس من جلود الابل يطارق بعضها ببعض .

(٤) : الذّميل والقطف : ضربان من السير .

(٥) : عبيد العصا : يقال للقوم اذا استذروا . قال امرؤ القيس :

قولا لدودان عبيد العصا      ما غرّكم بالأسد الباسل

(٦) : رقعة صفين ، لابن مزاحم : ١٣٦ - ١٣٧ .

(٧) : حذيت : أعطيت ز والحذوة ، العطية .

وقد أدرك أهل اليمن الفتنة التي أرادها معاوية . فلما انتهى  
الشعر اليهم ، قال شريح بن هاني : يا أهل اليمن ما يريد صاحبكم  
الا أن يفرق بينكم وبين ربيعة . وان حسان بن مخلد مشى الى الاشعث  
بن قيس برأيه حتى ركزها في داره . فقال الاشعث : ان هذه الراية  
عظمت على (علي) ، وهو والله أحق على من زف النعام<sup>(١)</sup> ، ومعاذ الله  
أن يغيرني ذلك لكم .

فعرض عليه علي بن أبي طالب أن يعيدها عليه فأبى . فقال له  
علي : أنا أشركك فيه . فقال له الاشعث : ذلك اليك ، فوله علي  
ميمنة أهل العراق<sup>(٢)</sup> .

لقد أراد معاوية شرا بشعر صاحبه السلبي ، وجاء رد الفعل ،  
مولدا موجة ايجابية في نفوس أهل اليمن ، فأدركوا أصل الفتنة ،  
وترفعوا فوقها ، وصاروا الى الوحدة والثام ، وحل الاطم على بقية  
الامر بتوليئه الاشعث على ميمنة جيشه .

وليس بعيدا عن هذا ما تقع فيه بعض أجهزة الاعلام ، وهي تسعى  
في محاربة أمر ما في نفوس القوم ، فاذا هي تحببه اليهم ، أو تقوم  
بالعكس فتحصد نتيجة معاكسة كذلك .

ولو أن اسلام هؤلاء المحرضين كان صحيحا ما حرضوا على قتال المسلمين  
بعضهم ببعض ، وأثاروا فتنة طويلة . فالاسلام ينهي عن مثل هذا  
الكلام . لكنها الروح الجاهلية التي عاشت في نفوسهم ، فهم بعيدون  
عن المفهوم الحقيقي للاسلام ، مكتفون بالتظاهر ، بعيدون عن المنطوق  
القرآني والنبوي . وكثير من الشعراء من " كان جافيا في دينه ،  
وكان في الاسلام يبكي أهل الجاهلية<sup>(٣)</sup> " .

---

(١) : زف النعام : ريشه الصغير .

(٢) : رقعة صفين : ص ١٣٦ - ١٤٠ .

(٣) : الشعر والشعراء ، لابن سلام . ص ١٢٥ ، في أخبار الشعراء ابن مقبل

العجلاني .

## العصبية القبلية :

نبدأ الاسلام العصبية ، وألغى المفهوم القبلي ، ووضع مفهوم  
الامة بدلا منه . وأقره بصريح القرآن " ان هذه أمتكم أمة واحدة  
وأنا ربكم فاعبدون <sup>(١)</sup> " . فذم حاملها وداعيتها والغاضب من أجلها وناصرها  
بصريح الاحاديث الكثيرة ، نحو : " من قتل تحت راية عمية يدعو  
عصبية ، أو ينصر عصبية ، فقتله جاهلية <sup>(٢)</sup> " ونحو :  
" ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل عصبية ، وليس منا  
من مات على عصبية " وفهم الناس أن الدفاع عن العشيرة لا يعني  
العصبية فكان يشجع الدفاع عنها فيقول :  
" خيركم المدافع عن عشيرته ، مالم يأتهم <sup>(٣)</sup> " ووضح أنه يقيد الدفاع عن  
العشيرة بعدم الاثم . وقد فسر رسول الله (ص) العصبية المنبوذة بـ  
بأنها اعانة قومك على الظلم ففي حديث واثلة بن الاسقع (رض) قال :  
قلت : يا رسول الله ، ما العصبية ؟ قال : أن تعين قومك على الظلم <sup>(٤)</sup>  
لكن ربما انفلتت بعض القصائد في الفخر القبلي ، فحضر الرسول  
طرفه عنها لأنها كانت تخدم العقيدة في وقت من الاوقات اذ كانت  
قريش يؤلمها مثل هذا الحديث ، ويبقى حديث العصبية والفخر القبلي  
سلبيا ، وعاملا مؤشرا الى ضعف الوعي الاسلامي الذي لا يؤمن  
بالعصبية أصلا .

ومن الغريب أن تظهر مثل هذه المواقف عند حسان بن ثابت النهدي  
لصق بالرسول (ص) يسمع منه ويتشبع بأحاديثه ، فأصبح انتصار الامة  
الناشئة انتصار قبليا . ولعل حسانا الذي كان يلتفت حوله فلا  
يجد الا عدة مئات من المسلمين اعتقدتهم عشيرة واحدة يحق له  
أن يفتخر ببعض قبائلها ، كما في قوله عقب معركة بدر <sup>(٥)</sup> :

(١) : سورة الانبياء : الاية ٩٢

(٢) : أخرجه مسلم . جامع الاصول ، لابن الاثير ، ج ١٠ / ص ٥٨ ، دمشق ١٩٧٠م

(٣) : المصدر السابق ، ص ٥٩ .

(٤) : المصدر السابق ، ص ٧٩ .

(٥) : المصدر السابق ، ص ٥٩ .

(٦) : ديوان الفتوح صبعة ، د . فخر الدين قباوة . مخطوط : ٢٧ ألقاه في

كلية آداب حلب ١٩٦٩ .

لقد علمت قريش يوم بخدر  
بأننا حين تشتجر العوالي  
قتلنا ابني ربيعة يوم سارا  
وفرّ بها حكيم يوم جالت  
وولدت عند ذاك جموع فهر  
لقد لا قيمت ذلا وقتلا  
وكل القوم قد ولّوا جميعا  
وإذا كان الأسلام قد قضى على العصبية القبلية في وجود الرسول (ص)  
حيا بين ظهرائي الأمة ، فإن سبيلنا إلى كشفها بعد ذلك أن نتبع  
هذا الخط تاريخيا .

فمن الثابت أن الشيخين حاربا العصبية القبلية ، التي لم تلبس أن  
ظهرت في خلافة عثمان بن عفان ، حين حكم الناس بالعصبية  
الاموية ، فاستيقظت الفتنة ، وتحرك ما كان كامنا في النفوس من  
العداوة القديمة الجاهلية (٦) بولادة العصبية من جديد تشوه صفا  
الدين ، وصارت تولد أحاديث لأصل (٧) لها ، فاعتبر عثمان على أنه  
أول من فتح أبواب الظلم ، وأرتج أبواب الحق (٨) .  
ولا شك أن بني أمية قد تعمبوا وتكاثفوا في إيطار قبلي ، وكان تعاليم  
الإسلام لم تفرغ أذاهم أو تهز أوتارهم قلوبهم ، فبعد مقتل عثمان بن عفان  
مضى شعراؤهم يحرضون معاوية على الأخذ بثأره ، وكان الوليد بن عقبة  
يكثر من هجاء بني هاشم ، ومن هجاء علي بن أبي طالب

(١) : تشتجر : تختلط وتشتبك ، والعوالي : أعلى الرماح والأبيات في شرح الحماسة  
ببعض الاختلاف .

(٢) : مضاعفة الحديد : الدروع التي ضوعف نسجها .

(٣) : تخطر : تهتر وتتجرد في المشي إلى لقاء أعدائها .

(٤) : كأنه يريد فهم المحافظة على النسب ، ويعيب عليهم الفرار ، وهذا موقف سلبي  
مشين في علم النفس الحربي ، إذ يبعث نار النعمة ومشحن الأعداء بطاقة فعالة .

(٥) : أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري / ١٣ ، د . عبد الحسين طه طه ١٩٦٨م

(٦) : المصدر السابق ، ص ١٤ ، وانظر الفرق بين الفرق ص ٢٢٣ والمطل والنحل ج ١  
ص ٣٦٥ ، مطبعة الأزهر .

(٧) : شرح نهج البلاغة ج ٢٠ / ص ٤٦٢ .

(٨) : الأغاني : ج ١٧ / ص ١٥٢ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠م



ويقول في تحريض معاوية مخاطبا بني هاشم (١) :

وأتا وإياكم وما كان مكسبكم كصدع الصفا لا يرأب الصدع شاعبه  
هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما غدرت يثوباً بكسرى مرارته  
فالذى فهمه من الإسلام كان مشوها جعله يرى الخليفة امبراطورا  
ويرى المسلمين مرارته . ويستطيع أن نلاحظ ارتفاع الخط القبلي بعد  
مقتل عثمان ، ولا شك أن بعض الشعراء كان يقوى نار العصبية بشعر  
الفتن والعداوة ، مما أدى إلى انفجار المنافرات ذات الدافع القبلي بين  
بني أمية وبني هاشم . ثم تشجعت بعض القبائل الأخرى كما فعل  
الأصبار ، فحسان بن ثابت الذى دعا إلى الأخذ بثأر عثمان ، لا يسمح  
لبني أمية التناول على المدينيين .

ولا يغيب عن البال بداية العصبية المدينية التي بدأت عقب  
وفاة الرسول في سقيفة بني ساعدة .

ولا ريب أن تفاخر الأصبار وتعاليمهم قد بدأ بعد وفاة النبي كما  
ذكرناه ، وثمة مقطوعة في ديوان حسان تحتوى على فقرة يبدو فيها  
هذا النوع من الفخر : ولا ريب في أن هذا لا حق قليلا لزم حسان  
ولعله من زيادات ابنه عبد الرحمن الذى شهد النزاعات بين المدينيين  
والأمويين ، قال (٢) :

وبك لن تلقى من الناس معشراً أعز من الأصبار عزاً وأفضلاً  
وأكثر أن تلقى إذا ما أتيتهم لهم سيداً ضخم الوسيفة جحلاً (٣)  
وعداً خطيباً لا يطاق جوابه وذا أربعة في شعره متخلاً (٤)

وبعد ذلك راح إيطار القبيلة العصبية ينداح حتى وصل أطراف الدولة  
الإسلامية ، فقيوت دعوى الجاهلية بالانتماء إلى القبيلة ، واستعزها للهياج  
والشر ، فعاد الناس إلى حيث كانوا قبل الإسلام . . .

(١) : للأغاني : ج ٥ / ص ١٢٦ ، ونا بغدها ، طه دار الكتب والاستيعاب / ٦٢٢ /  
والطبرى ، ج ٣ / ص ٤٤٩

(٢) : ديوان حسان بن ثابت ، ص ٣٥٢ . القاهرة ، طبعة عبد الرحمن البرقوقي

(٣) : ضخم الوسيفة : كثير العطاء .

(٤) : جحلاً : سيد عظيم .

(٥) : العد : الماء الدائم الذى لا ينقطع . والعد أيضاً البئر القديمة .

ويبدو أن شر الجاهلية العصبية انتشر مبكراً في العراق ، فما جاء في خطبة لزياد بن أبيية<sup>(١)</sup> في أهل البصرة ، وقد جاءها واليا لعل بن أبي طالب قوله " أيأي ودعوى الجاهلية ، فإني لأجد أحد دعا بها إلا قطعت لسانه<sup>(٢)</sup> " .

ثم جاءت حرب صفين فكشفت " الغطاء عن القمام الجاهلية فانبعثت منها شياطينها ، تشير الفتن بين القبائل ، وتطلق شعرها بأحاديث عصبية قديمة ، وساعد على ذلك تلك الأرستقراطية البدوية من رؤساء القبائل وأشرافها الذين كانوا يحيون حياة أشبه ما تكون بحياة رؤساء القبائل وأشرافها في الجاهلية<sup>(٣)</sup> " .

وقد نسب ابن مزا حرم<sup>(٤)</sup> الإمام علي شعرا يمدح به بعض القبائل التي خاضت غمار القتال معه ، فيه ربح العصبية .

قد يكون الإمام علي أثنى على القبائل التي ناصرته ليرفع من روحها المعنوية ، ويشجع غيرها على البلاء الحسن ، ولا شك أن الثناء غير التعصب ، إن الإيمان الذي تشبعه الإمام يمنحه أن يفعل ذلك ، وربما كان ذلك الشعر من صنع تلك القبائل لتضيف إلى أمجادها مدح الإمام علي لها ، وربما اقتصر الشاعر من شيعته في حديثه على قومه ، وسخر شاعريته وهو يضرب على وتر العصبية القبلية فينقل حديث الإسلام إلى حديث قبلي ، فيحدثهم كما يتحدث ابن القبيلة إلى قبيلته ، وكان في أمكانه أن يجعل الحديث دينياً ، فيظهر الحق ، ويدعو كافة المسلمين إلى نصرته .

لكن الشعراء من شيعته كانوا يعزفون على القيثارة العصبية ، فيذكرون قبائلهم بمنعتها ونجدتها وشجاعتها ، وبأبطالها الكماة ، ويتراث أجدادها التليد .

(١) : انظر ترجمته في " الطبري ج ٦ / ص ١٦٢ . ولاحظ الاعلام ، لخير الدين

الزركلي ج ٣ / ص ٨٦ - ٩٠ .

(٢) : انظر الخبر مطولا في البيان والتبيين " أخبار زياد بن أبيية " .

(٣) : حياة الشعر في الكوفة . د . يوسف خليل ، ص ٤٥٧ ، دار الكتاب العربي

للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨ م

(٤) : وقعة صفين ، لابن مزا حرم ، ص ٣١٠ - ٣٢٦ .

(٥) : كقوله لربيعة " أنتم درعي ومحي " المصدر السابق ص ٤٠٢ : وقوله

لهمدان " أنتم درعي ومحي يا همدان " المصدر السابق ص ٤٢٩ .

فعادت الامر جاهلية عميقة يخوض الفرد فيها غمار القتال  
مقاتلا من أجل عزة قبيلته والحفاظ على منعتها ، لا من أجل نصر  
الحق المثل بالشرعية التي يملكها الإمام علي ، فصار يعتز بها ويفتخر  
وهو يرتجز :

إِنِّي أَنَا الْأَشْتَرُ الدُّعُورُ السَّيِّرُ (١)	إِنِّي أَنَا الْأَفْعَى الْعِرَاقِيُّ الذَّكَرُ
لست من الحي ربيع أو مضور	لكنني من مذحج البيض الفرر
آليت لا أرجع حتى أضربا	بسيقي المصقول ضربا معجبا
أنا ابن خير مذحج مركبا	من خيرها نفسا أمّا وأبنا (٢)

ولعل ميادين صفين هي التي استمعت الى الأنغام الاولى المبعثة من  
قيثارة العصبية القبلية القديمة التي نقلتها معها القبائل العربية في  
هجرتها من البادية الى المدن التي سكنتها .  
ومن الواضح أن السبب في هذا يرجع الى الطبيعة التي اكتسبتها  
حرب صفين ، فهي حرب أهلية بين القبائل العربية ، وإذا كانت  
هذه القبائل قد نسيت كتاب الله في قتالها ، فلم يعد الدين  
... هنا . يقدر على منع القتال ، فإن الشعر كان بامكانه أن يؤدي  
دورا إيجابيا لأن النفوس صارت جاهلية قديمة . وإذا أضفنا الى هذا  
أن عليا ومعاوية كانا يحشدان كتائبهما حشدا قبيلا (٣) ، أدركنا  
سر انتشار مثل هذه الأنغام القبلية السلبية في مجتمع ثياب نبيّه  
لم تزل بعد ، وآيتّه لم تكسر !...  
ربما كان بلاء بعض القبائل ذا وجه إيجابي في القتال ، ودافعا  
إيجابيا " يولده ثناء علي أو معاوية .

فقد أبلت ربيعة في قتال صفين بلاء حسنا جعل عليا يشني عليها  
ثناء أثار حد الضريرة . فطلبت منه أن يفرد لها أياما تقاتل  
فيها وحدها حتى ينظر بلاءها . ولا بد أن الامام علي كان في  
حيرة من أمره معها ، لكنه استجاب لرغبتها مدركا سلبية هذا  
الطلب في القتال ، فأمر ربيعة أن تكف عن القتال . وتزداد العصبية

(١) : انظر ترجمة الاشتري النخعي ، ت ٣٧ هـ في : الولا والقضاة : ٢٣ - ٢٦

وسمط الآلي / ص ٢٧٧ .

(٢) : مروج الذهب ، المسعودي : ج ٢ / ص ١٧ ، طبعة بلاق / ١٢٨٣ هـ /

(٣) : انظر ورقة صفين ، للصرب بن مزاحم : ص ٢٣١ - ٢٣٤ / ، الطبعة الاولى

القاهرة ١٣٦٥ هـ .

القبليّة سواً وسلبيّة حين تحدّد مضر لكل قبيلة منها يرموا تتفرد فيه بالقتال • فيطلق شاعر المضرية مفتخراً بشعر تشيع فيه روح العصبيّة السلبيّة ، ولا يبالغ إذا قلنا انه تجسيد للروح الجاهليّة ، حيث يسيطر الاحساس القبلي :<sup>(١)</sup>

حامت كنانة في حربها      وحامت تميم ، وحامت أسد  
وحامت هوازن يوم اللقاة      فما خام ومأوفها أحسد

ثم يوسع حديث العصبيّة مفرداً قبيلة قبيلة ، وهو يتحدث عن لقائهم قبائل اليمـن :

لقينا قبائل أنسابهم      الى حضرموت وأهمل الجند  
فلما تنادوا بأبائهم      دعونا معداً ونعم المعند  
فظلنا نلقى هاماتهم      ولم نك فيها ببيض البلد  
ونعم الفوارس يوم اللقاة      قتل في عديد وقل في عدد  
وقل في طعان كفرع الدلاء      وضرب عظيم كمار الوقعد  
ولكن عصفنا بهم عصفه      وفي الحرب يمن وفيها نكد  
طحننا الفوارس وسط العجاج      وسقنا الزعانف سوق النكد

وحديث العصبيّة هذا عمل على تفريق الجماعة الاسلاميّة بعد وثام وكان مجموع الشعر الذي قيل في صفين النار الكبرى التي أوقدت الفتنة الجاهليّة في المجتمع الاسلامي ومدت تيار الانهيار الذي لحق بالمجتمع بعد ذلك ، ولا يبالغ إذا قلنا ان مجموع شعر صفين السلبي هو انقسام الأمة الرئيسي •

ولو أدرك الشعراء مهمتهم في الحياة ودورهم في الإسلام ، والمواقف المطلوبة منهم في تلك الحرب ، لو أدركوا قيمة مواقفهم السلبيّة في هدم الأمة ، فامتنعوا ... لو أدركوا أيضاً قيمة مواقفهم الإيجابيّة في جمع الشمل فقالوا ، لكان شأن الأمة قد تغير حتماً •

لكن معول العصبيّة راح يهدم ما بناه الإسلام ، فشعراء ربيعة يعزفون على قيثارتهم الحاناً تغضب المضرية ، على لسان حصيـن<sup>(٢)</sup> بن المذر الرقاشي<sup>(٣)</sup>

(١) : عامر بن وائلة الكندي • ابن مزاحم : وقعة صفين ص ٢٥٢ •

(٢) : انظر ترجمته في ( الاصابة )

(٣) : وقعة صفين ، ابن مزاحم • ص ٣٤٨ / ٣٤٩ •

وقد ذكر أن عليا كان لا يعدل بربيعة أحدا من الناس، فششق ذلك على مضر، وأظهروا لهم القبيح، وأبدوا ذات أنفسهم، فقال الحصين قولا شجع الفتن، وأضعف صف جماعته، وأغضبهم، وقت عضدهم، ولا يغالي إذ تقول إن قوله هذا كان سببا رئيسيا في عدم الحسم لصالح الإمام علي، وما قال :

رأت مضر صارت ربيعة دولهم      شعار أمير المؤمنين، وذا الفضل  
فأبدوا إلينا ماتجن مدورهم      علينا من البغضاء وذاك له أصل  
وبن أناس خصنا الله بالستي      رآنا لها أهلا وأنتم لها أهلا

فيتمدى لهم شعرا مضر بالحن يفتخرون فيها بقباثلهم وقبول طامر بن واثلة الكناني يفخر بالمضرية، وما كان منهم على ربيعة (١) :

حامت كنانة في حربها      وحامت تميم وحامت أسد  
وحامت هوازن يوم اللقا      فما خام منا ومنهم أحد  
لقينا قبائل أنسابهم      إلى حضرموت وأهل الجند  
لقينا الفوارس يوم الخيبر      س والعيد والسبت ثم الأحد

فمثل هذا الشعر كان سلبيا ولم يزل كذلك فهو الداء الذي يفت عضد الأمة، ولنتصور أن الدول العربية التي اشتكت في حرب تشرين، تختلف فيما بينها أثناء الحرب، وتعتقد اتفاقا تخوض بموجبه كل واحدة منها الحرب مفردة، مع الفارق في الزمان والشخصيات طبعاً، أن مثل هذا العمل تهر جنوبي يعصف بالقوة ويأتي بالضعف والوهن، فالمنظور التاريخي لهذا المفهوم واحد لم يتغير، وإذا كانت العصبية القبلية في العصر الجاهلي تأخذ وجهة ايجابية أحيانا، فإنها بعد تكون الكيان السياسي للعصر لم تعد تلك الوجهة الايجابية، وماهي الا داء يلخر في بنيان الأمة وجسمها.

وإذا كانت نيران صفين قد هدأت فيما بعد، فإن نيران العصبية القبلية التي أشعلتها لم تهدأ بفعل هذا الشعر السلبي، فتارت نار الفتنة بين اليمانية والنزارية، وصار التفاخر متبادلا ودائماً، وكان أحمد الأسباب التي أطاحت بدولة بني أمية.

(١) : المصدر السابق / ص ٣١٢

(٢) : يوم العيد، أي يوم الجمعة.

وقد أشان حديث العصبية القلبية الثورات التي قامت فيما بعد فظهرت كأنها في حقيقتها ثورات قلبية بعيدة عن المطالبة بالعدل والحق . " ومن الممكن أن نلاحظ أن الشاعر عبد الله بن خليفة الطائي شاعر ثورة حجر بن عدى ، في قصيدته الرائعة التي بعث بها إلى سيد قبيلته عدى بن حاتم من منفاه بجبلي طي ، يذكره وعده بالعمل على إعادته إلى وطنه الكوفة .

وقد مزج الشاعر في هذه القصيدة بين حديث الثورة وحديث العصبية القلبية . فحديث الثورة لم يشغله كثيرا ، فيندفع في حديث قبلي يوجهه إلى قبيلته التي تخلت عنه ، وتركته وحيدا دون أن تنصرك له . وهو يتحدث إليهم كما يتحدث ابن القبيلة إلى قبيلته ويعبر قومه بأنهم أسلموه لعدوه ، ولم ينصروه ظالما أو مظلوما ، كما كان شأن الجاهلية (١) :

فها إذا دارى بأجبال طي طريداً ، ولو شاء الإله لغيرا  
نفاني عدوى ظالماً ما عن مهاجري رضىت بما شاء الإله وقسدا  
وأسلمني قومي لغير جنائقة كأن لم يكونوا لي قبيلة ومعشرا  
ثم يتحدث طويلاً ، ويعلن أنه لن يستغني عنهم ولو أضاعوه :  
فلا يبعدن قومي وإن كنت غائبا وكنت المضاع فيهم والمكفرا

فاذا مضينا إلى ثورة المختار لاحظنا شاعرهما عبد الله بن همام السلولي يشير العصبية القلبية ويعرضها بسلبية مقيتة " في وصف القتال الذي دار بين المختار وبين والي الكوفة ، فيستعرض أعمال كل قبيلة (٢) . كأن تاريخ صفين يعيد نفسه ما يشير إلى استمرارية التعصب القبلي ، واستمرار التيار السلبي في الشعر حيث لم يستفد الشعراء من خاصيتهم أو خاصية المفكرين الذين كانوا يقودون الثورات ، فلم يوسعوا دائرتها كما يجب ، وحصروها في الإطار القبلي .

(١) الطبري : ج ٢ - ١ / ص ١٥١ . تاريخ الأمم والملوك (لیدن ١٨٧٩-١٩٠١)

(٢) : انظر العصبية في تاريخ الأمم والملوك ، الطبعة السابعة ج ٢ / ص ٦٣٧

المناحي الفكرية

- مفاهيم جاهلية -

- مفاهيم تدل على الاستخفاف  
بالدين !

## المناحي الفكرية :

المناحي السلبية في الفكر تعني التعرض للمواقف الناجمة عن مفاهيم سلبية . ومن الواضح أن السلبيات التي <sup>(١)</sup>موت بنا في المناحي الاجتماعية ، والتي ستمر في المناحي الاقتصادية والتربوية مردها كلها إلى الفكر السلبي .

ومع خطورة هذا الموضوع ودقته ، فإنه لا بد من الاعتراف باستحالة الإلزام بكل خاطرة فكرية سلبية أو إيجابية . لذلك نكتفي بالتعرض للمفاهيم الشهيرة التي ظهرت من خلالها بعض المفاهيم الفكرية السلبية كتلك التي تعيش في يوميات العرب وتصرفاتهم .

يجب أن نلاحظ قبل كل شيء أن تأثير الشعور بالحياة الفكرية لا يقربه من الحياة العقلية القائمة على قواعد ونظريات ، ومنطق ومناقشة وجدل ، وإنما هي مجموعة أفكار تأخذ مساراً يشبه المسارات الاقتصادية والاجتماعية والتربوية التي تعاملنا معها . فهي الأفكار التي يقدمها الشعراء إلى الناس ، يعيشون معها ويتأثرون بها تأثراً مختلفاً حسب مستوياتهم العقلية .

ولا شك أن التيارات الفكرية السلبية التي ظهرت في العصر الإسلامي بومان ، نوع جاهلي ، ونوع إسلامي ، ولا أقول إسلامي جاء به الإسلام فحاشا لله ، وإنما أعني أنه ظهر أو ولد في العصر الإسلامي .

ولنقف عند النوع الأول . حيث استطاعت مجموعة من المفاهيم الجاهلية الفكرية أن تشق طريقها وتأخذ مكانها في الفكر العربي بعد ظهور الإسلام ، على الرغم من محاربة الإسلام الشديدة لهذه المفاهيم الفكرية .

وقد سبق اعتذارنا أنه من غير الممكن استقصاء الشعر السندي . جاء في كل فكرة قديمة ، وإنما نسعى للاكتفاء بشاهد عن كل مفهوم عقلي ، وهذا يحرمنا لننطلق إلى فكرة أخرى .

---

(١) : انظر السلبية في المناحي الاجتماعية في هذا البحث .

(٢) : انظر السلبية في المناحي الفكرية الجاهلية في هذا البحث .



فالطيرة مفهوم جاهلي قديم ، وهي مايشاءم به من الفأل الردي وغيره . حاربها الاسلام بشدة ، كما في قول رسول الله (ص) ، " الطيرة شرك ، الطيرة شرك ثلاث (١) " . وقال عن الشؤوم : " لا شؤوم وقد يكون اليمن في الدار والمرأة والفرس " (٢) لكن هذا لم يمنع الفكر الجاهلي السلبي من الاستمرار ليكشف صفة الامالة ، واستمر الشعراء يقولون به ، فيما يختص بمصير حياتهم ، والمهم منها ، والوجه السلبي في الطيرة أنها " تكسر التيبة ، وتصد عن الوجهة ، وتثني العزيمة ، وفي ذلك مايعطل الاحالة على المقادير (٣) " . فالزواج أهم الحالات الخاصة التي يجب على الانسان أن يأخذ بها عن طيب خاطر ، وسابق خبرة ، ومعرفة ، وحسن معشر ، ليؤدم بين الزوجين . هذا الامر الهام يأتي عند الشاعر الهذلي بالطيرة ، يقول وهو يذكر امرأته :

(٥)  
زجرت لها طير السنيح فان يكن هوك الذي تهوى يمبك اجتنابها  
وسبدوا أن الجاهليين كانوا كثيرون الطيرة ، بدليل أن القرآن الكريم أعلن أن الله يغفر كل شيء ، ولكنه لا يغفر الشرك (٦) ، وقد سبق قول رسول الله (ص) على أن الطير شرك .

ومثل هذه العقلية التي لا تقبل التغيير بسرعة هي التي شجعت " ريلان " (٧) وغيره من المستشرقين أن يقولوا بالعقلية الاسنيوية

- 
- (١) : جامع الاصول : ج ٧ / ٦٣٠ .
  - (٢) : المصدر السابق ج ٧ / ٦٢٢ .
  - (٣) : العمدة : ج ٢ / ٢٥٩ .
  - (٤) : انظر أخباره في العمدة ج ٢ / ٢٥٩ .
  - (٥) : المصدر السابق نفسه .
  - (٦) : " ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " سورة النساء / ٤٨
  - (٧) : ريلان ، مستشرق فرنسي ، وهو أول من فتح باب الهجوم على العرب فسمي كتابه : تاريخ اللغات السامية المقارن .

ومن هذه المفاهيم السلبية ما احتواه الشعر الذي يدعون فيه أن حيوانا ما قد حدثهم ونصحهم ، واستمعوا إليه في أمر كبير ومنعطف إيماني خطير ...!

من هذا القبيل قصيدة تنسب لرجل يقال له : رافع بن عيرة ويقال رافع بن عمر ، وهو دليل خالد بن الوليد لما سار من العراق إلى الشام .

فقد نسب إلى نفسه حديثا حدثه إياه ذئب مربيه إذ كان يوعى الغنم قبل أن يسلم ، ثم دعاه إلى اللحوق برسول الله (ص) ، فقال (١) :

رعت الضأن أحميها بكلمي	من اللصت الخفي وكل ذيب
ولما أن سمعت الذئب تنادي	يبشرني بأحمد من قريب
سغيت إليه قد شمرت ثوبتي	على الساقين قاصدة الركيب
فبشرني بقول الحق حتى	تبينت الشريعة للمغيب
وأبصرت الضياء يضيء حولي	أماي أن سعيت ومن جنوبي

ولا شك أن الشاعر من أراد أن يضيف إلى نفسه مجدا ، فقد تحدث عن معجزة تمثلت بحديث الذئب ، وربما أراد بهذا أن يغطي ماضيها سيئا له ، فقد قيل : إنه كان لصا في الجاهلية (٢) ، وذلك بهذا الادعاء الذي يجعل له مكانة موقفة بين المسلمين تظهر في الطريقة التي يسرّها له الله ليوم من بالدين الجديد .

وتقول ربما كان الشعر كله منحولا انتحلته قبيلة طي ، ونسبته لرجل منها لتصل إلى الكرامة والمعجزة التي تحدثنا عنها .

وشبيه من هذا ما دعوه من عمل للجن ، في شعر نسبوه إلى نسائهم في مقطوعة طريفة تروى على أنسها من رثاء الجن ، ونسج نسائهم في الحسين بن علي (رض) حين استشهد ، وفيها (٣) :

نساء الجن يبكين	من الحزن شجيات
ويسعدن بنسج الـ	نساء الهاشميات
ويسعدن حسينا عظم	تلك الـ

رزيات

(١) : أسد الغابة : ج ٢ / ص ١٩٥ - ١٩٦ / دار الشعب ، القاهرة ١٩٧٠

(٢) : المصدر السابق نفسه .

(٣) : مناقب آل طالب ج ٣ / ٢١٩ ، المازندراني ، المطبعة الحيدرية ،

النجف ١٣٧٦ هـ .

دنانير النقليات

ويلطمس خدودا عال

د بعد القصصيات

ويلبس ثياب السمو

ألا يذكرنا هذا الشعر بالأحاديث النبوية التي وضعت على لسان الرسول (ص) وهو منها بـ<sup>(١)</sup>راء \* تلك التي ترفع من قدر انسان بعينه ، أو تحجز له مكانا في عليين ، ولا يحتاج المرء جهدا كبيرا ليعرف أن هذا من وضع الشيعة الذين لم يدر بخلداهم إلا فكرة تعظيم الجن وحزنها الشديد على استشهاد الحسين ، فوضعوا على لسانها مثل تلك القطعة الشعرية التي تشير الى قصور في الوعي .

إن الانسان يمتاز بنعمة العقل ، وربما كانت الوظيفة الاولى للعقل أن يقينا شر المخاطر ، وربما كانت المراوحة في المفاهيم المتخلفة هي أهم تلك المخاطر التي لم يستطع العرب التخلص منها .

إن هذه المفاهيم الفكرية وما يليها من مفاهيم سلبية أخرى جديدة ، ظهرت في العصر الاسلامي — كما سنرى بعد قليل — ليست الا نكوصا أو هروبا من الواقع الجديد الذي حدث بعد ظهور الاسلام . ومع ذلك فإن تلك الأوهام لم تكن نوعا من وميض الجرق في عالم الفكر ، بل كانت مخططة بالأصالة فاستمرت في حياة العرب الى أيامنا هذه مما يشير الى ظاهرة مؤلمة في العقلية العربية ، تتمثل في الجمود على السلب من المعتقدات ، وهذا معارضا حتى للاواقع الطبيعي ، حيث تكشف لنا الطبيعة دائما أنها على استعداد مستمر للتغيير مهما كان بطيئا .

ومهما يكن من شيء ، فإننا نعتقد أن جمود العقلية العربية على هذه المفاهيم الجاهلية يعطينا فكرة واضحة عن مفاهيم الحرية الخاطئة التي فهمها المتفلسفون بالافكار الجاهلية ، " وربما كان في وسعنا أن نربط فكرة الحرية بفكرة القيمة ، فنقول : إن قيمة كل انسان تتوقف طرديا على درجة حرته ، وهذه الحرية نفسها ليست سوى بحث عن القيم وسعي وراء الممكنات ، وجهد متواصل من أجل العمل على تحقيقها <sup>(٢)</sup> " .

(١) : الاعتقاد في الجن على هذا النحو أو شبهه كان متفشيا في الجاهلية ولا تزال الأوهام والاساطير عن تدخل الجن في حياة الناس تسود فسي بيئات كثيرة من مجتمع العرب .

(٢) : ابراهيم ، زكريا : مشكلة الحرية / ص ٢٣٦ / دار مصر للطباعة والنشر

القاهرة ، ١٩٦٣ . م .

الاستخفاف بالدين !..

=====

وأما النوع الثاني ، فإنه تيار فكري سلبي ظهر في العصر الإسلامي ، ويمكن القول بأنه نوع من الجهل بتعاليم الاسلام الدقيقة أو عدم اهتمام ، ويمكن تلخيصها بأنها نوع من الاستخفاف بالدين !..

وقد يكون مستغربا أن نقول باستخفاف شعراء مسلمين بالدين الجديد ، وهم من أتباعه !.. ولكن العجب يزول حين نتذكر أن الدين هو الإسلام وان الإسلام خلوص وتعصّر من الآفات الظاهرة والباطنة ، فيصبح المقصود بمن يستخف بالدين ، عمل أولئك الذين يخرجون عن أهم تعاليمه ، فيتنازلون ، ويتجهجون بالقتل والسّفه والطيش لتكون جاهلية القرن الأول ، وردّة بالمعنى العميق . ويبدو أن كثيرا من هؤلاء الشعراء كانوا يمثلون تيارا معيناً من الناس ، خشي إعلان ردّته لما شاهده من مصير أولئك الذين أعلنوا ردّتهم فصار مثلهم من الشعراء ينتهزون المواقف السلبية التي تظهر من القادة المسلمين ، فيظهرون نقمتهم استخفافاً بالدين ، وسيراً في طرق ملتوية متعددة ، منها :

التبجح بقتل أصحاب رسول الله ، أو أبنائه ، ومنها استخفاف بدوافع الجهاد ، وجعل الهدف منه الغنم والمكسب . ومنها اعراض عن أوامر الله تعالى ، والعمل أشلة على هذه الظواهر تكفي لإثباتها .

فقد قتل رجل يقال له ابن جرموز الزبير بن العوام ، وكان اشترك في وقعة الجمل مقاتلاً على بن أبي طالب ، فناداه علي ودعاه ، ثم انصرف عن القتال ، فنزل بواي السباع ، وقام يصلي ، فأثاه ابن جرموز فقتله ! وجاء بسيفه إلى علي فقال : ان هذا سيف طالما فرّج الكرب عن رسول الله (ص) ، ثم قال : بشّر ابن صفية بالثلث (٣) .

وقال (٤) ان ابن جرموز استأذن على علي ، فلم يأذن له ، وقال للآذن :

(١) : أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من سلّ سيفه في الاسلام . وهو

ابن عمة النبي (ص) لاحظ أخباره في : تهذيب ابن عساکر ج ٥ / ص ٣٥٥

وصفة الصفوة : ج ١ / ص ١٣٢ .

(٢) : وادي السباع ، على سبعة فراسخ من البصرة .

(٣) : أسد الغابة : ج ٢ / ص ٢٥٢ ، دار الشعب ، القاهرة ١٩٧٠ م

(٤) : المصدر السابق نفسه .

بشّره بالنار ، فقال (١) :

أتيتُ علياً برأس الزبير  
فبشّر بالنار إذ جئتُـه  
وسيّان عندي قتل الزبير  
وهـرطة عنز بنـي الجـحـفـه (٢)

هل أبصرت الأثر النفسي ؟ ... يأتي علياً برأس الزبير ، فلا يستقبله علي ويبشّره بالنار ، ويظهر معتقده الذي يجعل هـرطة عنز تعادل قتل صحابي من أقرباء الرسول ! .

لا شك أنها الردة التي لم يعرفها أبو بكر ، ولا شك أنه لا يمثل حالة فردية إنها ظاهرة يمكن اعتمادها . فمن العجيب أن يصبح قتل صحابي معادلاً لهـرطة عنز في صدر الإسلام ! في حين ندر أن نجد انساناً من الناس مسلماً ، في عصرنا هذا على اختلاف الطل والنحل ، ويرى رؤية ابن جرير تلك .

وإذا كان قول ابن جرير سلبياً في عصره ، فإنه مغرق في السلبية في كلّ العصور ، ويكشف لمنظورنا المعصرى بجاحة الناس الذين ارتدوا ولم يُحاربوا ديفي ذلك المعصر ...

كما يخرق رداء القداسة الذي نسجه المتأخرون من الفقهاء حول إيـمان الناس في القرن الأول ، فيأخذ طابعاً إيجابياً كاشفاً ومحللاً ، فيه نستطيع تحليل الكثير من التصرفات التي بقيت لكثير من التساؤلات .

وإذا كان ذلك الأعرابي قاتلاً للزبير مباشرةً بالنار ، فإن رجلاً آخر يدخل على ابن زياد (٣) كاد بن أبيه مفتخراً بقتل سبط رسول الله (ص) الحسين بن علي ، ويقرّ أمامه أنه قتل خير الناس طراً ، ويمتدح عمله السلبى ، ساعياً إلى الذهب والفضة مقابل فعلته الرهيبة فيقول (٤) :

أوفر ركبى فضّة وزهـباً  
فقد قتلت الملك المحبباً  
قتلت خير الناس أمّاً وأباً  
وخيرهم إذ ينسبون نسباً

(١) : أسد الغابة : ج ٢ / ص ٢٥٢ ، القاهرة ١٩٧٠ م .

(٢) : اسم واد .

(٣) : عبيد الله بن زياد ، وقيل إن قاتل الحسين وقف على باب عمر بن سعد

ونادى بالشمر ، لاحظ تاريخ الطبرى ج ٥ / ص ٤٥٤ . وقاتله هو

شمر بن ذى الجوشن . المصدر السابق نفسه

(٤) : مروج الذهب للمسعودى : ج ٢ / ص ٧١ . وتاريخ الطبرى المصدر

السابق نفسه .

(٥) : وفي رواية الطبرى : / أنا قتلت الملك المحبب /

ثم إن مصر بن سالك نادى في أصحابه : من ينتدب للحسين ويواطئه فرسه ؟  
فانتدب عشرة ، فأثوا فداؤا الحسين . بخيولهم حتى رضوا ظهره ووطئوه !  
إنها الردة التي لم تحارب ، أطلت برأسها على لسان شاعر فاجر يفتخر  
بقتل الحسين فتجاوزا كل حدود التصور ، وإذا كان لهذا الشعر من منظور  
في عصرنا ، فإنه كسابقه دليل آخر على وجود تيار ردة لم يحارب إلا أنه تلبس  
لبوس الدين .

وغير التبجح بقتل أصحاب رسول الله وأحفاده ، فإننا نقف على كشف  
بالمقالية الوثنية التي ظلت راسخة في ذهن الكثير من مقاتلة الفتوح الاسلامية  
الذين حافظوا على مميزاتهم البهوية الحلقة بعيدا عن المقالية الجهادية الساعية  
إلى تقديم الخير للناس دينا ، أو للنفس شهادة فجنة عرضها السموات والأرض .  
بل الامر عند تلك الزمرة سمي حثيث من أجل النفوذ الشخصي والمنافع  
الذاتية ، والاهتمام بالغنائم ، كما كانت الحال في الجاهلية فظل هذا  
الاهتمام متأصلا في نفوسها ، كما في قول بشر بن أبي ربيعة الخشعي أحد  
المقاتلين في معركة القادسية :

وسعدُ بن وقاص عليّ أميرُ	أنختُ بباب القادسية ناقتي
وخير أمير العراق ج (٤) كيرُ	وسعدُ أميرُ شره دونَ خيره
وعند المشي فضةٌ وحل (٥) يرُ	وعند أمير المؤمنين نوافل
بباب قديس والمكر عسيرُ	تذكر هداك الله - وقع سيفونا
يعار جناحي طائر فيطيرُ	عشيةً ودَّ القوم لو أن بعضهم
دلفتا لأخرى كالجمال نسيرُ	إذا ما فرغنا من قراع كتيبة
جمالُ بأحمالٍ لهن زفيرُ	ترى القوم فيها أجمعين كأنهم

في هذا المضمار نجد المقارنة مهمة ، فأمر المؤمنين بجهزهم للقتال ،  
ويذكّرهم بما عند الله ، لكنهم يتذكرون الغنائم التي عند المشي بن حارثة  
الشياني ، فالغنائم تعطي الأعرابي دفعا ولكنها يجب ألا تنسيه مهمته

(١) : قائد قوات عبيد الله بن زياد إلى حرب الحسين بن علي .

(٢) : تاريخ الطبري : ج ٥ / ص ٤٥٥

(٣) : تاريخ الادب العربي ، ر - بلاشير ج ٢ / ص ٢٧٧ - ٢٧٨ /

(٤) : جرير ، هو جرير بن عبد الله من قادة القادسية ، لاحظ أخباره في تاريخ

الطبري ج ٣ / ص ٥٧٧ .

(٥) : المشي ، هو المشي بن حارثة الشياني أحد قادة الفتوح الاسلامي ، مات  
من جراحته التي كان جرحها يوم الجسر . لاحظ أخباره في تاريخ الطبري

ج ٣ / ص ٤٧٠ وما بعدها .

الأولسى .

ومثل هذا الشعر صار حجة بيد أعداء العرب ، ووصمة عار بتاريخهم ، وهو شاهد على حقيقة دوافع الفتوح كما أرادها الغربيون والمستشرقون .  
فالسلبية واضحة في قوله بشكلها الواسع لاسيما في منظور العصر الذي كان فيه ، فقد فضح نفسه وأتباعه من انطلقوا جبهةً جامعين ، لا مجاهدين هادين . كما أنه الشعر السلبي في منظور عصرنا حيث صار هذا الشعر وأمثاله حجة بيد أعداء العرب والاسلام .

ومن هذا الشعر ما يدل على استخفاف بما أمر الله به أن يبطل ويرفض ونهي عن الحديث فيه . حتى لو كان الحديث مجرد ادعاء لا أساس له من الصحة .

فقد ادعى النعمان بن عبد (١) الذي أنه شرب الخمر في منامة له مع أصحابه ، فجلب عليه ادعاؤه شرا وبطلا .

وقصة هذا الأمر تبدأ حين خرج واليا على (ميسان) وأراد امرأته على الخروج معه فأبت ، فكتب إليها بالأبيات التالية (٢) :

فمن مبلغ الحسناء أن حليها	بميسان يُسقى في زجاج وخنتم (٤)
إذا شئت غنتي دهاقين قرية	وصناجة تجذو على كل منس (٥)
إذا كنت ندما نبي فبالأكبر اسقني	ولا تسقني بالأصغر المتهدم (٦)
لعمل أمير المؤمنين يسوؤه	تنادمنا في الجوسق المتهدم (٧)

فبلغ ذلك عمر ، فكتب إليه : أما بعد فقد بلغني قولك :

لعمل أمير المؤمنين يسوؤه      تنادمنا في الجوسق المتهدم

(١) : وهو قرشي عدوى استعمله عمر بن الخطاب على ميسان . انظر في الاصابة

ج ٦ / ٢٤٣ .

(٢) : ميسان : كورة واسعة كثيرة القرى والنخل ، بين البصرة وواسط . معجم

البلدان ج ٤ / ص ٧١٤ .

(٣) : اسد الغابة : ج ٥ / ٣٧٥ ، القاهرة . دار الشعب ، ١٩٧٠ ، والاصابة

ج ٦ / ص ٢٤٣ .

(٤) : الخنتم : جرار خضر تضرب إلى الحصرة .

(٥) : الصنج : ما يكون في الدفوف ، وذو الاوتار . وهو فارسي معرب .

(٦) : الاكبر : أراد به القدح الاكبر .

(٧) : الجوسق : الحصن ، وقيل شبه بالحصن معرب وأصله كوشك .

وأيم الله ، لقد ساء بني . ثم عزله . فلما قدم عليه سأله ، فقال :  
والله ما كان من هذا شيء ، وما كان إلا فضل شعر وجدته وما شربتها قط .  
فقلا عمر : أظن ذلك ، ولكن لا تعمل لي عملاً أبداً . فنزل البصرة ولم  
يزل يخرز مع المسلمين حتى مات (١) .

أوقع هذا القول بصاحبه ، وأطاح به عن كرسي الولاية ، على الرغم  
أنه مجرد قول ، وما شربها قط كما قال : ويبدو أنه كذب عمر في قوله :  
" وما كان إلا فضل شعر وجدته " .

انه في حقيقة الحال أراد أن يغيظ زوجته ، وأن يحطها على الخروج  
إلى ميسان ، وربما وجد حرجاً في البوح ، ولو فعل لمات به عمر على قوله  
وعلى خذلان زوجه له بالخروج اليه ، فقد قيل إنه كان صالحاً ، وإنما  
قال هذا الشعر ليحزله عم (٢) .

وإن صح ما قيل عنه من صلاح ، فإنه ارتكب خطأ ليصل إلى ما يريد ،  
مستخدماً وسيلة غير سليمة للوصول إلى غايته .

وقد كان بعض الشعر السلمي من المقطعات المخالفة للواقع التاريخي ،  
والصدق الحقيقي ، يصل إلى يد بعض الباحثين ، ويدرس في الكتب التمليلية (٣)  
على أنه صوت يناضل ضد الوضع الاجتماعي الذي يزيد الأغنياء غنى ، والفقراء  
فقراً ، ويدعو إلى العدالة التي قضى عليها التمييز حتى في ثمرات الجهاد  
كما في قول الشاعر الفارسي عمر بن معد يكرب الزبيدي في وقعة القادسية :

إذا قُتِلنا ولا يَكْفِي لنا أَحَدٌ      قالت قريش : ألا تلك المقاديرُ  
نُعْطَى السَّوِيَّةَ مَنْ طَعَنَ لَهُ نَعْدٌ      ولا سَوِيَّةٌ إِنْ تُعْطَى الدَّانِيَةُ

والحق أن لهدين البيتين قصة طريفة حدثت يوم كان سعد بن أبي وقاص يقسم  
في القادسية فيصل عطاء الفارسي ستة آلاف يقبضها عمرو ، ثم يزيد سعد في  
أهل البلاء خمسمائة ، ولكنه لا يقنع ، إذ تبقى بعد ذلك شيء كثير ، رأى سعد  
أن يرسل به إلى المدينة ليسأل الخليفة عما يفعل به ، فيرد عمر : " رد على  
المسلمين الخمس ، وأعط من لحق بك ولم يشهد الواقعة " ونفذت الوصية

(١) : ويقال : أن الرجل كان صالحاً ، وإنما قال هذا الشعر ليحزله عمر .

(٢) : اسد الغابة : ج ٥ / ٢٣٥ ، القاهرة . دار الشعب ١٩٧٠ م .

(٣) : لاحظ الأب الاجتماعي القديم في كتاب الثالث الثانوى الأدبي ج ١ /

الثان يدرس في الجمهورية العربية السورية / ٧٥ - ١٩٨٠ م /



وبقي لديه ما اضطره أن يسأله ما يفصل له ، فطلب منه : أن يوزع في حلقة القرآن ، ولم يكن عمرا منهم فقد سأله سعد : ما معك من كتاب الله تعالى ؟ فحك عمرو رأسه ثم أجاب بعد لحظات : اني أسلمت باليمن ثم غزوت ، فشغلت عن حفظ القرآن ، عند ذلك أبى سعد أن يجعل له من مال الحفاظ نصيبا ، فاذا عمرو يقول : (١)

إذا قتلنا ولا يبيكي لنا أحد  
نعتي السوية من طغن له نفذ  
وقالت قريش : ألا تلك المقادير  
ولا سوية إن تعطى الدنانير  
ووصل أمره إلى عمر ، فأمر عمر : بأن يعطى على بلائه ، فأعطاه ألفي درهم .

وقد أوقع عمرو في قوله هذا يقوم حقدوا على الاسلام وتاريخه لدرجة أنهم اعتبروه صوتا يناضل ضد الاقطاع وتركز السلطة ، بعد أن حدث فرز طبقي ، في عصر من ١٢٠٠ . في عصر عمر بن الخطاب الفاروق . أفليس هذا عجيبا ؟ ١٢٠٠ .

والحق أن عمر بن معد يكرب كان مليئا بالمرّة الشخصية ، وإن هي الا لحظة طيش ، وساعة نزق أراد بها أن يسرق من مال الحفاظ بروح ملوئها الكسب والمنعم بعيدا عن الحلال والحرام . وحين لم يتح له ذلك قال : ما قال : ولم يكن هناك ظلم أو قهر أو فرز ، بل الامانة والعدل والقسمة الحقة ، تتجلى في كلام عمرو نفسه في جوابه لعمر بن الخطاب حين سأله عن سعد بن أبي وقاص في جنده ، فقال : هولهم . . . اعرابي في نهجته أسد في تامورته ، نبطي في حبوته ، يقسم بالسوية ، ويعدل في القضية وينصر في السرية ، وينقل الينا حقنا كما تنقل الذرة (٢) .

ووجه السلبية الواضح في قول عمرو تجنب الصدق التاريخي ، في محاولة نابعة عن اعتداء على حقوق الآخرين ، كما أنه خاف بعض الباحثين المعاصرين الذين يحاولون بناء الظواهر الاجتماعية بعيدا عن الواقعية التاريخية منسفين بحقد دفين لتاريخ أمتهم . . .

(١) : الأغاني : ج ١٤ / ص ٣٩ ، طبعة الداسي .

(٢) : لاحظ شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام . النعمان عبد المتعال

القاضي ، ص ٢٠٥ ، القاهرة ١٩٦٥ م .

(٤) : كتاب المقال في الكتاب التعليمي المذكور سابقا .

ومع أننا سنتحدث عن وقائع مؤلمة كشفها الشعر الايجابي جرت في عهد  
عمر بن الخطاب ، فصور الذهب والسلب على يد بعض قادة الجند من  
الفاحين ، الا أن هذه المسألة باطلة ، ولا حق لعمر بن معد يكرب  
بقوله . ويعد أن قال ليس لنا أن نصدقه لاننا وقفنا على  
المناسبة التاريخية التي نجم عنها قوله .

المناحي الاقتصادية

التواكل  
المديح الكاذب

## المناحي الاقتصادية : =====

لن نطيل الحديث هنا ، فالموضوع دقيق وأكثره يأتي في المناحي الإيجابية، واتباعا لخطة البحث لابد من الإشارة الخاصة الى هذا السلبى في الأمر الشعري التي تعالج جوانب اقتصادية. وقبل كل شيء\* يجب الاعتراف بأننا في هذا الحديث لا نعالج الجوانب السلبية في الهيكل العام للاقتصاد الاسلامي من خلال الشعر ، لان هذا الهيكل<sup>(١)</sup> بأركانه العامة لا يوضح بالشعر كما أنه لم يكن قد استكمل بعد . غير أننا اذا عرفنا صفات هذا الاقتصاد ، نكون قد ولجنا الباب من الجانب الشعري .

والمفاتيح الأساسية لهذا الاقتصاد أنه اقتصاد واقعي، وأخلاقي معا . واقعي في غاياته التي يرمي الى تحقيقها ، وأخلاقي في الطريقة التي يتخذها لذلك<sup>(٢)</sup> . وهكذا يكون الشعر الذى خالف الواقع الاقتصادى ، أو اتخذ طريقا غير اخلاقي لتحقيق ذلك الواقع، شعرا ينم عن مفاهيم سلبية لموافاة ماثلة في سلبيتها .

فالواقع المالى الجديد الذى أوجدته الفتوحات الاسلامية ، يشير الى وجوب توزيعه على افراد الدولة الجديدة لتحيا واقعها الذى توصلت إليه بما يحتاجه الفرد ، ولكن تكديس المال في جوانب المجتمع ولا سيما في قريش ، أدى الى ظهور تأثيرات سلبية في الشعر الاسلامي في رقت مبكر تبلورت في الشعر الداعى الى الزهد في متاع الدنيا والتعلق بالنسك والعباداة<sup>(٣)</sup> .

ونحن اذا تأملنا في ظواهر الحياة لهذا العصر وجدنا الجانب الاقتصادى يتغلغل في صميم كل ظاهرة منها حتى الاتجاهات الروحية في الافراد يمكن أن تعزل من بعض جوانبها بعين نظر اقتصادية<sup>(٤)</sup>.

(١) : مبدأ الملكية المزدوجة ، ومبدأ الحرية الاقتصادية في نطاق محدد ،

ومبدأ العدالة الاجتماعية .

(٢) : اقتصادنا ، محمد باقر الصدر ج ٢ / م ٢٦٦ ، دار الفكر ، بيروت بلات

(٣) : انظر في هذا المعنى : التطور والتجديد في الشعر الاموى لشرقي ضيف

م ١١٨ / . دار المعارف بمصر ، الطبعة الخامسة ، بلا تاريخ .

(٤) : المصدر السابق ص ١١٧ - ١١٨ .

وإذا كان الاسلام قد دعا الى الزهد في الحياة الدنيا وتاعها  
 الزائل ، فان تلك الدعوة تهذيبية تربوية تحل في تضاعفها الحث على  
 التقوى والعمل الصالح ، بدوافع تربوية خلقية وعسكرية ، وعلى كل  
 فقد بقيت دعوة الاسلام تلك معتدلة أوجزها الله تعالى بقوله :  
 " وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا " (١)  
 ولا بد أن نفرق بين شعر الوعظ والزهد والتقوى الناجم عن  
 الموجة الواسعة التي صدرت عن أناس يملكون المال الوفير ، والشعر  
 ذاته الناجم عن ردة فعل من أناس لا يملكون مالا ولا ثراء ، فاتجهوا  
 الى شعر الزهد والوعظ ، ولا شك أن النوع الثاني هو المقصود بالسلب  
 هنا ، فهو تعبير عن هزيمة من مواجهة الواقع الاقتصادي الجديد  
 وهروب على شاكلة الرومانسيين الى واقع نفسي يخلقه لأنفسهم .  
 وقد غرق هؤلاء في السلبية الاقتصادية حين أوجدوا مبدأ  
 التوكل وقد ظهر هذا المبدأ عند فقيه المدينة عروة بن أديسة  
 " وله ابيات تصور مبدأ ميمًا شاع بين الزهاد في هذا العصر  
 وهو مبدأ التوكل على الله والثقة في أنه لا يترك أحداً بدون رزق  
 يكفيه ، وبلغ من مبالغة بعضهم في هذا المبدأ أن رأوا في السعي  
 والكد نقصاً في التوكل والثقة بربه ، يقول (٢) عروة :  
 لقد علمت وما الإسراف من خلقي      أن الذي هو رزقي سوف يأتيني  
 أسعى له فيعتني تطلُّبُه      ولو قعدت أتاني لا يعتني بي  
 خيبي كريم ونفسي لا تحذني      إن الإله هو رزقي يخليني  
 الحق أن الاسلام حث على وجوب العمل ، وأكد أن السماء لا تمطر ذهباً  
 ولا فضة . على حد قول عمر بن الخطاب (رضي) :

(١) : سورة القصص : الآية ٧٧

(٢) : ضيف ، شوقي : العصر الاسلامي ص ٣٧٢ ، دار المعارف بمصر ،  
 القاهرة ، بلا تاريخ . وتأخذ على الكاتب قوله : " ولا شك في أن  
 هذا المبدأ يفضي الى طمأنينة نفسية قوية " . ففي الحديث :  
 " ليست الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ، ولا اضاءة المال ، ولكن  
 الزهد : أن تكون بما في يد الله تعالى أوثق منك بما في يدي  
 يدك ، وأن تكون في ثواب المصيبة اذا أصبت بها أرغب منك فيها  
 لو أنها بقيت لك " . الترمذي ، جامع الاصول ج ٤ / م ٦٧٠ .

لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول (١) :

" اللهم ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، وأن الله تعالى إنما يرزق بعضهم من بعض ، ثم تلا قول الله جل جلاله : " فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون " (٢)

وإذا كان قد جعل الرزق من الله فانه يطالب باتخاذ الاسباب المطلوبة لهذا الرزق ، ويطالب بالعمل الحثيث ، وقد كان الرسول يقول : لان يغدوا أحدكم فيحتطب على ظهره فيصدق به ويستغنى به عن الناس خير من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه ، ذلك بأن اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول " (٣) .  
وقد كان أبو الاسود الدؤلي في زهده يدعو الى السعي في الدنيا حتى يكسب المرء لنفسه ما يحيا به حياة كريمة ، يقول لا بئس : (٤)

وَلَا تَقْعُدْ عَلَى كَسَلٍ تَمْنَى تَحِيلُ عَلَى الْمَقَادِرِ وَالْقَضَاءِ  
وهناك موقف مالي آخر غير التوكل ، يظهر في دعوة الشعراء السلبية الى اتلاف المال كرما مزعوما . . .

فحين عالج القرآن كثيرا من المسائل المالية ، عالج قضية تدبير المال فقال : " ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محمورا " . هذه القاعدة لم تعجب بعض الشعراء ، فراحوا يصفون على ممدوحهم صفة اتلاف المال كما في قول الحطيثة (٥) مفيد ومتلاف إذا ما سألته تهلل وتهترأ هتزاز المهتد (٦)  
وفي العمدة بقية أبيات تسبق هذا البيت ، يقول فيها :

- (١) : العقد الفريد : ج ٢ / ص ٣٠٥ ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٥٣
- (٢) : سورة الجمعة : الآية ١٠
- (٣) : جامع الاصول : ج ١٠ / ص ١٤٦
- (٤) : ضيف ، شوقي : العصر الاسلامي . ص ٣٧٤ .
- (٥) : العقد الفريد : ج ٢ / ص ٣١٢ / المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٥٣
- (٦) : ج ٢ / ص ١٢٧

تَزُورُ فَتَى يُعْطِي عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ      وَمَنْ يُعْطِ أَثْمَانَ الْمَكَارِمِ يُحْمَدُ  
تَزُورُ فَتَى يُعْطِي عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ      وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخْلَسِدٍ  
يَرَى الْبَخْلَ لَا يَبْقَى عَلَى الْمَرْءِ مَالَهُ      وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخْلَسِدٍ  
قاله جلّ وعزّ يدعو إلى عدم بسط اليد ، كما يدعو إلى عدم اغلالها  
كما في الآية الكريمة ، "والحطيئة يريد طمعا وشرها أن يجعل من مدوحه  
مطلقا للمال ، ليخجل مدوحه فيعطيه ما يريد .

ومن الواضح أن فرقا اقتصاديا كبيرا كان بين طبقتين من الناس ، طبقة  
تركز في أيديها الثروة والنفوذ ، وتحيط نفسها بالضياع والاتباع ،  
وسيل الذهب من بين أصابعها ، وطبقة تعيش على هامش الحياة بعيدة  
عن مراكز الثروة والنفوذ (١) .

ولا أريد أن أقف أمام هذا المجموع الواسع من الشعر الذي يدعو  
إلى التواكل ، أو من شعر المديح الكاذب ، بما فيه المديح  
السياسي ، فإن هذين النوعين من الشعرهما مواقف سلبية لا تمت  
إلى الواقع الاقتصادي الذي كان ، ولا يعمل بالاخلاقية المطلوبة  
في مثل هذه المواقف .

وقد ظهرت سلبيات أخرى ، ربما كان لها بعض الأوجه الإيجابية  
نرجسها إلى حديث الملاحى الإيجابية الاقتصادية .  
ولكن هذا لا يعني أن نتجاوز الحديث عن بعض المفاهيم الاقتصادية  
السلبية الهامة .

فبعض هذه المفاهيم يتجسج بسرقة أموال الدولة ، وبعضها  
الأخر يشتمل الجهاد ، وبعضها يدل على ازدراء المسلمين الحرف  
كما كان شأن الحرف في الجاهلية .

فالمفهوم الأول هو الحراف وفساد وخيانة يرتكبه وال في سبيل  
مطامع مالية شخصية .

فقد ظهر ولا سرقة ما جبي في ولايتهم وهربوا (٢) .

(١) : خليف، يوسف : حياة الشعر في الكوفة ، ص ٤٧١ ، دار الكاتب

العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨ م .

(٢) : يذكر أبو هلال العسكري في الأوائل : ج ٢ / ص ٢٠ " أن ابن  
عباس أول أمير أخذ ما جبي وهرب " .

ويذكر أن علي بن أبي طالب (رض) ولّى عبدالله بن سوار بن همام العبدى  
البحرين فجبى مالا وهرب ، فكتب إليه علي يتمدده فكتب إليه ابن  
سوار بشعر قاله بكر بن وائل الطاحي (من الأزد) (١) .

ما إن بُالي إذا ما كنت جئتنا أن تسرط المال سرط الماء بالعسل  
وأنت بحرٌ على قروم تخاصمهم وصخرة في الأداسي ماؤها وشيل<sup>(٢)</sup>  
فهذا يفضح سيرة الولاة الخائنين الذين حكموا بعض البلاد العربية والاسلامية  
منذ صدر الاسلام ، ويؤكد فكرتي الطمع والغدر اللتين ذكرناهما .

والمفهوم الآخر ماجاء على ألسنة كثير من الفاتحين ، وهم ينتشرون  
شرقاً وشمالاً ، وغرباً يفتحون بلاداً غنية طمعا في مال وغنى يكسبونه  
وسوف نفرد لهذا حديثاً خاصاً في غير هذا الموضع ، لكن لا بأس من  
الإشارة إليه هنا .

قال الطرماخ بن حكيم :

وأيّ لمقاتد جوادى وقاذف  
لأكسب مالا أو أوول إلى غنى

به ونفسي العام احداً المقاذف  
من الله يكفيني عدات الخلائق<sup>(٤)</sup>

فهذا الشعر وأمثاله ينفي الأسباب الدينية للجهاد ، ويؤكد الأسباب  
الاقتصادية الشخصية ، والمطامع المالية ، فيشين الصورة اليمانية التي  
تعلل بها العرب ليفتحوا البلاد . وصحيح أنه يتحدث عن عودته إلى  
الله ، لكنه يقدم المال والكسب أولاً . . .

والمفهوم السلبي الثالث هو ازدياد المسلمين المهن<sup>١</sup> ومن خير

ما يؤكد هذا أن بعضاً من الناس كانوا ينجزون واصل بن عطاء<sup>(٥)</sup>  
ويقولون ( واصل الغزال ) لأنه كان يجلس إلى عبدالله الغزال أحد  
دعاته .

(١) : الأوائلى ، أبو هلال العسكري . ج ٢ / ص ٢١١ - ٢٢٠ .

(٢) : الوشيل : الماء القليل .

(٣) : الاغانى ، ج ١٢ / ص ٤٠ - ٤١ / دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٦ م .

(٤) : العدات : جمع عدة ، وهي ما يرمد به من صلة ، والخلائف ج خليفة

(٥) : انظر ترجمته في : وفيات الاعيان : ج ٢ / ص ١٧٠ ، ورواة الجبان

ج ١ / ص ٢٧٤ .



وقد كان دعائهم أن يسل من جميع رؤساء التحل خلفوا الأزواج  
والولدان ، وأهملوا الأموال ، وليس هذا بصفة غزال ، ولا أحد  
مما يعالج الحرف .

وكان أبو الطروق<sup>(١)</sup> (من أتباعه) يرد ذلك النبز ، ويقول :  
متى كان بياع الغزل مُقَدِّمًا      على كل حال في الرهسان وسابق  
متى اجتمع الشرق المنير وغزبه      لبياع خامل الأصل مسارق  
فهذا التناثر يؤكد احتقار العرب حرفة الغزل ، والدفاع عن واصل  
وفي المهنة عنه يدل على ذلك أيضاً .

(١) : هو أبو الطروق الضبي ، شاعر من شعراء المعتزلة ، مدح واصل بن  
عطاء . وفيات الأعيان ج ١ / ص ١٢٠ . الحيوان ج ٦ / ص ٩٢  
(٢) : الاوائل : ج ٢ / ص ١٣٨ .

## المناحي التربوية

ما يؤذي التربية عامة

- توجيه السلوك الاجتماعي والأخلاقي  
بشكل خاطئ .

- تصعيد النزوات .

- التقليل من قيمة المعاصم .

- ذكر الصغايا والأدماء واليتم  
والمدون والدمار .

- ذكر العفاريات والجن والأشباح .

## الناحي التربوية :

=====

• سبق منا القول بأننا لانملك وشائق تربوية عن النظري والعملي في التربية العربية الجاهل<sup>(١)</sup>ية . ولكننا لم نعجز أمام هذا الواقع حين أخذنا ببعض الشعراء رسناة وحللناه لنستنبط منه مواقف ومثلاً وقياً تربوية .

والحديث عن سلبيات الواقع التربوي الإسلامي هنا ، لن يأتي من خلال نصوص دينية إسلامية ، وإنما يأتي من خلال النظرة الاجتماعية للفرد ولا بد من الاعتراف بأن التربية في النظرية والتطبيق لم تشغل مكانة بالغة أو غير بالغة عند الشعراء الإسلاميين ، شأنهم شأن الشعراء الجاهليين وهذا بحمد ذاته أمر يهدولنا سلبياً .

ومع ذلك فإننا حين نبحث عن نظام التربية السلبى كما عكسه الشعراء الإسلامى علينا أن نحدد نوع هذا الشعر ، مادنا قد اعترفنا بأن التربية لم تشغل مكانة عند الشعراء !..

هذه السلبيات التربوية نجدها في بعض السلبيات الاجتماعية ، فالشعر يعكس سلامة المجتمع كما يعمكس أزماة ، وتعبير آخر اذا أردنا أن ندرس سلبيات التربية في الشعر الإسلامى علينا أن ندرس سمات المجتمع السلبية من وجهة أخرى تختلف عن الناحى السلبية الاجتماعية التي مرّت بنا . ولندرك بشىء من الرضوح أثر النظرية التربوية في تفكيك المجتمع الإسلامى ، وفي حياة المسلمين علينا أن نتصدى لدراساتها من خلال بعض المفاهيم التي تضر بالمجتمع ، وبالفرد .

ان التربية مرتبطة بالمصلحة العامة ، واذا كانت هذه المصلحة العامة

متأثرة مجزأة ، فلا بد أن يكون هذا ناجها عن سلبيات .

واذا علمنا أن تربية المرء لا تنمو في يوم ، أدركنا الاثر الذى يمكن أن تخلفه

استمرارية سلبيات مثلة في شعر اجتماعى له صلة وثيقة بالتربية لأنه يعمكس مفاهيم مضرّة .

وما تقدم ينبغى أن ندرس هذه السلبيات من خلال سلبيات الواقع الاجتماعى

وهذا يؤكّد استسلامنا بأنه لا يوجد أسس علمية للتربية في الشعر انما هي مفاهيم تربوية في واقع اجتماعى .

---

( ١ ) : الناحى الايجابية في التربية الجاهلية من هذا البحث .

ففي هذا الشعر ما يؤيد في التربية عامة وفيه ما يؤيد في تربية الأطفال خاصة وتظهر سلبيات النوع الأول في الأمور التالية :

١ - توجيه السلوك الاجتماعي والأخلاقي بشكل خاطئ .

٢ - تصعيد النزوات .

٣ - التقليل من قيمة المعلم

كما تظهر سلبيات النوع الثاني في :

١ - ذكر الضحايا والدماء واليتم والموت والقبور والدمار .

٢ - ذكر العقارب والأشباح والجن ، وحديث الأساطير .

هذا - في نظرنا - أهم ما يشين التربية ، فقد لانجد نصوصاً كثيرة توافق في مضامينها هذه السلبيات ، لكن أغلبها كان شاغلاً لكثير من الشعراء ، وسوف نتناول أهم الجوانب السلبية .

- توجيه السلوك الاجتماعي والأخلاقي بشكل خاطئ .

يبدو وهذا التوجيه الاجتماعي من خلال مواقف كثيرة ، أهمها دفع القبيلة إلى العدوان والشر من خلال التهكم والسخرية من مواقفها النبيلة وقد كان بعض الشعراء الإسلاميين يلجأ إلى هذا التوجيه الخاطئ ليقض على عوامل الخير ، ويزرع عوامل سيئة لها دورها السلبي في تكيف شخصيات القبيلة .

قال قريظ بن أنيف (١) يسخر من قومه لأنهم ليسوا أصحاب شر ! . . ولأنهم متسامحون راقون في معاملاتهم مع الناس ، ثم يتمن لو أنه أخذ بهم أقواماً فهو ، يحب القتل والسفك الذي تحدثه الإغارة (٢) :

ولكن قومي وإن كانوا نوى العبد	ليسوا من الشرف في شيء وإن هاننا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة	ومن إساءة أهل السوء إحساننا
كأن ربك لم يخلق لخشيته	سواهم في جميع الناس إنساننا
فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا	شدوا الإغارة فرسانا وركباننا

كذلك ما يشين توجيه المجتمع والأفراد مقالة أحد شعرائهم في الدعوة إلى إفشاء الأسرار على شاكلة (٣) قوله :

(١) : قريظ بن أنيف أحد بني العنبر شاعر إسلامي .

(٢) : حماسة أبي تمام ، ج ١ / ص ١٩ .

(٣) : حماسة أبي تمام : ج ٢ / ص ٥٤٩ .

لَا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكُنْ أُنْمِئِلُنَا  
وَأَنْ قَلِيلَ الْمَقْلِ مِنْ بَاتٍ لَيْلَةٍ  
وَلَا أَتْرُكُ الْأَسْرَارَ تَغْلِي عَلَى قَلْبِي  
تُقْلِبُهُ الْأَسْرَارُ جَنِبًا إِلَى جَنْبٍ  
ومن هذا التوجيه الخاطي ، التقليل من قيمة الحضارة والحضري على حساب  
رفع قيمة البداوة ، والبدوي كما في قول الشاعر (الذي يهجو الحضري  
ويمدح البدوي :

جَوَّابٌ بِمِدَاةٍ بِهَا عَزُوفٌ  
وَلَا يُرَى فِي بَيْتِ الْقَلِيفِ  
لِلْجَارِ وَالضَّيْفِ إِذَا يَضِيفُ  
لِلْفَسْوَفِ أَثُولِبِهِ شَفِيفُ  
لَا يَأْكُلُ الْبَقْلَ وَلَا يَرِي (٢) فُ  
إِلَّا الْحَمِيتَ الْمُعْقَمُ وَالْمَكْشُوفُ (٣) فُ  
وَالْحَضْرَى بَطْنُهُ مَعْلُ (٤) فُ  
أَعْجَبُ بَيْتِيهِ لَهُ الْكَنَى (٥) فُ  
أَوْطَانُهُ مَقْلَةٌ وَسَيْفُ (٦)

والقطامي الشاعر (٧) يعيب الحضارة ويرفضها ، وذلك في معرض الفخر باحتفاظ  
قومه ببداوتهم ورفضهم الحضارة الجديدة ، ويصر على البداوة القديمة بكل ،  
تقاليدها العتيقة ، كما يرفضون النظام الحضاري الجديد الذي جاء الإسلام  
يدعو العرب اليه ويسعى في نقلهم اليه ، بما مهد لهم من وسائل روحية  
ومادية ، سياسة واجتماعية وثقافية . يقول :

- (١) : حماسة أبي تمام : ج ٢ / ٧٤٢ - ٣٤٣ .
- (٢) : يريد أن البدوي طواف في المغارز المخيفة ، مقيم على التطواف ليس  
بضعيف ولا كسلان ولا يأكل البقول التي ترخي الأعصاب ، ولا ينزل  
بلاد الحضرة .
- (٣) : القليفي : ثمر ينزع نواه ، ويكتز في ظروف من خوص . والحमित وعاء  
السمن ، والمقصم : ملآن .
- (٤) : معلوف : مبتلي\* من كثرة الأكل .
- (٥) : يريد أن ثيابه رقت لكثرة فسوه فيها ، وأنه يحب الكيف لحاجته إليه ،  
لكثرة أكله .
- (٦) : يعيب على الحضري أن يسكن ساحل البحر ! وأن يسكن موضع البقول  
السيف : ساحل البحر .
- والجدير ذكره أن أهل بادية الشام ، وعرب الجزيرة الفراتية في سوريا مازالوا  
حتى اليوم يقيمون على الحضري كل هذه الأمور .
- (٧) : القطامي لقب غلب عليه واسمه عمير بن شميم ، شاعر إسلامي مقل وكان نصرانيا .  
( ت ١١٢ هـ ) .
- (٨) : حماسة أبي تمام : ج ١ / ١٩٣ .

وَمَنْ تَكُنْ الْحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ  
وَمَنْ رَبطَ الْجَحَاشَ فَإِنَّ فِينَا  
وَكُنْ إِذَا أَغْرَنَ عَلَى جَنَابِ  
أَفْرَنَ مِنَ الضَّبَابِ عَلَى حُلُولِ  
وَأَحْيَانًا عَلَى بُكْرِ أَخِيْنَا  
فَأَيَّ رَجَالٍ بَادِيَةَ تَرَانَا  
قَنَاسُكُنَا وَأَفْرَاسًا حِسَانَا  
وَأَعْوَزُهُنَّ نَهَبٌ حَيْثُ كَانَا  
وَضَبَّةٌ أَنَّةً مِنْ حَانَ حَانَا  
إِذَا مَالَمُ نَجَدَ إِلَّا أَخَانَا

معلوم أن هذا الشعر له أثره الكبير في المجتمع وهو عامل من العوامل (١) الاجتماعية بل من أهمها في تكوين الشخصية البدوية . وهذه العوامل الاجتماعية لها دورها في تكيف الشخصية النامية وتوجيهها . والإنسان لا ينمو ويتربص بمعزل عن بيئته الاجتماعية ، بل يتفاعل معها ويتأثر بثقافتها ، وكيف نفسه وفقا لها (٢) . وهذا ما يفسر كونها مفاهيم سلبية أثرت في العملية التربوية بشكل سلبي ، وعملت على تأخير التحضر العربي ، وربما مازالت هذه العملية هي التي تسيطر على عقل عرب البوادي المعاصرين .

#### - تصعيد النزوات السلبية :

تصعيد النزوات عامل تربوي سلبي له دور كبير في تأخير النمو الأخلاقي فالمرء مجموعة من القابليات ، والتربية عملية تتفتح بها القابليات الكامنة في نفس هذا المرء ، كما تتفتح الأزهار والنباتات ، وما وظيفة التربية إلا العمل في سبيل تفتح هذه القابليات ونموها (٣) .

وهذا يعني أن ما يفتح عليه الطفل يجب أن يكون إيجابيا ليعطي ثمره الصالح . لكن تصعيد نزوة الشر عامل سلبي في التربية النظرية والتطبيقية . وقد بدأ التصعيد الشرير في المجتمع الإسلامي في وقت مبكر ، ونحانحنى سياسيا في بداية الأمر .

لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر ، أقبل أبو سفيان ، وهو يقول :  
" والله إنني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا السدم ! يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم ! أين المستضعفان ! أين الأذلان علي والعباس ! وقال :  
أبا حسن أبسط يدك حتى أبايعك فأبى علي عليه ، فجعل يتمثل بشعر المظلوم (٤) :

(١) : بالإضافة إلى العوامل الأخرى : الطبيعية والبيولوجية .

(٢) : الوعي التربوي ، عدة مؤلفين ص / ١٧٣ . مكتبة رأس بيروت ، بيروت ١٩٧٢ م

(٣) : المصدر السابق نفسه ، ص ٣٠ .

(٤) : تاريخ الطبري . ج ٣ / ص ٢٠٩ .



— التقليل من قيمة المعلم :

أكرم الله العلم والعلماء<sup>(١)</sup> ، وأمر الرسول ( ص ) التعليم وجعله أمانة في أعناق المعلمين وكان يقول : " أيما مؤدب وكسٍ ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسّوية ففقرهم مع غنيهم ، وغنيهم مع فقيرهم حشر يوم القيامة مع الخائن<sup>(٢)</sup> " .

ولكن المعلم لم يجد المكانة اللائقة بما يحمله في صدره ، وما يعطيه للناس فكان بعض الشعراء يسخر من بعض المعلمين ، ما يشير الى تلك المكانة الدنيئة التي احتلها المعلم عند العامة والخاص<sup>(٣)</sup> .

وربما جاء التقليل من قيمة المعلم في معرض الهجاء ، كما فعل مالك بن الريب في هجاء الحجاج بن يوسف الثقفي وكان معلم صبيان بالطائف<sup>(٤)</sup>؛  
فإذا عسى الحجاج يبلغ جهده إذا نحن جاوزنا حفير زياد  
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف  
زمان هو العبد المقر بذلّه يراوح صبيان القرى ويغاري  
فحين أراد الشاعر أن يهجو الحجاج ، بحث عن أسوأ ما يمكن أن يقال عنه ويغاب فيه ، ففعل ، وفيه يقول شاعر آخر :

أينسى كليب زمان الهزال وتعليمه سورة الكوثر<sup>(٥)</sup>  
رغيف له فلكة مات برئ وآخر كالقمر الأزهر<sup>(٦)</sup>

لقد فات الشاعر كما فات المجتمع الذي عاش فيه أن جوع المعلم الذي عيب فيه هو إدانة لذلك المجتمع ، ودليل على انشغال الناس عن العلم .  
— ذكر الضحايا والموت والدمار :

لا شك أن ذكر القتل والدماء والدمار والضحايا ، وما تخلفه الحروب من يتم وموت كلها أمور تعد من السلبيات الواضحة في تربية الأطفال . وربما كان من المفيد في هذا الجانب أن نذكر بعض تلك الصور للأطفال ونفسرهم منها بكلمات ، فنكون قد زرعنا في نفس المرء ومنذ طفولته تجنب

( ١ ) : لاحظ الإيجابية في التربية الإسلامية من هذا البحث .

( ٢ ) : آداب المعلمين ، ابن سحنون ، ص ٤٢ ، طبعة الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب ، تونس ١٣٤٨ هـ .

( ٣ ) : كما هو موقف الجاحظ من هؤلاء المعلمين .

( ٤ ) : العقد الفريد ، ج ٥ / ص ٢٥٥ ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٥٣ م

( ٥ ) : انظر المماوف بن قتيبة ، ص ٢٣٨ ، والشعر والشعراء ، ج ١ / ص ٣١٤ ،

والبيان والتبيين ، ج ١ / ص ٢٥٢ .



الافعال الضارة وتبهيها في سن مبكرة ،

وأغلب هذه الصورة المولمة حدثت بين المسلمين أنفسهم ، وهي متعددة أسبابها وأشكالها لكنها تنضوي تحت الوحدة الوحشية في ضمونها . ففي وقعة الجمل شاع للمقاتلين على محلها ابن طلحة فقلته ثم أنشد يقول (٢) :

وأشعت قوَّامَ بآيات ربِّه      قليل الأذى فيما ترى العينُ مُسَلِّمِ  
هَتَّكَتْ له بالرمح جيبَ قَبِيضِهِ      فخرَ صريعاً لليدِينَ وَلِلْفَكْرِ  
يذكرني (حم) ٣ والرمحُ شاجرٌ      فهلاً تلا (حم) قبل التَّقْدَمِ  
على غير شيءٍ غير أن ليس تابعاً      علياً ومن لا يتبع الحقَّ يَنْتَدِمِ

وقد كثرت هذه المواقف السلبية المولمة في وقعة الجمل ، جرح يوم الجمل مُسير بن الأهلب الضبي ، فصرَّبه رجل من أصحاب علي ، وهو في الجرحى فقال له عميرة : ادنُ مني ، فدنا منه ، فقطع أذنه ، وقال عمير بن الأهلب

لقد أوردتنا حومة الصوت أمَّنا      فلم ننصرف الا ونحسب رواء  
لقد كان عن نصر ابن ضبة أمَّه      وشيعتها مندوحةً وغنا  
أطعنا بني تميم بن مرة شقوةً      وهل تميم إلا أعبدٌ وإمَّاء !

ويصل ذكر القتل الى أبعد درجات الوحشية حين يكون بذنب وبلا ذنوب القتل للقتل ! كما في قوله (٥) لسلم بن عقبة ، قائد قوات يزيد بن معاوية في وقعة الحرّة ، وهو جالس على كرسي يحمله الرجال ، يقاتل ابن الطخيل :

أحيا أباه هاشم بن حرطبة      يوم الهباتين ، ويوم اليعلُك  
كلَّ الطوك عنده مغسلة      ورَّحه للوالدات شكك  
لا يلبيث القتل حتى يجد له      يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

وأحيانا يوجه الشاعر وصية لأبنائه يذكر فيها البسكة والقبر ، وهذه ذات أثر سلبي في نفسية الاطفال خاصة . قال عبده بن الطبيب ، يذكرني البسكة والقبر في وصية لأبنائه (٧) :

(١) : انظر الخبر في تاريخ الطبري ج ٤ / ص ٥٢٦ .

(٢) : المصدر السابق نفسه .

(٣) : سورة حاميم ، في القرآن .

(٤) : تاريخ الطبري ج ٤ / ص ٥٢٤ .

(٥) : تاريخ الطبري ج ٥ / ص ٤٩١ .

(٦) : وهو حنظلة ابن الخليل صحابي رسول الله ( ص )

(٧) : الفضليات ، ص ١٤٦ .

ولقد علمت أن قصري حُفْرَةٌ      غبرا يحطني إليها شـ (١) المرجع  
فبكى بناتي شجوهن وزوجتي      والأقربون إلي ، ثم تصدّعوا (٢)  
وتركت في غبرا يكره وردها      تسفي عليّ التريح حـ لـين أودع

- ذكر الجن والعقاريات والاشباح :

حديث الجن وحده كاف ، فهو تعزيز سلبي يضعف الحقائق الموضوعية .  
ولسنا بهذا نعني انكاره ، لا ، لكن الذي نريده في معرض بيتان  
مايسي ، الى تربية المرء والاطفال خاصة أن نبين مدى الخرافات التي امتلا  
بها بعض الشمر فأساء الى تربية الاطفال ، وأوقعهم بالخوف .

وقد أدرك الجاحظ هذه الحقيقة وكشف خباياها في تربية الاطفال ، ثم  
راح يملل تصورهم في هذا الامر فقال (٣) : " اذا استوحش الانسان تمثل  
له الشيء في صورة الكبير وارتاب وتفرق ذهنه وانتقصت أخلاطه ، فرأى  
ملا يرى ، وسمع مالا يسمع وتوهم على الشيء اليسير الحقير انه عظيم جليل  
ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك شعرا تتأشده ، وأحاديث توارثوها ،  
فازدادوا بذلك ايمانا ، ونشأ عليه الناشئ ، ورعى به الطفل . . . . "

ومن هذه الأحاديث ما كان الأعرابي يملل به سبب إسلامه ، ترفعا كيلا  
يقال بأنه أسلم عنوة أو خوفا ١ .

وفد سواد بن قارب على عمر بن الخطاب ، وكان كاهنا . وحدث عمر  
قائلا : كان لي نجي من الجن ، إذ أتاني في ليلة وأنا كالنائم فركضني  
برجله ثم قال : " قم ياسواد ، فقد ظهر بتهامة نبي يدعو الى الحق  
والى صراط مستقيم . قلت له : تتح عتي فاني ناعس ، فولى عني  
وهو يـ (٤) :

عجبت للجن وتبكارها	وشدّها الميس بأكوارها
تهوى الى مكة تبغي الهدى	مامو منو الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم	بين روايبها وأحجارها

(١) : الشرح : خشب يشد بعضه الى بعض كالسرير يحمل عليه الموتى .

(٢) : الشجو : الحزن . تصدّعوا : تفرقوا .

(٣) : الجاحظ ، الحيوان : ج ٦ / ص ٢٥٠ - ٢٥١ / .

(٤) : جمهرة أشعار العرب . ج ١ / ص ٥١ وما بعد .

كل هذه المفاهيم يعيشها رجال القبيلة وأفرادها ، كما يتوارثونها أباً عن جد . وهذا يشير الى ما تنطوى عليه علاقة الفرد بالمجتمع ، من علاقة تتأثر بقواعد السلوك السائدة في القبيلة ، كما تتأثر بالمفاهيم التي تؤمن بها القبيلة فتعكس على تصرفاته ، ويتنير ما في نفسه من فطرة سليمة وهذا مصدر الخطر السلبي الذي ينجم عن التربية من خلال المفاهيم الاجتماعية السلبية .

ان هذه المفاهيم السلبية مازالت تحظى برصيد هائل وكبير في بعض البيئات الاسلامية ، وربما كان من المفيد أن نتذكر خطر التعميم ، وإلا كنا نقول بأن أغلب البيئات الاجتماعية الاسلامية مازالت مشدودة الى الوراء مدة ألفي عام بفضل هذه الترهات التربوية .

## الفصل الثالث

### المفاهيم الإيجابية

- ١- المناحي الاجتماعية.
- ٢- المناحي الفكرية.
- ٣- المناحي الاقتصادية.
- ٤- المناحي التربوية.

## المنافحي الاجتماعية

حل المشكلات الاجتماعية  
التدبير بالفساد وفضح المرتشين

### حل المشاكل الاجتماعية :

كان للشعر سلبا وإيجابا دور اجتماعي على كل صعيد  
على صعيد الأسرة :

كان الشعر الإيجابي يحل الازمات العائلية ، ويكشف عن المواقف  
السلبية التي يتخذها الأزواج من زوجاتهم وهم يحملون معتقدا جاهليا  
يفضل البنين على البنات .

فقد تزوج شيخ من الأعراب ، جارية من رهطه ، وطمع أن  
تلد له غلاما . فولدت له جارية ، فهجروها وهجر منزلها ، وصار  
يأوى الى غير بيتها ، فمرّ بخبائها بعد حول ، وإذا هي ترقص بنيتها  
منه ، وتقول (١) :

مأبى حمزة لا يأتيــــــــــــــــنا      يظل في البيت الذي يليــــــــنا  
غضبان أن لا تلد البنــــــــينا      تالله ما ذك في أيــــــــدينا  
وانما نأخذ ما أعطيــــــــنا

فلما سمع الأبيات مرّ الشيخ نحوهما حُضراً حتى ولج عليها

الخباء وقبل بنيتها وقال : ظلمتما رب الكعسبة .

فمثل هذا الموقف الإيجابي الذي أوجده هذا الرجز قضى على  
فرق ما بين الذكر والانثى ، وأصلح ما أفسدته العقلية الاعرابية ، وهي  
تريد من المرأة ألا تلد البنات .

وهذه العقلية القاصرة بفهمها نقدها القرآن الكريم (٣) وفضحها  
ثم حاربها الإسلام مجملا ، ولكنها بقيت في الذهنية العربية ، فكان  
لمثل هذا الشعر دور كبير في كشفها وفضحها وتصوير الرجال بالقيمة  
الانسانية للمولود أيا كان جنسه .

- (١) : البيان والتبيين ج ٤ / ص ٤٧ - ٤٨ / الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦٨ م  
(٢) : ذكر الجاحظ : ج ١ / ص ١٨٦ ، الطبعة السابقة ، على أنه : أبو حمزة الضبي  
رواية أخرى :

وانما نأخذ ما أعطيــــــــنا      ونحن كالأرض لزراعــــــــينا

لبيت ما قد زرعوه فيــــــــنا

- (٣) : قال تعالى في سورة الحل " ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون  
وإذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسردا وهو كظيم ، يتوارى من القوم  
من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ؟ ألا ساء  
ما يحكمــــــــون " .  
الآيات : ٧٧ - ٦٠ /

وقد برع النسوة في كشف سلبات الرجال ، ولفت النظر الى حقهن بايجابية شعيرة فعالة :

ان امرأة أتت عمر بن الخطاب (رضي) فقالت : يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار ، ويقوم الليل ، وأنا أكره أن أشكوه وهو يحمل بطاعة الله ، فقال لها عمر : نعم الزوج زوجك ، فجعلت تكرر عليه القول ، وهو يكرر عليها الجواب ، فقال له كعب بن (١) أسرو الا زدي يا أمير المؤمنين ، هذه امرأة تشكو زوجها في مبادئها عن فراشه فقال له عمر (رضي) : كما فهمت كلامها فاقضي بينهما ، فقال كعب : علي بزوجه ، فأتي به فقال له : أمأتك هذه تشكوك ، فقال الزوج أفي طعام أو شراب ؟ فقال كعب : لا في واحد منهما ، فقالت المرأة : يا أيها القاضي الحكيم أرشده زهده في مضجعي تعبده فلست من أمر النساء أحمدده فقال الزوج :

أني أمروء أذهلني ما قد نزل  
وفي كتاب الله تخوف جلال (٣)

زهدي في قربها وفي الحجل  
في سورة النحل وفي السبع الطول  
فقال كعب :

نصيبها في أربع لمن عقل

إن لها حقاً عليك يارجل

فأعطها ذاك ودع عنك الملل

لقد أدرك كعب بفطنته قصد المرأة وغايتها ، وحين جلست وزوجها للمقاضاة كشفت سلباتهما وأهملته لها في الحديث عن الإيجابي من أعماله ، وحملت القاضي والمتهم بوجزها عن سلوك الدرب ذاته ، فحققت الغاية دون حرج أو جرح .

(١) : انظر ترجمته في : أخبار القضاة ، لو كيع ج ١ / ص ٢٧٤-٢٨٣ / ورغبة

الامل : ج ٨ / ١٥٢ .

(٢) : نهاية الارب في فنون الادب ، للنويري : ج ٦ / ص ٢٨٦ .

(٣) : تعالج سورة النحل موضوعات العقيدة الكبرى : الألوهية ، والوحي ، والبعث

ونظم بحقيقة الوحدةانية الكبرى التي تصل بين دين ابراهيم ودين محمد عليهما

السلام ، وتتحدث عن الايمان والكفر والهدى والضلال كما تعالج موضوعات

المعاملة .

وقد أثر هذا الشعر الذي يريد أصحابه من ورائه حاجات لهم عامة أو خاصة في شخص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فكان يستجيب لما يراه فيه من صواب .

فقد كان في المدينة رجل يسمى جعدة ، ويرجل شعره ويتعرض للنساء المعزبات ، فكتب رجل من الأصاركان في الغزو إلى عمر بن الخطاب (رض) :

ألا أبلغ أبا حفص رسولا  
قلنا هذاك الله إننا  
يعقلهن جعد شيطاني

فكفى بالقلات من النساء وعرض رجل يقال له جعدة . فسأل منه عمر فدل عليه ، فجز شعره ونفاه عن المدينة (١) . وحقق الرجل مراده بهذه القطعة التي أفاد بها عامة المسلمين الذين كانوا في الغزو

وقد خلفوا نساء هم معزبات في المدينة . وسمع عمر امرأة في الطواف تقول :  
من فمهن أنشعني بعذب مسهر  
ومهن من تسقى بأخضر آجن  
نقاخ فتلكم عند ذلك قسرت  
أجاج ولولا خشية الله فرت

ففهم شكواها ، فبعث إلى زوجها فوجده متغير الفم فخيره بين خمسمائة درهم وطلاقها . فاختر الدراهم فأعطاه وطلقها (٢) . وحققت المرأة أمرا خاصا كانت تعتبر تحقيقه محالا .

ربما كان الشعر قادرا على تحقيق ما ربه في أمر مهمة كالعودة من الجهاد . فقد أشد المخبل السعدي أبياتا لعرب من

الخطاب (رض) يظهر فيها الضرر الذي أصابه من جراء ذهاب ابنه شيبان لحرب الفرس مع سعد بن أبي وقاص : وكان قد أسن وضعف ولم يملك صبورا عن ابنه فاستجار بشعره فأجاره وحقق الغاية في قوله :

إذا قال صبحي ياربيع ألا ترى ؟  
ويخبرني شيبان أن لن يعقني  
أرى الشخص كالشخصين وهو قريب  
تعق إذا ما فارقتني وتحسب

فوق له عمر ، وكتب إلى سعد يأمره أن يرد شيبان إلى أبيه ، فردّه إليه ولم يزل عنده حتى مات (٣) . وقد حمل هذا وأمثاله عمر بن الخطاب

(١) : العقد الفريد ج ٢ / ص ٢٦٤ . المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٥٣

(٢) : المصدر السابق نفسه .

(٣) : انظر أخباره في : الإصابة ج ٢ / ٢٢٧ ، الاغانى ج ١٢ / ٣٨ ، طبعة الساسي

(٤) : الاغانى : ج ١٧ / ص ١٩٠ ، طبعة دار الكتب .



أن ينهى من لهم آباء شيوخ يعولونهم عن الهجرة برا بهم .  
وقد أدرك حرثان بن الأسكر أثر هذا الشعر في عمر ففزغ إليه  
يشكو هجرة ابنه كلاب <sup>إلى</sup> حرب الفرس وهو يقول :

لمن شيخان قد تشدا كلاهما      كتاب الله إن حفظ الكتاب<sup>(١)</sup>  
إذا هتفت حمامة بطن وج      على بيضاتها ذكرا كلاها  
تركت أباك موعشة يداه      وأمك ماتسغي لها شراها  
فأمر بأشخاصه اليه<sup>(٢)</sup> . ومثل هذا الشعر الذي يحقق الغاية في  
إطار صلاحها كثير في العصر الإسلامي<sup>(٣)</sup> .

وقد توصل الحطيثة إلى حاجته في الخلاص من سجن عمر والعودة  
إلى أولاده بالكلام المتخير كما يبلغ ذلك الخطيب بخطبته ، فأفلح في مسعاه  
حين ذكر أن حبسه قد حال بينه وبين الاهتمام بأولاده ، وهو يخاطب  
عمر بن الخطاب ، ويحجّه :

ماذا تقول لأخراخ بذى مَرَّخ      زغب الحواصل لا ماء ولا شَجَرُ  
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة      فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فلان له قلب الخليفة ، وفاء عنه بعد أن أخذ عليه العهد ألا يعود  
إلى الهجاء ، ويقال إنه اشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم<sup>(٤)</sup>

(١) : يقصد مافي القرآن الكريم من رعاية لله بالآباء .

(٢) : الشعر والشعراء ، لابن سلام : ص ١٦٠ ، طبعة دار المعارف بمصر

(٣) : انظر في حالات مشابهة : الاغاني : ج ٢١ / ص ٦٩ ، طبعة الساسي

وديوان الهذليين : ج ٢ / ١٧٠ ، وأما علي القالي : ج ٢ / ص ٣٠٩  
وذيله ص ١٠٩ .

(٣) : انظر القصيدة في الاغاني : ج ٢ / ص ١٧١ ، والابيات في

ديوانه بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني

القاهرة ، ١٩٠٨ م ، مطبعة الباهي الحلبي .

وقد ظل الامراء طويلا يستجيبون لمطالب الشعراء ، وكان هذا النوع من الشعر قادرا على تلبية رغبات كثيرة كظك التي أشدها المذبل السعدى في أيام الأمويين ، فيحل مشاكل خاصة ربما عجز كثيرون عن حلها .  
كانت امرأة من أهل الشام ، وكان بالسند ، فجمرو ، والتجمير أن يتوك في البعث ولا يرد ، فصاعت في إزله ، فأعيها ، وطلبت حتى شهرت فقال لها قائل : هل لك فيمن أن طلب لك أذن لا ينك وهو أيسر من تطلبين كلاما ؟ قالت : وددت ذاك ، فقال الفرزدق ، قالت : من لي به ، وهو بالبصرة ؟ قال : اركبي الساعة سفينة حتى تأتي البصرة فسلي عن منزلة فقولي : ابني عذت بقبر غالب . فاذا سألك ، فأخبريه ، ففعلت ، فأنته وهو في البيت ، فلما قيل له امرأة بالباب تسأل عنك كاد يطير من الفرح ، ووشب يعدو اليها ، فلما رآته قالت : ابني عذت بقبر غالب .

قال : وما حاجتك ؟ قالت ابن لي ليس لي ولد غيره قد جمر بالسند ، وقد صانت فيه فأعياي ذلك ، وأخبرته بما قيل لها فيه فقال : يا غلام هات رقيا ودواة ، وقال : ما اسم ابنك ؟ قالت : خنيس . فقال الفرزدق ، وكتب بها الى عامل الناحية التي ابني فيها :  
(١)

كتبت وعجلت الجلالة ، إنني  
ولي ببلاد الهند ، عند أميرها ،  
فمن تلك : أن العامرية ضمتها  
أتني تهادي بعد ما مالت الطلي ،  
فقلت لها : إيم اطلبي كل حاجة  
فقلت : سوى ابني لا أطلب غيره ،  
تميم بن زيد ، إلا تهون حاجتي  
ولا تقلبن ظهرا لبطن صحيفتي ،  
وهب لي خنيسا واتخذ فيه مئة

إذا حاجة طالبت عجت ركا بها  
حوائج جمات ، وعندي ثوابها  
هيتي سواره طاب منها اقترابها  
وعندي رواح الجوف فيها شرابها  
لدي ، وخفت حاجة وطلابها  
وقد بك عاذت كلثم ، وغلابها (٢)  
لديك ، ولا يعيا علي جوابها  
فشاهد هاجبها عليك كتابها  
لحوبة أم ميسوغ شرابها (٣)

(١) : ديوان الفرزدق : ج ١ ص ٨٥ - ٨٦ / دار صادر ، دار بيروت ، بيروت

١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م

(٢) : الطلي : الأعناق ، الواحدة طليا . الواح : الواحدة

(٣) : كلثم : اسم المرأة . غلاب اسم ابنتها .

(٤) : الحوبة : العيال .

ثم قال : أعتدك رسول ؟ قالت : نعم ! فسرحت به رسولا .  
فلما قدم كتابه على تميم سأل عن الرجل ، ولم يزل يبحث عنه  
حتى قيل له : هو من مرابطة التاكيان ، فكتب فيه حتى أتوا  
به ، فسأله ما بينك وبين الفرزدق ؟ فقال : ما يعرفني . قال :  
فانه قد كتب فيك . وحطه البريد وكساه ، وبعث معه رسولا  
وقال : ادفعه الى الفرزدق ، فقدم به الى البصرة فقال :  
" النجاء الى أمك (١) " .

---

(١) : ديوان الفرزدق ، ج ١ / ص ٨٦ .

— على صعيد القبيلة :

جاء الاسلام ، والمجتمع العربي : قبلي ، فيه كثير من السلبيات التي راح يحاربها الدين الجديد . وقد نهى الاسلام عن التنازع باللقاب التي كانت تجلب العار والخجل لأصحابها ، فقال تعالى : " ولا تنازعوا باللقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان <sup>(١)</sup> " .

وكان بعض الشعر الايجابي عاملاً مساعداً في القضاء على تلك الالقاب السيئة ، التي تقطع من شأن القبيلة وأفرادها .

فالرجل من بني أنف الناقة <sup>(٢)</sup> كان اذا قيل له : ممن الرجل قال : من بني قريع ، فما هو الا أن قال الحطيئة :

قومهم الأنف والأذنابُ غيرهم  
ومَن يساوي بأنف الناقة الذئبا  
فصار الرجل منهم اذا قيل له : من أنت ؟ قال : من بني أنف الناقة  
ربما أدى الهجاء غرضاً ايجابياً على تقييد ما يتصور ، قتلت عشيرة  
الحارث بن عوف المرّي داعياً الرسول (ص) ، فقال حسان بن ثابت  
فيه ، وفي عشيّته <sup>(٤)</sup> :

إن تغدروا فالغدرُ منكم شيمةٌ  
والغدرُ ينبت في أصول السخبر <sup>(٥)</sup>

وحين سمع الحارث قوله بكى من هجائه بدموع غزار ، واستجار بالرسول (ص) متوسلاً اليه أن يكف <sup>(٦)</sup> عنه . فأدى الغرض وفرض الدين وبلغ الشعر الايجابي على مستوى القبيلة — مبلغه المطلوب حين جمع شمل قوم كادت العصية أن تفتك بهم ، " فقد كان من الأشعث بن قيس ، شي " عند عزل عليّ إياه عن الرياسة ، وذلك أن رياسة كدة مريضة كانت

(١) : سورة الحجرات ، الآية / ١١ .

(٢) : أنف الناقة هو جعفر بن قريع بن عون ، سمي قريباً لأنه حصر جزواً فقسمها بين نسائه فبعثت جعفرها هذا أمه — وهي الشموس ، من بني وائل — فأتى وقد قسم الجزر فلم يبق الا رأسها وعقلها ، فقال : شأك ! فأدخل يده في أنفها وجعل يجرحها فسمى أنف الناقة .

(٣) : البيان والتبيين : ج ٤ / ص ٣٨ ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٨ ، القاهرة .

(٤) : انظر في ترجمته : الاغانى ج ٤ / ص ١٣٧ ، دار الكتب .

(٥) : السخبر : شجر ، ومن أمثال العرب : ركب فلان السخبر إذا غدر .

(٦) : انظر الاغانى : ج ٤ / ص ١٣٧ ، دار الكتب .

للأشعث ، فدعا علي حسان بن مخدوج<sup>(١)</sup> ؛ فجعل له تلك الرياسة فكتب في ذلك أناس عن أهل اليمن ، منهم الأشعث<sup>(٢)</sup> ، وعدى الطائي وزهر بن قيس وهابي بن عمرو ، فقاموا إلى علي فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إن رياسة الأشعث لا تصلح إلا لمشله ، وما حسان بن مخدوج مثل الأشعث . فغضب ربيعة<sup>(٣)</sup> ، فقال : حريث بن جابر<sup>(٤)</sup> : يا هولة ، رجل بوجل ، وليس بصاحبنا عجز في شرفه وموضعه ، وجدته وبأسه ، ولست ندفن فضل صاحبكم وشرفه ، فقلنا للجاشي<sup>(٥)</sup> في ذلك :

رضينا بما يرضى علي لنا به	وإن كان فيما يأتي جدع المناخر
وهو رسول الله من دون أهله	ووارثه بعد العموم الأكابر
رضي بآبن مخدوج فقلنا الرضا به	رضاك وحسان الرضا للعشائر
وللأشعث الكندي في الناس فضله	توارثه من كابر بعد كابر
وليس لنا إلا الرضا بآبن حرة	أشتم طويل الساعدين مهاجر <sup>(٦)</sup>

يمثل هذا الشعر الانقياد للقائد على حساب جدع المناخر العصبية ولم لا فالقائد هو وصي رسول الله ، وقد رضي بحسان ، وما على الآخرين إلا الرضا به ، وهذا لا يعني انكارا لفضل الأشعث الكندي في الناس ، لكنها الكلمة الطيبة التي تغسل القلوب من أدران الجاهلية .

كما يمثل هذا الشعر ذوبان العصبية عند وجود القائد الفذ القائد المحبوب ، وهذا الوجه الإيجابي يفرض نفسه على مسر الدهر وكر العصور . أن هذا المنطوق الذي يتجاوز العصبية القبلية ولدته قيادة حكيمة ، ولا شك أنه لو أتيح لكل أمة ممزق أوصالها قائد له من الحب في قلوب شعبه كما كان للإمام علي في تلك الرقعة لتغلبت الأمة على انقسامها الذاتي انصارا في بوتقة الوحدة .

(١) : رأس ربيعة في جيش علي

(٢) : وهما من خير أصحاب علي كرم الله وجهه .

(٣) : القبيلة

(٤) : من أصحاب حسان .

(٥) : من أصحاب الأشعث .

(٦) : ابن مزاحم ، رقعة صفين / ص ١٣٦ .

سسيما وأن التعصب القبلي أقوى بكثير من انقسام الامة .  
ومن الشعر الايجابي ما يحقق النصر لقوم على آخرين ، ويعمل عطشه النفس  
في عقلية القوم المعادين تماما كما يفتك (الطابور الخامس ) بالقوم من داخلهم  
ويساعد على تحقيق النصر .

فمن هذا شعر قاله معاوية<sup>(١)</sup> بن الحجاج بن ابي سفيان ، وكان  
مبغضا لمعاوية وأهل الشام ، وله هوى مع أهل العراق وعلي بن أبي  
طالب ، وكان يكتب بأخبار معاوية الى عبدالله بن الطفيل<sup>(٢)</sup> العامري  
وبيعث بها الى علي ، فبعث الى عبدالله بن الطفيل : ابي قاتل شعرا  
أذْ عُرِبِهِ أَهْلُ الشَّامِ وَأَرْغَمَ بِهِ مَعَاوِيَةَ . وكان معاوية لا يهتم به ، وكان  
له فضل وجدة ولسان ، فقال ليلا لسمع أم حبابه ويزعج أهل الشام  
حين ذكروا أن عليا أظهر أنه مصبح غدا معاوية ومناجزه ، فبلغ  
ذلك معاوية ونزع أهل الشام لذلك وانكسروا ، قال<sup>(٣)</sup>

أَلَا لَيْتَ هَذَا اللَّيْلَ أَطْبِقَ سَرْمَدًا      عَلَيْنَا وَأَنَا لَا نَرَى بَعْدَهُ غَدًا  
وباليتة إن جأنا بصباحيهِ  
حَذَارَ عَلِيٍّ إِيَّاهُ غَيْرُ مُخْلَصٍ      وَجَدْنَا إِلَى مَجَرَى الْكَوَاكِبِ مَصْعَدًا  
فَأَمَّا قَرَارِي فِي الْبِلَادِ فليس لي      مَدَى الدَّهْرِ مَا لَبَسَ الطُّبُونُ ، مَوْعِدًا  
كَأَنِّي بِهِ فِي النَّاسِ كَاشِفُ رَأْسِهِ      مَقَامَ وَلَوْ جَاوَزَتْ جَابَلُوقُ مَصْعَدًا  
يَخُوضُ غَمَارَ الْمَوْتِ فِي مَرْحَلَتِهِ      عَلَى ظَهْرِ خَوَارِ الرَّخَالَةِ أَجْرَدًا  
فَوَارِسُ بَدْرِ وَالنَّصْرِ وَخِصْمُ يَمِينِهِ      يَنَادُونَ فِي نَقْعِ الْعِجَاجِ مَحْمَدًا  
وَيَوْمَ حُنَيْنٍ جَالِدُ عَنَّا بَيْنَ يَدَيْهِ      وَأَحَدُ يُرْدُونَ الصَّفِيحَ الْمَهْدَدًا  
وبعد أن يوقع هيبته الإمام في نفوس القلوب ليذلع قلوبهم وهو يعدد  
مآثره . يوجه كلامه لمعاوية :  
فَقُلْ لِّابْنِ حَرْبٍ مَالِذِي أَنْتَ مَانِعٌ      فَرِيقًا مِنَ الْأَحْزَابِ حَتَّى تَهْدَنَا  
وطني بأن لا يصبر القوم موقفًا  
فَلَا رَأَى إِلَّا تَرَكْنَا الشَّامَ جَهْرَةً

أَتَبْتَ أَمْ تَدْعُوكَ فِي الْحَرْبِ فَعَدَدًا<sup>(٥)</sup>  
يَقْفُهُ وَإِنْ لَمْ يُجَرِّ فِي الدَّهْرِ لِلْمَدَى  
وَأَنْ أَبْرُقَ الْفَجْجَاجُ فِيهَا وَأَرْعَدًا<sup>(٦)</sup>

(١) : وهو صاحب راية بني سليم مع معاوية بن أبي سفيان .

(٢) : من أصحاب علي بن أبي طالب .

(٣) : ابن مزاحم وقعة صفين ، ٤٦٨ — ٤٦٩

(٤) : جَابَلُوقُ : مدينة بالمشرق ، وجَابَلُوقُ : مدينة بالمغرب ليس بعدها شيء

(٥) : القمعد : الجبان القاعدة عن الحرب .

(٦) : الفججاج : كثير الكلام .

فلما سمع أهل الشام شعره أتوه معاوية فهم بقتله ، ثم راقب فيه قومه وطرده عن الشام فلحق بمصر . وعدم معاوية على تسييره اياه . . . وقال : " والله لقرول السُّلمي أشد على أهل الشام من لقاء علي ، ماله قاتله الله . لو أصاب خلف جابلق مصعدا نفذه (١) .

وبعودة العصبية القبلية عادت الشاعر مكانته وعادت القبائل تحتضي بشعرائها بدل أن تلوذ بالحكومة لتحميها من لسان الشعراء ولا بد من الاعتراف بعجز حكومة الأمويين عن حماية القبائل من أسنة الشعراء . الحداد ، لأنها هي التي تبنت هذا الأسلوب من أيام هجاء الاخطل فلا يضار برأى يزيد بن معاوية وتحت حمايته . فكان لا بد للقبائل من شعراء تحميها من الهجائين أو المعتدين .

فَمِمَّنْ حمى قبيلته زياد الأعجم (٢) ، وذلك أن الفرزدق هم بهجشاء عبد القيس قبل غ ذلك زيادا وهو منهم ، فبعث اليه : لا تعجل وأنا مهدي اليك هدية ، فانتظر الفرزدق الهدية ، فجاءه من عنده :

فما ترك الهاجمون لى إن هجوته	مُصّاً أراه في أديم الفرزدق
ولا تركها عظاما يرى تحت لحمه	لكاسره أبقوه للمتعمرق
سأكسر ما أبقوا له من عظامه	وأنت مخ الساق منه وأنتقي
فأنا وما تهدي لنا إن هجوتنا	لكالبحر مهما يلق في البحر يغرق

فلما بلغته الأبيات كف عما أراد ، وقال : لا سبيل إل هجاء هؤلاء ما عاش هذا العبد فيهم .

ولم يكن بعض الشعر نافعا للقبيلة فحسب ، فقد ينقد الشعر صاحبه من مأزق يقع فيه أو سجن يقذف به كما في حكاية ابن شهاب الزهري عن يزيد ابن عبد الملك ، فقد دعاه ذات مرة بعد مضي شطر الليل فرآه الخليفة فزعا ، فقال : لا بأس عليك أجلس ، فجلس واندفعت جاريته حباية تغني :

إذا رُمْتُ عليها سلوة قال شافع	من الحب : ميعاد السلوة المقابر
سَتَبَقَى لها في مَضَمِ القلب والحشا	سريرة حب يوم تبلى السرائر

فسأله يزيد : لمن هذا الشعر ؟ فقال له : للاحول (٣) ، قال : ما فعل

(١) : وقعة صفين ، لابن مزاحم ص / ٤٦٨ .

(٢) : من شعراء الدولة الاموية ، جزل الشعر ، فصيح الالفاظ ، انظر أخباره في :

الآغاني ج ١٤ / ص ٩٨-١٠٥ ، وطبقات فحول الشعراء ، ٥٥١-٥٥٧ .

(٣) : انظر أخباره في ، الآغاني : ج ٤ / ص ٥٨٠ ، والشعر والشعراء / ص ٢٠٤

وخزانة الادب للبغدادى ج ١ .

الله به ؟ فقال له : إنه محبوس ، فكتب من ساعته بإطلاقه ،  
وأمر له بأربع مائة دينار ، وقدم إليه فأحسن جائزته (١) .  
ومن الحق القول بأن الوجه الإيجابي هنا فردي ذاتي ، وهو من  
أدب القصور المقيّد بالأفلال السلبيّة فإذا كان الاحوص ارتكب اثماً سجن عليه  
فإنه لا يحقّ ليزيد بن عبد الملك إطلاقه متناسياً إثمهُ لمجرّد ، أنه  
أعجب بالبيتين وطرب لهما ، فهي السلبيّة وهو السلبي من وجهة  
أخيرة .

---

(١) : المصنوعة : ج ١ / ص ٧١ ، الداهية الرابعة ١٩٧٢ ، بيروت .



## التدديد بالفساد وفضح المرتشين (١) :

جاء الاسلام بعالم شامل للحياة الفكرية والمادية ، وأرسى بتعاليمه للقرآنية قواعد أخلاقية متينة ، من فهمها واستوعبها ، فانه لن يخضع بأخلاقه لنتائج التفاعلات الاقتصادية في المجتمع . ومن لم يفهمها ولم يأخذ بها فانه معرض لاهتزاز واضطراب كبير في اخلاقه ومن ثمة معاملاته . فكلما تغيرت علاقات النتائج تغيرت معها قيمة الاخلاقية التي يحطمها . وهذا التغير قد يكون ايجابيا . وقد يكون سلبيا فيعم الفساد وتظهر الرشوة .

والرشوة (٢) هي الاستعانة بالمال يقدم الى الحكام أو المسؤولين على أكمل أموال محرمة .

وقد حرمه القرآن الكريم في قوله تعالى : " ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بلا اثم وأنتم تعلمون " (٣) .

" ويظهر في الآية نهي عما تسميه حديثا ( الرشوة ) ، فالشريعة تحرم الرشوة التي هي الادلاء بالأموال للحكام ، لغرض التسهيل ، أي ليسهل الحكام للراشيين أكمل أموال الآخرين بلا اثم عن عام . . . وسمى تلك الأموال المأكولة ، بناء على الرشوة ، " فريقا من أموال الناس كأنما يشخص المال المأكول ، ليتذكر الراشي والمرتشي : ان عطيم كافتيسال الاحياء وأكل لحومهم " (٤) .

وكي يحمي الاسلام ولاية المدن والحكام عامة الذين يتولون شؤون الدولة ، أجرى لهم أرزاقا معارمة ، واعتبر أخذ الزيادة غلوا ، كما في قول الرسول (ص) : " من استعطناه على عمل ، فرزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول " (٥) .

كما أُمِن له زوجة ، وخادما يقوم على خدمته ، ومسكنا ، وأكد أنه

(١) : يقال بأن أول من ارتشى هو يرفأ حاجب عمر بن الخطاب ، الا وائل ج ١ / ص ٢٥٤ وزارة الثقافة ، دمشق .

(٢) : الرشوة بكسر الراء وضمها ، والجمع رشا بكسر الراء وضمها أيضا ، وارتشى أخذ الرشوة .

(٣) : سورة البقرة : الآية / ١٨٨ .

(٤) : تفسير القرآن المرتب ، د : اسعد علي ص ٣٧١-٣٧٢ ، دار السؤال للطباعة والنشر ، دمشق ١٩٧٩ .

(٥) : جامع الاصول : ج ١٠ / ص ٧٣ - ٥٧٤ .

سارق ، أو غال ان اتخذ غير ذلك • وقد أكدت الشريعة أحقية هذه الحاجيات في قول الرسول (ص) : " من كان لنا عاملاً ليكتسب زوجة ، فان لم يكن له خادم ، فليكتسب خادماً ، فان يكن له مسكن فليكتسب مسكناً ، ثم قال : من اتخذ غير ذلك فهو غال أو سارق " (١) فلا سلام لم يهمل أمر الولاة والحكام كي يستقيم أمرهم بين الناس ويكفوا حراساً أمناء لدين الناس وديارهم • فاذا تجاوزوا ما فرضه الاسلام لهم ، وجدوا بين الشعراء الحريصين على مصالح الشعب من يرفع أمرهم الى الخليفة شعراً فاضحاً يقتصر عليهم :

ويبدو أن الصراع قديم بين بعض الولاة الفاسدين والشعراء ، وعلى الرغم من كل المعلومات التاريخية التي تذهب الى تأكيد العدالة والحق في عهد عمر بن الخطاب ، فقد حدث الفساد في بعض نواحي الفتح •

ففي خبر صدر به أبو عبيدة (٢) كتاب " منافع الشعر ومضاره " • قال : كتب يزيد بن قيس الصعق الكلابي الى عمر رضي الله عنه (٤) :  
أبلغ أمير المؤمنين رسالةً      فأنت أمين الله في التهي والامر  
وأنت أمين الله فينا ومن يكن      آميناً لرب الناس يسلم له صدرى  
فلا تدعن أهل الرساتيق والقرى      يضيعون مال الله في الأدم الوفير (٥)

(١) : جامع الاصول ٤ ج ١٠ / ص ٥٧٣ - ٥٧٤ •

(٢) : هو عمر بن المثنى ، ١١٠ - ١٠٩ هـ أخذ عن يونس بن حبيب وأبي عمرو بن العلاء ، ولم يرد ذكر لهذا الكتاب في المصادر التي بين أيدينا الاعلام : ج ٨ / ص ١٩١ •

(٣) : وهو يزيد بن عمرو بن خويلد ( وهو الصعق ) ، انظر أخباره في الاعلام ج ٩ / ص ٢٤٠ •

(٤) : الا وائل ، أبو هلال العسكري • ج ١ / ص ٢٤٦ - ٢٤٧ / ، وانظر القصيدة باختلاف بسيط في : فتح البلدان ، البلاذري ص ٣٨٤ طبعة ليدن ١٨٦٦ ، والاصابة في تمييز الصحابة • ج ٢ / ص ٩٦ ، ج ٦ / ص ٣٦١ ، مطبعة السعادة بمصر ، القاهرة ، ١٣٢٣ هـ •

(٥) : الرساتيق : ج • رساتيق وهو السواد والقرى •

وارسل إلى جزء<sup>(٢)</sup> وأرسل إلى بشر<sup>(٣)</sup>  
ولا ابن غلاب<sup>(٥)</sup> من سراة بني نصر<sup>(٦)</sup>  
وذاك الذي في السوق مولى بني بدر<sup>(٧)</sup>  
وصهر بني غزوان<sup>(٨)</sup> إني لذو خبر<sup>(٩)</sup>  
وقد كان في أهل الرساتيق ذا ذكر<sup>(١٠)</sup>  
أحاديث هذا المال ذي العلم الذر<sup>(١١)</sup>  
سيرهم إن قاسمتهم ملك بالشر<sup>(١٢)</sup>  
أعيب ولكني أرى عجب الدهر<sup>(١٣)</sup>  
وماليس يخفى من قرام ومن سندر<sup>(١٤)</sup>  
ومن طي استار مصفرة حمير<sup>(١٥)</sup>  
من المسك راحت في مفارقهم تجري<sup>(١٦)</sup>  
فأني لهم وفر ولنا ذوى وفر<sup>(١٧)</sup>

فأرسل إلى الحجاج فأعرف حسابه<sup>(١)</sup>  
ولتسعين<sup>(٢)</sup> النافعين<sup>(٣)</sup> كليهما<sup>(٤)</sup>  
وما عاصم<sup>(٥)</sup> منا بصفر عنايه<sup>(٦)</sup>  
وأرسل إلى النعمان وابن مففل<sup>(٧)</sup>  
وشبل<sup>(٨)</sup> هناك المال وابن محرش<sup>(٩)</sup>  
فأرسل إليهم يصدقوك ويخبروا<sup>(١٠)</sup>  
فقا سمهم<sup>(١١)</sup> نفسي فداؤك ، إنيهم<sup>(١٢)</sup>  
ولا تدعوني للشهادة<sup>(١٣)</sup> النسي<sup>(١٤)</sup>  
أرى الحمر كالغزلان والبيض كالدمى<sup>(١٥)</sup>  
ومن ريطة<sup>(١٦)</sup> مكدونة في صيانها<sup>(١٧)</sup>  
إذا التاجر الدار<sup>(١٨)</sup> جاء بفجارة<sup>(١٩)</sup>  
تؤوب إذا أبوا وتغزوا إذا غزوا<sup>(٢٠)</sup>

- (١) : هو الحجاج بن عتيك الثقفي ، كان على الفرات .  
(٢) : هو جزء من معاوية ، عمّ الاحلف ، كان يلي السوق .  
(٣) : هو بشر بن المعتضر المري كان على جند نيسابور .  
(٤) : هما نافع بن الحارث ، كان على غنائم الأبلّة ، وهي بلدة على شاطئ دجلة  
أقدم من البصرة ، وأخوه : نفيح أبو بكر .  
(٥) : ابن غلاب خالد بن الحارث بن أوس من بني دهمان ، كان على بيت  
المال بأصبهان .  
(٦) : هو عاصم بن قيس بن الصلت الشلمي ، كان على المناذر وعلى الصدقة  
(٧) : هو سفرة بن جندب ، كان على سوق الأهواز .  
(٨) : هو النعمان بن عون بن فضلة من بني عدي بن كعب .  
(٩) : ابن مففل هذا هو ابن مففل المزني الذي نزل فيه : ( ما على  
المحسنين من سبيل ) التوبة ، آية ٩١ .  
(١٠) : صهر بني غزوان ، هو مجاشع بن مسعود .  
(١١) : هو شبل بن معبد البجلي .  
(١٢) : ابن محرش هو أبو مريم إياس بن صبيح ، كان على رامهرمزة .  
(١٣) : القرام : ستر فيه رقم وبقوش .  
(١٤) : الربطة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسيجاً واحداً .

فلما قاسمهم عمر أموالهم أجاب الكلابي ، الحارث الغلابي (١) :  
 أَبْلَغُ أَبَا الْمُخْتَارِ أَمَّا لِقَيْتَنَهُ  
 فما كان مالي من جباية خائين  
 ولكن عطاء الله في كل ركة  
 وصبري إذا حاد التجيد عن الوفي  
 فإن كنت للتصحر ابتغيت قصيدة  
 وإن كان من بغني فخرط نفاسية  
 فشكرني الحواء ذي الثوب المغري

ومن غير شك لو لم يكن لقصيدة يزيد الكلابي أثر كبير لما صالح  
 الخليفة عماله على أموال أخذها منهم ، ولما أرسل إليه الحارث  
 الغلابي يعلمه مصدر ثروته . وهذا يدل على الأثر الإيجابي  
 الكبير الذي فعلته قصيدة الكلابي ، فقد ظل عمر يسأل عن  
 أموال ولاته ، وعن مصدرها فيحاسبهم عليها ، ويسترد منها ما أخذوه  
 من بيت مال المسلمين .

ولما قلّد عمر بن الخطاب عمرو بن العاص على مصر بلغه أن قد ظهر  
 له مال كثير من ناطق ومأهت فكتب إليه : " أما بعد ، فقد بلغني  
 ما ظهر لك من كثرة المال ، ولم يكن ذلك في رزقك ، ولا كان لك قبل ،  
 ذلك " فأنت لك ذلك ؟ فوالله لو لم يهمني في ذات الله الأمن اختان  
 مال الله لكثرة همي وانتشر أمرى ، وقد كان عدى من الهاجرين الإولين  
 من هو خير منك ، ولكني قلدتك هذا الأمر رجاء غناك ، فإن كان  
 ذلك لك فأنا لا نؤمرك على أنفسنا ، فاكتب الي من أين لك هذا المال وعجل  
 ثم وجه إليه محمد بن مسلمة ، فسلمه شطر ما في يده من مال (٢)  
 وقد بلغ الشعر ذلك المبلغ بحثا عن الحق الضائع في مال المسلمين ،  
 فصار عبد الرحمن بن حنبل يناقش الخليفة عثمان بن عفان حساب في  
 المسلمين ، وبتهمة بتديده ، وتوزيعه بين أهله وخاصته :

وأحلف بالله جهد اليمين  
 ولكن خلقت لنا فتنة  
 دعوت الطريد فأديتكم  
 ماترك الله أمراً سدى  
 لكي يبتلي بك أو تبتلى  
 خلافا لما سنّه المصطفى

(١) : الاوائل ج ١ / ص ٢٤٩ .

(٢) : المقنن السابق : ص ٢٥٠ - ٢٥١ /

(٣) : الأغاني : ج ٦ / ص ٢٦٨ ، طبعة السائسي ، والاستيعاب في معرفة الأصحاب

حيدر أباد ١٣١٨ هـ .

وَوَلَّيْتُ قَرِيبَكَ أَمْرَ الْعَبَادِ      خِلَافًا لِسُنَّةِ مَنْ قَدْ مَضَى  
وَأَوْطَيْتُ مَرْوَانَ خُمْسَ الثَّمَنِ      أَفْرَتُهُ وَحَمِيَّتُ الْحَمِي  
وَمَالًا أَتَاكَ بِهِ الْأَشْعَرِيُّ      مِنَ الْفِي، أَعْطَيْتُهُ مَنْ دَنَا  
فَإِنَّ الْأَمِينِ قَدْ بَيَّنَّا      مَنَارَ الطَّرِيقِ عَلَيْهِ الْهُدَى  
فَمَا أَخْذَا دَرَهْمًا غِيلَةً      وَلَا قَسَمًا دَرَهْمًا فِي هَوَى

وفي أيام الامويين كان بعض الولاة يجرون ، ويرتشون ، مستترين وراء  
مناصبهم خادعين الشعب ، سارقين أمواله ، مستخفين بالدين وتعاليمه  
مستتدين على دعم الخليفة لهم ، وقد يفضح الشعراء أمثال هؤلاء ،  
فيصيح لزاما على الخليفة أن يقيله .

ومن عظم المقدرات أن يعصدي لهؤلاء الولاة شعراء لم يرههوا جانب  
الدولة ولم يخرسوا أصواتهم ، أو يسكتوا ، فأما طوا اللثام عن  
وجوه هؤلاء الولاة ، وفضحوا سلوكهم الفاسد بمومي يتم من معرفة  
واسعة لمجرى الأحداث .

كان معاوية بن أبي سفيان قد نصب عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي (١)  
واليا على الكوفة ، فكان سيئ السيرة فاسد الاخلاق والدين ، ظالما  
مهملا شؤون الفلاحين مما أدى الى خراب الاراضي الزراعية الخيرية  
فلا عمل ولا موسم .

وأحس الشعراء بوطأة الفساد ، وبموجة الغلاء ، فأظهروا غضبهم  
ونهبوا في شجرهم منهجا ثوريا ، فصوروا مصير العراق ، مدركين  
ارتباط الظواهر الاجتماعية بالبناء العام للمجتمع ، فرفعوا أصواتهم يعفون  
الاجساد وفضحون الجوانب السلبية ، ويدعون الى التغيير .

كتب عبد الله بن همام السلولي (٢) قصيدة في رقع ، ألقاها في المسجد  
الجامع في الكوفة جاء فيها :

أَلَا أَبْلِغُ مَعَاوِيَةَ بْنَ صَخْرٍ      فَقَدْ حَزَبَ السَّمَوَاتِ فَلَاسَوَادَا  
أَرَى الْعَمَالَ أَقْسَاءَ عَلَيْنَا      بِعَاجِلٍ نَفْعِهِمْ ظَلَمُوا الْعِبَادَا  
فَهَلْ لَكَ أَنْ تَدَارِكَ مَا لَدَيْنَا      وَخَدَّعَ عَنْ رِعْيَتِكَ الْفُسَادَا  
وَتَعَزَّلَ تَابِعًا أَبَدًا هَوَاهُ      يَخْرُبُ مِنْ بِلَادِهِ الْبِلَادَا  
إِذَا مَا قُلْتَ: أَقْصِرْ عَنْ هَوَاهُ      تَعَادَى فِي ضَلَالَتِهِ وَزَادَا

(١) : هو ابن أخت معاوية فأمه أم الحكم أخت معاوية ، ولد في عهد النبي (ص)

ولاه خاله الكوفة بعد موت زياد ، الإلام : ج ٤ / ص ٨٤ .

(٢) : أسد الغابة : ج ٣ / ص ٤٣٨ ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧١ م

فبلغ الشعر معاوية ، فعزله ، وولاه مصر ، ولكن الجماهير العربية في مصر كانت قد تسلمت بروية واقمية ، فخرج أحد زعمائها فاستقبله على مرحلتين من مصر ، وقال له : ارجع الى خالك ، فلعمرى لا تسير فينا سيرتك في إخواننا من أهل الكوفة ، فرجع الى خالك (١) " تدل تلك المقطوعة الشعرية على نهوض الوعي لدى بعض الشعراء عصرئذ كما تشير الى فكرة تميم لهذا الوعي يبرز في حركة عرب مصر الرافضة استقبال عبد الرحمن واليا من قبل الخليفة . وهي شاهد رئيسي على دور الأدب الايجابي في كشف سلبيات الولاة .

الها روية صادقة للمجتمع عصرئذ دولها الشعر الايجابي ، وهذا الادب " برويته الصادقة للمجتمع وبماذجه وشخصياته الايجابية يسهم في دفع حركة التقدم في المجتمع غير انه لن يكون بدلاً عن العمل الفعلي الواقعي لتطهير المجتمع وتثويره . . . . . ان الأدب قد يحض على الدرة وقد يدفع الجماهير الى تبني أفكار الثورة ، ولكنه وحده لن يصنع الثورة (٢) " .

وحديث المنظار التطوري للمصطلح يحل لنا مشكلة الواقعية الجديدة في مثل هذا الشعر الذي يفضح سلبيات الولاة والحكام . فأحياناً نقف في نقطة التقاء بين المظهرين ، القديم ، والحديث . ان فضح الظلم أمر ايجابي في مظهر العصرين ، والتحليل من تعاليم الذين التي تأمر بالعدل سلبية قطعياً عند الاقدمين ، ومسألة ثابتة عند من يهمهم العدل أياً كان مصدره حديثاً .

وعبد الرحمن بن عبد الله الثقفي الذي يقتصر آثاماً كثيرة بحق الفلاحين في سواد العراق ، وبحق الذين والسكان الاميين فاضح سلبياته هذه المرة حارثة بن بدر الذي يقول عنه (٤) :

لِئْلُةُ فِي هَوًى سَعْدِ بْنِ هَبَّارٍ	لِهَارِهِ فِي قَضَايَا أَفِيرُ عَادِلِكَةٍ
إِلَّا دَوْبًا ، دَوًى النَّحْلِ فِي الْغَارِ	مَا يَسْمَعُ النَّاسُ أَصْوَاتًا لَهُمْ عَرْضَتْ
كَأَسَاءُ يَكْأَسُ وَتَكَرَّرَ ابْتِكَارُ	يَدِينُ أَصْحَابَهُ فِيمَا يَدِينُهُمْ
حَتَّى الْمَطْيِ وَمَا كَانُوا بِسُفَّارِ	فَأَصْبَحَ النَّاسُ أَخْلَاقًا أَضَرَّ بِهِمْ

(١) : وهو معاوية بن خديج .

(٢) : أسد الغابة : ج ٣ ص ٤٢٨ ، دار الشعب ، القاهرة ١٩٧١ م .

(٣) : لاحظ البطل الثوري في الرواية العربية الحديثة ، احمد محمد عطية ص ٢٧ دمشق ١٩٧١ م .

(٤) : العقد الفريد : ج ٦ ص ٣٥٠ .

وثمة أمرهما ، من حيث الرؤية التي ترى مظاهر الفساد وتصورها دون أن تقدم حلا قاطعا ، سريعا ، ومباشرا ، انها رؤية غير واضحة تماما أو لقل غير مدركة تماما .

ويبدو أن الفساد قد عمّ وانتشر بين بعض السعاة الذين كانوا يجمعون الزكاة في نجد داخل الجزيرة العربية ١٠٠٠ مما جعل الشاعر الراعي يتضايق ، ويوجه شكوى سريعة الى الخليفة عبد الملك بن مروان ، يصف فيها سنةً جديدةً أصابت قومه بني نمير ،

وأخذوا يحسّون سوء واقصمهم ، ويرفضونه بعداد ونضال ، ليحسرو  
عليهم مدّ الظلم ، ويشرق فجر العدالة والسعادة ، حيث يقف الشعر  
حاجزا أمام ظلم الولاة .

والشاعر رجل ثائر أما الخليفة يقدم له الحقائق ، ويدعوه إلى  
تجريد السيف ، وجليد رقاب العمال الذئاب الذين ينهشون أموال  
الامة وأعراضها . كما في موقف كعب الأشقر (١) وهو يخاطب عمر بن  
عبد العزيز :

إِنْ كُنْتُ تُحْفَظُ مَا لِيكَ فَالْأَمَّا      عمال أرضك بالبلاد ذئاب  
لَنْ يَسْتَجِيبُوا لِلَّذِي تَدْعُو لَهُ      حتى تجلّد بالسيوف رقاب  
بِأَكْفٍ مَمْلُوتِينَ أَهْلَ بَصَائِرٍ      في وقصمهم مزاجر وعقاب (٢)  
ويبدو أن ظلم بني أمية شيء متفرق عليه تاريخيا ، فقد رى الطبري  
في تاريخه بعض روايات عن الولاة الامويين المقيمين على شؤون الخراج  
والزكاة انهم كانوا يستغلون وظائفهم في جمع ثروات ضخمة غير مراعيين  
إلا ولا ذمة . فالمهلب بن أبي صفرة مثلا ، حين صرفه الحجاج  
ابن يوسف الثقفي عن الاهواز ، كان قد احتجس لنفسه من بيت المال  
ستة آلاف درهم (٥) .

ويقال : إن راتب خالد القسري في ولايته على العراق كان عشرين  
ألف ألف درهم ، ولم يكن يكفيهِ كل هذا الراتب ، اذ كان يستوفي  
لنفسه - بوسائل غير مشروعة - ما يزيد على مئة ألف كل عام  
وقد استخرج منه ومن موظفيه يوسف الثقفي حين ولى يمدّه  
العراق سبعين ألف ألف (٦) .

وكأنه قد صار معلوما لدى الناس قاطبة أن الولاية على الامة  
أصبحت طريقا للسلب والنهب ، والسرقة والخيانة والغنى الحريص

(١) : هو كعب بن معدان الأشقرى من أزد عمان .

(٢) : البيان والتبيين : ج ٣ / ص ٣٥٨ / الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦٨ م .

(٣) : المتصلت : الماضي في الامر . البصائر : جمع بصيرة ، وهي العلم واليقين

(٤) : تاريخ الطبري : ج ٥ / ص ١٣٥ .

(٥) : تاريخ الطبري : ج ٥ / ص ٣٠٣ .

(٦) : تاريخ اليعقوبي : طبعة أهراب ج ٢ / ص ٥٥ و ٣٨٨ .



حتى نسمع أن ابن أبي أناس<sup>(١)</sup> يقول الحارثية بن بدر التميمي حين  
ولى على (سرق) إحدى كبر الامواز :

أحار بن بدر قد وليت إمارة فكن جرداً فيها تخون وتسرق  
وحين جاء عمر بن عبد العزيز أمر برفع المظالم ، والغاء الشتا<sup>(٢)</sup> ، ورفع  
النوان الضرائب الاستثنائية ، كما أمر بحط الجزية عن أسلم من  
الموالي ، وأرسل إلى الأطراف عمالاً جدداً ينفذون سياسته في  
إدارة الولايات بحرية يختارونها ، لا يشاهرونه إلا في أهم المهمات مما  
يشكل عليهم أموره<sup>(٤)</sup> .

كان لهذه السياسة خطرها إذ استغلها هؤلاء الولاة ، فبيدوا  
الكتاب واستحلوا المحارم ، فارتفعت شكوى الشعراء ، وددوا بفساد  
هؤلاء العمال وطمعهم .

وكان بعض من هؤلاء الشعراء يندد بسياسة عمر بن عبد العزيز  
فبي هؤلاء الولاة ، ويرحل إلى الشام ليرفع ظلامته أثر ظلامته ،  
ربما كان على المنبر فدخل عليه رجل فقال :

إن الذين بحثت في أقطارها      نبذوا كتابك واستحل المحرم  
طلس الثياب على منابر أرضنا      كل يجر وكلهم يتظلم<sup>(٥)</sup>

وانما كنى بغيرة الثياب عن قذارة نفوسهم فهم طلس الثياب ، وهم  
ظلمة جائرون .

ربما تبادر إلى ذهن العربي المعاصر أنها صيحات غضب عقيمة ، وهذا  
في منظرونا المعاصر . ولا شك أن سبب هذه المبادرة معرفتنا الوثيقة  
بالواقعية الشرة . ولكننا حين نتذكر أن أدب الواقعية الجديدة هو  
الوسيلة التاريخية لمعرفة الحياة معرفة موضوعية تبعث ذلك التيار .

ويمضي الشعر الإيجابي يبشر بالشرة ، ويدعو إلى الطاحنة برووس  
هؤلاء الولاة لينهي الظلم والفساد ، مثبتاً موجودية للشعر العربي الذي

(١) : لاحظ الشعر والشعراء : ج ٢ / ص ٧١٥ .

(٢) : المصدر السابق نفسه .

(٣) : الاغاني : ج ٩ / ص ٢٥٤ ، طبعة دار الكتب .

(٤) : الاسلام والحضارة العربية . محمد كرد علي ج ٢ / ص ١٧٢ ، لجنة التأليف  
والنشر والترجمة ، القاهرة ١٩٥٩ م .

(٥) : البيان والتبيين : ج ٣ / ص ٣٥٩ ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .

يشير الاهتمام ، وبقى في ذاكرة الاجيال بقوة اشعاع فيشكل جذورا للواقعية العربية الشريفة بما يجسده من فضح لقوى القهر ومحاربة دائمة لها ، ليأتي البديل الفعلي والواقعي الملائم للمجتمع حيث تنفسي علاقات الاستغلال ، ويسود العدل والحق .

ولكن طبيعة المرحلة التاريخية التي كانت الامة تمر بها جعلت الشاعر يوجه دعوة الاطاحة الى الخليفة لا الى الشعب صاحب القضية كما فسي المظاهر المعاصر .

وقد كان الشاعر كعيب الاشقرى يدرك أن العمال الذئاب في أطراف الدولة الاسلامية لن يستجيبوا لدعوة العدل التي طرحها الخليفة عمر بن عبد العزيز الا اذا حكم بالسيف رقابهم وقد مر بنا قوله :

إِنْ كُنْتُ تَحْفَظُ مَا لِيَّكَ فَإِنَّمَا عَمَّالُ أَرْضِكَ بِالْبِلَادِ ذُنَابُ  
لَنْ يَسْتَجِيبُوا لِلَّذِي تَدْعُو لَهُ حَتَّى تَجْلِدَ بِالسَّيْفِ رِقَابُ (١)

اننا لنفرض غمزا في مثل هذا الشعر العربي ، كما أن محاولة وضع هذا الشعر الموضع المطلوب تماما في منظار المعاصرة ليس مقبولا عقلا ومطلقا مادنا نؤمن بالتطور التاريخي لفن من الفنون ، ولكننا لا نستطيع اغفال مثل هذا الشعر وإكباره أيضا .

ويبدو أن مجموع هذا الشعر حرك شعراء القصور أيضا ليرفعوا أصواتهم بالشكوى ، لكننا الشكوى الذاتية ، للوصول الى المكاسب والمنافع الشخصية . فقد دخل جرير على عمر بن عبد العزيز ، وجعل يشكو ابن سعد الأزدي الذي تولى صدقات الاغراب وأعطياتهم ، ولكنه لم يتحمل هموم جماهير الاغراب ، بل صار يتحدث عن همومه الفردية وعن المفارقة بينه وبين ابن سعد ، فقال (٢) :

وَأَنَّ عِيَالِي لَأَفْوَكَهُ عِنْدَهُمْ وَعِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ سَكْرٌ وَزَيْبُ  
وَقَدْ كَانَ ظَنِّي بِابْنِ سَعْدٍ سَعَادَةً وَمَا الظَّنُّ إِلَّا مَخْطِئٌ وَمُضَيِّبُ

انها النزعة السلبية المفعمة بالروح الانانية ، فالشاعر يعلم علم اليقين

(١) : البيان والتبيين : ج ٣ / ص ٣٥٨ ، القاهرة ١٩٦٨ م .

(٢) : الكامل ، للمبرد : ج ٢ / ص ٦٥١ ، طبعة

القاهرة ، ١٩٣٧ م .

حالة الشعب المتردية ، والظلم الذى يلقاه الاعراب من ابن سعد وهو متخضم شبع ، ولكنه يريد المزيد من الرفاهية مثل ابن سعد هذا يريد مائدة خاصة مما تتناوله الاسر المشبعة في ليالي الشتاء جانب المدفأة أو تحت نجوم السماء في ليالي الصيف ، فيرفع صوته طمعا شرها مستعظفا . ولا غرابة في أقوال جرير وأمثاله من رواد القصور .

ان مجموع الشعر الايجابى الذى مررنا وأمثاله من المقطوعات المتناثرة في بطون الكتب نجونا للتحديث عن شخصيات قائلية ، فهي في مجموعها تمثل قوى التقدم الصاعدة عصرئذ ، والتي كانت تعبر عن مطالب الشعب ، و رغباته من جهة ، وتعكس لنا صورا مظلمة من تاريخنا أغفلها كتاب التاريخ الذين عاشوا تحت ظلال القصور الحاكمة من جهة ثانية .

ان مجموع شعر هؤلاء هو تيار الشعر الشعبى الذى أغفلته النظرية المدرسية للأدب . تلك التي وقفت عند القمم الشامخة من كل عصر متناسية ومتجاوزة كثيرا من الشعراء المؤرخين مسارب الاحداث الدقيقة الهامة ، دون اصغاء لاصواتهم العذبة .

كما أن هؤلاء الشعراء هم السدادات التي تسد الفجوات الواسعة التي نراها في تاريخنا السياسى أو الادبى . وبإمكان الباحث أن يجد كثيرا من هؤلاء الذين نطلق عليهم مصطلح (المجبوبين) وما أكثر المجبوبين الذين تحول ظروف عديدة دون بروزهم وظهورهم مما يجعل الدائرة الادبية ناقصة ، فتأتي ابحاثنا مبيلة على هذا النقص ، وهذا وجه الخطر في دراسة الادب من وجهة رسمية ، كما أن هذا هو أحد الاسباب التي من أجلها وجد هذا البحث .

وإذا بدت أهمية هذه المواقف واضحة هنا ، فإننا سوف نعود اليها حين نتناول المناحي الاقتصادية أيضا لا هيئتها هناك ، ولكن من وجهة أخرى .

## المناحي الفكرية

المحاكمة العقلية  
إظهار كلمة الحق وفضح الباطل  
الأخلاق الفاضلة

كانت دراسة الجوانب الحماسية والوجدانية في الشعر العربي دليلاً على أن دارسيه وناقديه لم يلقوا بالاهمية الفكرية في الشعر العربي ثم جاء ناس من الناس<sup>(١)</sup>، فدوسوا الفكر الاسلامي من خلال العقائد التي تؤمن بها الفرق الاسلامية .

وجاء بعض المعاصرين<sup>(٢)</sup> فكتب عن شعر الفرق الاسلامية ، باعتبار ميل الشعراء الفكري الى هذه الفرقة أو تلك ، وبيّنت دراسة الفكر في الشعر العربي بعيدة عن تناول الدارسين والباحثين مقتنعين بشوب الشعر العاطفي ، وبإيقاعه الموسيقي .

" على أن الادب بمدلوله العالمي العام لا يقتصر على ما تحركت فيه العاطفة ، وتجلّى فيه الايقاع الموسيقي ، وبرزت فيه الصياغة الفنية بل هو ما استقامت فيه هذه المزايا الى جانب الفكرة الطريفة ، والتحليل البارع ، والتكهن المبتكر<sup>(٣)</sup> " .

واذا كان الفكر تأملاً واجتهاداً للخاطر في الشيء ، فان هذا يعني أن تأمل في مجموع التراث الشعري منذ فجر الاسلام الى نهاية العهد الاموي ، ولكن " ليس الهدف هنا أن نلم بسكل خاطرة فكرية خطرت لشاعر لذلك يكفي هنا أن نعرض المجاري الرئيسية التي جرت فيها المبادئ الفكرية العامة<sup>(٤)</sup> " .

ولا شك أن المنحى الفكري في النثر أقوى منه في الشعر وأظهر ولكن هذا لا يعني أن الفكر ظل محصوراً في النثر ، كما أن حصره هنا ليس سهلاً كذلك . وما دامت الصعوبة الفكرية موجودة في كلا الصناعتين ، فانه لا بد من الاعتراف أن مرد هذه الصعوبة

(١) : الطل والنحل ، للشهرستاني ، لاحظ : الفصل في الطل والاهواء

والنحل ، لابن حزم الاندلسي ، القاهرة : ١٣٢٩ م .

(٢) : لاحظ الفرق الاسلامية في الشعر الاموي . د . النعمان القاضي

دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧٠ م .

(٣) : معالم الفكر العربي في العصر الوسيط . د . كمال يازجي ص ١٠٢ .

دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٤ م .

(٤) : المصدر السابق ص ١٠٥ .

يعود الى طبيعة الشؤون الفكرية . • وتستطيع حصر هذه الشؤون أكثر حين نذكر مرة أخرى بطبيعة المسارات التي أخذت بها هذه الدراسة من حيث وقوفها على نماذج ايجابية وسلبية .

فنبداً الحديث عن المداكمة العقلية من خلال الشعر ، ثم نتحدث عن القوة الفكرية في اظهار كلمة الحق ، وفضح الباطل ، ونلهمسي الفقرة بالحديث عن الصداقة الخالصة والاخلاق الفاضلة .

## المحاكمة العقلية :

عشية تمكن الاسلام وانتشر ، أوجد انتماء جديداً في اتباعه ،  
ورفض الانتماء القبلي ، والتغلب بالأسباب ، وجعل حسب المرء دينه  
وفعله الحسن (١) . وقد رأينا كيف عادت تلك الروح الجاهلية  
فتسربت الى المجتمع الجديد . وكيف عادت العصبية القبلية جذعية (٢)  
أمام هذا الواقع الجديد كان لابد من فرز في المواقف ولا سيما في  
الفكر أمام اختلاط المفاهيم القديمة بالجديدة . ثم صار التمسك بالخير  
أمراً ايجابياً ضرورياً يعزز من قيمة ما جاء به الاسلام من فكر خير  
ويدعم خط هذه القيم . كما يقاوم التيار الجاهلي الذي كان يحاول  
الاستمرار والتقدم .

فأمام مد الأساب المحرف الذي قوى تيار العصبية القبلية  
وقف أناس من المسلمين وأعلنوا انتماءهم الديني الاسلامي ، في محاولة  
لمقاومة ذلك المفهوم الجاهلي .

وليس عجيباً أن يظهر هذا التمسك من رجل صحابي كسلطان الفارسي  
(رض) فيؤكد أن الاسلام هو كل شيء في حياته ، واليه ينتسب اذا  
ماتتسب الناس كما يفعل التميميون والبكريون مثلاً ، ويعلن أن انتسابهم  
دعوى جاهلية ، وان من يدعو بها يأثم ، ويعيب الأدعياء الذين  
يلحقون أدعياء أمثالهم طلباً للحسب الرفيع فيقول (٣) :

أبي الاسلام لا أب لي سواه	إذا افتخروا ببكر أو تميم
بدعوى الجاهلية لم أجبهـم	ولا يدعوبها غير الأثيم
دعيت القوم ينصرون مدعيتهم	ليلحقه بذئ الحسب الصميم

وهذا يعني أن الشاعر مؤمن بالانتماء الديني الجديد على أنه الرابطة  
الجديدة التي تقوم عليها الأمة . وهذا موقف ايجابي اذا ما قارنناه  
بالمواقف الجاهلية التي رأيناها .

ولكن لا يبدو الامر غير عادي حين يصدر عن سلمان الفارسي  
الذي لم يكن له من قبيلة عربية . . . . . ومع ذلك ولعلنا أنه كان بامكانه

(١) : انظر الافتخار بالنسب في هذا البحث .

(٢) : انظر العصبية القبلية في هذا البحث .

(٣) : البصائر والذخائر لابي حيان التوحيدي . ج ٢ / ص ٦٠٠ ، مكتبة أطلس ، دمشق

أن يصبح قلبيا بالولاء ، ولكنه رفض هذا الامر وما به ، فالتنا نعتبر موقفه ردا حاسما على المواقف السلبية التي كانت تعود بالمفاهيم السيى مرحلة ما قبل الاسلام .

ومثل هذه الدعوة بالتمسك الانتمائي الى الاسلام تعتبر ايجابية عند الحركات الدينية الاسلامية المعاصرة ، وسلبية بنظر الدعوات القومية لكنها من أقوى المواقف الايجابية عصرئذ .

وقريب من هذا الامر ، موقف آخر اتخذه بعض الشعراء وذلك في قضية تشغيل العقل وتحكيمه في المفاهيم المتحكمة في حياة المجتمع ومخالفة الجمهور لاله على باطل ، قريب من هذا الموقف الذى اتخذه من يشحذ عقله ويعمل فكره في قضية عبادة الاصنام ، فقد جاء رجل يقال له خزاعي بن عبد نهم ، وكان يحجب صنما لمزينة يقال له : " نهم " ، وقف أمامه وحكم عقله فيه وفي الوهيته المزعومة ، فتوصل الى الحقيقة الموضوعية ثم كسر الصنم ، ولحق بالنبي (ص) فأسلم ، وهو يقول (١) :

ذهبت إلى نهم لأذبح عنده  
عشيرة نسك كالذى كنت أفعل  
فقلت لنفسى حين راجعت حزمها  
أهذا إله أبكم ليس يعقل  
أبيت ، نديني اليوم دين محمد  
إله السماء الماجد المتفضل

فبايع النبي (ص) وبايعه على مزينة (٢) . فهذه المقطوعة الفكرية هي خلاصة المحاكمة العقلية التي أجراها خزاعي حين جاءه ليقدم ذبيحته ، فأعمل عقله ، وواجه الأمور بجرأة وقوة نادرين تخالفان ما كان عليه الناس آنذاك . فقد سلف الفكر البالي ، ولخص قرار الحكم بمقطوعة تتم عن ايجابية حكمة يحتاجها المرء دائما في حياته ولا شك أن الانسان العربي المعاصر اذا أراد أن يتقدم نحو الحضارة المعاصرة ، فإنه من الواجب عليه الا يقدم على القيام بعمل مادن دراسة جديدة مبنية على قواعد موضوعية يعقها قرار قوى متزن ، وهذا ما نحتاجه كثيرا لاسيما في حياتنا السياسية المعاصرة ولا بد من الدعوة الى هذه المحاكمة العقلية المتزنة في حياتنا الفكرية

(١) : انظر كتاب الاصنام ، للكلي ، ص ٣٩ - ٤٠ .

(٢) : العثيرة : ذبيحة كانت تذبح للاصنام ، فيصب دمها على رأسها .

(٣) : أسد الغابة : ج ٢ / ١٢٣ ، دار الشعب ، القاهرة ١٩٧٠ م .



المعاصرة أيضا ، فترك كل ما هو موروث من التراث لا يملك الاصالته  
ولا المعاصرة ان كان دينيا أو اجتماعيا أو ماشابه ذلك .

واذا فكرنا حديث الجمود في العقلية العربية في كثير من المناحي  
فيما مر أو فيما سيمر بنا في تضاعيف هذا البحث ، عرفنا القيمة  
التاريخية لهذه المقطوعة وأمثالها لاسيما في بيان خطأ المفهوم الذى  
توصل الى المستشرق " رينان <sup>(١)</sup> " عن العقلية الاسيوية عامة ، والعربية  
مها خاصة .

ولم يكن موقف خزاعي من الاصنام بعد المحاكمة العقلية مزيدا ،  
بل ربما كانت هناك أصوات أخرى تفوق صوته في بيان زيف الموقف  
العبادى المتعلق بالاصنام . فقد طرحت هذه القضية في قالب  
شعرى فكرى فيه موازنة ومطالبة بأعمال العقل وترجيح الافضل .  
ولأنَّ الشعر أقدر على اقناع العربي ، ومن حيث أدعوة ملحة ،  
فان هذه الدعوة الفكرية تجد تجاوبا ، وتؤدي غرضا ايجابيا  
وقد سلك شedad بن عارض الجشمي هذا المسلك الفكرى في انتقاص  
قيمة الاصنام ودحرها اثناء سير رسول الله (ص) الى الطائف ، ورفع  
صوته مطالبا بخذلان اللات ، مؤكدا أن الله مهلكها ، ثم طرح  
سؤالا فكريا قوته تكمن في موضوعيته ، وسأل مستكرا بصير  
من ليس ينتصر ، ودعا الى هدرها ، وقال <sup>(٢)</sup> :

لا تنصروا اللات ان الله مهلكها	وكيف يُنصر من هو ليس ينتصر
ان التي حوت بالنار فاشتعلت	ولم يقاتل لدى احجارها هدر
ان الرسول متى نزل بداركم	يرحل ، وليس بها من أهلها بشر

ان أوليات الكسب الفكرى تقتضى الهدم والبناء بمعنى أن من يريد أن  
يكسب الناس الى صنفه فعلية أن يظهر سوء ما هم عليه من معتقد فيكون  
قد عمل على الهدم ليبدأ بناء ما يريد من جديد على قاعدة صلبة .  
واذا ما لدنا هذه الأوليات في هذه القطعة التي تطالب بالتخلي عن

---

(١) : في كتابه " تاريخ اللغات السامية المقارن "

(٢) : اسد الغابة : ج ٢ / ص ٥٠٨ ، دار الشعب ، القاهرة ١٩٧٠ م .

الاصنام للكلبى : ١٧ / ، وسيرة ابن هشام ج ٢ / ص ٤٨١ .

اللات ، بعد أن تظهر سلبيته ، وتهدم لتبني ، فالتا ندرك صحة المنحى الايجابى الذى سلكته .

ولكن أروع المقطوعات الشعرية العربية في باب المداكمة العقلية ، تلك التى سطرها أيمن بن خزيم . فطالما تألم المرء وهو يقرأ عن الدم المسفوح فوق كل كلمة وكل سطر من كتب التاريخ العربى (١) ولطالما تمنى أن تقع عيناه على خبر شخصية عربية اتخذت موقفاً ايجابياً من تلك المعارك الطاحنة بين العرب ، وانسحبت مستكبرة . وإذا كانت الحوادث الفردية لا تشكل ظاهرة عامة ، فالتا نستأنس ببعض تلك الظواهر الفردية ونحن نبحث في المداكمة العقلية ، للعمق هذا التيار الايجابى ، ونقوى احساس الشعراء العرب المعاصرين بأهمية هذا التيار ليشاركوا في دعم التلاحم العربى المعاصر .

حين قاتل مروان بن الحكم ، الضحاك بن قيس أرسل الى أيمن بن خزيم انا نحب أن نقاتل معنا . فقال : ان أبى وعمى شهدا بدرًا ، وانهما عهدا السى أن لا أقاتل أحد يشهد أن لا اله الا الله فان جئتني ببرائة النار قاتلت معك ، قال : اذهب . ووقع فيه ، وسبه فأنشأ يقول (٢)

ولست مقاتلاً رجلاً يملئى	على سلطان آخر من قريش
له سلطانه وعلى إثمى	معاذ الله من سفه وطيش
أقتل مسلماً من غير جرم	فلمست بنا فمى ما عشت عيشى

والحق أن المرء يشرح صدره حين يجد في الشعر رجلاً وفي ذلك الوقت يغمد سيفه ليوفر الدماء العربية ، ويبرأ الى الله من الدماء التى تنزف هنا وهناك . وقد استطاع أن يعطي الحكم ملخصاً في هذه المقطوعة ، وان ينحو منحى ايجابياً .

ولا شك أن هذه الصفة الايجابية تلك الديمومة عند كل دغلة السلام والخير والمحبة على مر العصور . ولا شك أيضاً أن أثرها السلبى عند مروان بن الحكم وأمثاله من الذين يقفون موقفه من شاعرنا خلال التاريخ أثر واضح .

(١) : لاحظ تاريخ الطبرى :

(٢) : أسد الغابة : ج ١ ص ١٨٩ ، طبعة دار الشعب ، القاهرة ١٩٧٠ م

وقيل : ان عبد الملك بن مروان هو الذى دعاه الى قتال ابن الزبير وأغراه

بالمال فرفض . ابن سعد ج ٦ / ص ٢٥ كتاب الطبقات الكبرى ، ليدن ١٣٢٣ هـ

كما أن هذا الموقف ايجابي بالنسبة للمسلمين ، وغير المسلمين من  
المؤمنين عامة ، وهو يملك الاصاله ، والمعاصره ، كما أن فيه روحا  
قانونية تمنع القتل في غير جرم يستوجب •

---

إظهار كلمة الحق ، وفضح الباطل :

=====

من المفاهيم الفكرية الجديدة التي جاء بها الاسلام ، الاجهار بالحق وفضح الظلم وقد اعتبر سيد الشهداء رجلا قام الى حاكم ظالم<sup>(١)</sup> فنهزه . هذا المفهوم المتصور يدخل ميدان العمل السياسي أكثر من المجال الفكرى لكنه يتم عن العقلية السليمة وهو عنوان الخصب الحضارى في الامم .

فالامة التي لا يوجد بين أفرادها من يقول للحاكم اذا أخطأ أخطأت لا خير يرجى منها ولا امكانية لها في النهضة والتحرر ، لان الطغيان ، الفردى سوف يشل حركتها وقدرتها ، وعقول مفكرتها وباحثيها . ومن حسن حظ هذه الامة العربية أن بعضا من شعرائها ، خلال فترة من حياتها السياسية كان يرفع صوته عاليا في وجه السلطة الجائرة الظالمة ليقول كلمة حق عند سلطان جائر ، ومن أبرز هذه المواقف ما تبناه بعض المفكرين من الشعراء السياسيين ، وما جاء غفر الخاطر من مظلومين في حضرة الخليفة أو الامير .

ومن المواقف الاولى قول الكيميت<sup>(٢)</sup> الشاعر الشيعي في مخاطبة حكام

بني أمية :<sup>(٣)</sup>

فقل لبني أمية حيث حلوا	وان خفت المهدد والقطيع <sup>(٤)</sup>
أجاع الله من أشبعتموا	وأشجع من بجواركم أجيعا
بمرضي السياسة هاشمي	يكون حيا لامته ربيعا <sup>(٥)</sup>

فهذه المقطوعة صوت ايجابي يرفع في وجه السلطة داعيا الناس الى تحدى الظلم والقهر ، وربما كان هذا الصوت يحمل وجها سلبيا عند دعاة الواقعية الاشتراكية ، وذلك لانه في جزء منه يقوم على الدعا بتجويد اتباع الدولة الاموية وباشباع الجياع الذين ظلمهم الامويون فيسحب اليد الانسانية الفاعلة ، ويفرغ المسألة من وجهتها الحقيقية ، حيث كان من الواجب أن يدعو الى مقاومة السلطة الجائرة لاضادة

(١) : كما في الحديث " سيد الشهداء حمزة ، رجل قام الى حاكم ظالم فنهزه فقطه "

(٢) : انظر ترجمته في الاغانى ( ط . السايي ) ج ١٥ / ص ١٠٨ ، والشعر والشعراء

ج ٢ / ص ٥٦٢ .

(٣) : البيان والتبيين ، لاحظ ج ٣ / ص ٣٦٥ .

(٤) : القطيع ، السوط ، يقطع من الجلد .

(٥) : حيا : أى بمنزلة لحيا ، وهو المطر تحيا به الارض .

الحق الى اصحابه • ومع ذلك ، فلا نكران انه صوت ايجابي في العصر الاموى •

ومن المواقف الثانية التي جاءت غفوا لخطر ، تلك القوة الايجابية والقدرة على تغيير نوايا الحاكمية ، قطعة شعرية لفاتة تدعى لرجل يقال له أسلم بن عبد البكرى ؛ اذ كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره بقتله لشيء بلغه عنه فأحضره الحجاج وقال : أمير المؤمنين غائب وأنت حاضر والله تعالى يقول : " يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين <sup>(١)</sup> " • والذي بلغه عني باطل ، فاكذب الى أمير المؤمنين أبي أعول أربعاً وعشرين امرأة وهن بالبناب فأحضرهن فهذه أمه ، وهذه عمته وزوجته وابنته ، وكان في آخرهن جارية قاربت عشرين سنة فقال لها : من أنت من هذه ؟ قالت : ابنته أصلح الله الأمير ثم أنشأت تقول <sup>(٢)</sup> :

أحجاج لم تسد مقام بناته	وعماته يلد به الليل أجمعاً
أحجاج لم يقبل به أن قتلته	ثماناً وعشرًا واثنتين وأربعاً
أحجاج من هذا يقوم مقامه	عليها فمها أن تزدا تضعفها
أحجاج أما أن تجود بنعمة	عليها وأما أن تقتلها معها

فبكى الحجاج وقال : والله لأعنت عليك ولا زدتك تضعفها • وكتب الى عبد الملك بن مروان بخبر الرجل والجارية ، فكتب اليه عبد الملك : ان كان الامر كما ذكرت فأحسن صلته وتفقد الجارية ففعل <sup>(٣)</sup> فهذه القطعة الشعرية تلك القوة الفكرية المفيضة ، حيث نجد فيها بيان منزلة الرجل وما يعيل ، وبيان مصير الجسم العائلي التي يعيلها ان هو قتل ، وتختتم بالحجة والمنطق • وكفاها أنها انقضت حياة انسان كان موته محتملاً لما فعلته من تغيير ايجابي ، وأنها وقفة أعظم المحامين الطميين بقضية صعبة لا يرتجى منها أى أمل يذكر ، تنتهي بمرافعة مؤثرة تهز القاضي والجمهور وتحرك القانون لمصلحة

(١) : سورة : الحجرات ، الآية ٦

(٢) : الكامل في التاريخ ، ابن الاثير ، ج ٤ / ص ٥٨٥ — ٥٨٦ •

(٣) : المصدر السابق نفسه •

قضيته ، فيكسب القضية بعد أن فقد الأمل فيها .  
ومن المحتم لو أن الرجل كان قاتلاً حقاً ، أو مجرمًا فعلاً ولجأ من  
عقوبة الحق العام بفعل الأثر الذي خلفته تلك القطعة لكان وقعها ومساها  
سلبياً مؤلماً يشجع الأجرام ويخفف من قيمة القانون .

وأحياناً يستطيع بيت واحد من الشعر أن يحقق الغرض الذي يريد  
صاحبه . فيأخذ جانباً إيجابياً خاصاً . وقد استطاع شاب من الأنصار  
أن يقف أمام عمر بن الخطاب ويقول (١) :

أذكر بلأني إذا فاجأك ذوسفه يوم السقيفة والصدّيق مشغول (٢)  
وكان الفتى قد رد عن عمر قول سفيه من موالي الأنصار كلاماً أغلظ  
فيه لعمر بن الخطاب ، فقال عمر : أنا ذاكر لبلائك ثم قال بأعلى صوته :  
ألا إن هذا رد عني سفيهاً من قومه يوم السقيفة ، ثم حمله على نجيب  
وزاد في عطائه ، وولاه صدقة قومه وقرأ عمر : " هل جزاء الإحسان  
إلا الإحسان " (٣) .

وأحياناً تأتي قطعة شعرية إيجابية لتقاوم مفهومًا سلبياً عاماً ، وتخرج  
عن الواقع المادي الخاص ، تدافع بشعرها عن واقعة عامة تهم الأمة  
الاسلامية كلها . وتسعى إلى تحقيق منفعة روحية .

فهذا عبد الله بن كثير السهمي يسمع عمال خالد بن عبد الله  
القسري يلعنون علياً والحسين على المنابر ، فيرفع صوته مدافعاً  
عنهم ، مخترقاً سلطانهم ، متناسياً ما قد يلحقه من أذى جراء جرأته  
ورده عليهم ، مقابل أن يتقرب إلى بيت آل النبوة ، فيكسب لديهم  
خطوة ، تنفعه بشفاعته يوم لا شفيع إلا بأذنه ، فيقول (٦) :

لعن الله من يسب علياً وحسيناً من سوقة وأمام  
أيسب المطيبون جدوداً والكرام الأخوال والأعمام (٧)

(١) : البصائر والذخائر ، أبوحيان التوحیدی : ج ٢ / ص ٨١٧ .

(٢) : وهو أبابكر الصديق ، الخليفة الأول .

(٣) : سورة الرحمن : ص آية ٥٥ .

(٤) : انظر أخباره في : البيان والتبيين : ج ٣ / ص ٣٥٩ - ٣٦٠ / .

(٥) : عامل الموبين على العراق .

(٦) : البيان والتبيين : ج ٣ / ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٧) : في معجم المزياني : " أتسب المطيبين " بالخطاب .

يأمن الظبي والحمام ولا يأمن  
طبت بيتا وطاب أهلك أهلا  
رحمة الله والسلام عليهم  
من آل الرسول عند المقام<sup>(١)</sup>  
أهل بيت النبي والاسلام  
كلما قام قائم بسلام  
ويلجأ الشاعر الى تعميق الاحساس بالواقع المؤلم فيقارن بين واقع  
بيت آل النبوة بما يحيطهم من ظلم ، وأمان للطير والحيوانات ...  
ومن المواقف الايجابية الفكرية في اظهار الحق ، ودع الباطل بعض  
الوقائع الطريفة التي يفضحها الشعر ، والتي تكشف زيف بعض المتسكين الذين  
يخدعون الناس بمظهرهم .

روى أبو الفرج أنه كان لرجل يقال له حمزة بن بيض صديق  
من عمال بن هبيرة فاستودع رجلا ناسكا ثلاثين ألف درهم ،  
واستودع مثلها رجلا ببيزيا ، فأمسك الناسك فبنى بها دار وتزوج  
النساء وأنفقها وجدها ، وأما الببيزي فآدى اليه الامانة فبي  
ماله ، فقال ابن بيض فيه<sup>(٢)</sup> ما :

الا لا يغرك ذو سجدة	يظل بها دائبا يخدع
وبالتقى لزميت وجهه	ولكن ليأتي مستودع
كان بجبهته حللية	يسبح طورا ويسترجع
ثلاثون ألفا حواها السجود	فليست الى ربها ترجع
ودأخو الكأس ما عنده	وما كنت في رده أطمع

فلا يغرن الناس رجل يطنطن بالصلاة ، وإنما الحكم الفصل في صلاح  
اخلاقه في معاملته حيث يكون الدرهم والدينار كاشفا مدى هذا الصلاح .  
وبالمقابل فلا يظلم الناس رجلا قاده قدره الى حان يعاقر فيها كرووس  
الراح ، فربما كان أمينا مخلصا وفيما في معاملاته مع الناس ، وهذا ما يهتم المجتمع  
وهذا أيضا مفهوم فكرى ايجابي يملك المعاصرة في وقت يحتاج  
فيه الناس الى معاملة المرء لا الى ركعاته التي يعود نفسها  
عليه شخصا .

(١) : المقام : الحرم .

(٢) : العقد الفريد : ج ٦ / ص ٣٦٥ .

## الاخلاق الفاضلة :

=====

حين جاء الاسلام ، أحدث نقلة كبيرة بين الاخلاق السائدة ، في الجاهلية ، والاخلاق التي جاء القرآن يبشر بها ، وكان الرسول يدعو اليها ويثلبها ، بالشهادة الكبرى التي أنزلها الله تعالى :  
 " وانك لعلى خلق عظيم <sup>(١)</sup> " .

والناظر في هذه القصيدة ، كالناظر في سيرة رسولها ، يجد العنصر الاخلاقي بارزاً اصيلاً فيها ، تقوم عليه أصولها التشريعية وأصولها التهذيبية على السواء . . . .

والدعوة الكبرى في هذه العقيدة الى الطهارة والنظافة والامانة والصدق والعدل والرحمة والبر وحفظ العهد ، ومطابقة القول للفعل ، ومطابقتها مع النية والضمير ، والنهي عن الجور والظلم والخداع والغش وأكل أموال الناس بالباطل ، والاعتداء على الحرمات والاعراض ، واشاعة الفاحشة بأية صورة من الصور . وقد لخص الرسول (ص) رسالته في هذا الهدف النبيل . " انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق <sup>(٢)</sup> " .

وهذا ما يفسر اتجاه الشعراء المتأثرين بالروح القرآنية الى الاخلاق الفاضلة لانها الدعامة الاولى في بناء كل مجتمع سليم <sup>(٣)</sup> . وقد أظهر الشعر الفكري الايجابي أصولاً عالية في الاخلاق ، مستمدة من الروح الاسلامية . كما أظهر <sup>الشعراء</sup> معرفتهم بأخلاق الناس المتباينة وعمقوا احساس المجتمع بها ليأخذوا بالطيب منها ، وتجنبوا الخبيث ، على شاكلة قول أبي البلاد الكوفي :

وانا وجدنا الناس عودين طيبا      وعودا خبيثا لا يبض على العنبر <sup>(٥)</sup>  
 تزين الفتى أخلاقه وتزينه      وتذكر أخلاق الفتى وهو لا يدري

(١) : سورة القلم : آية ٤ .

(٢) : في ظلال القرآن ، ج ٨ / ص ٢٢٢ - ٢٢٣ / .

(٣) : انظر : روح الدين الاسلامي ، عفيف عبد الفتاح طيارة ، ١٩٩٩ ، ط ٢

بيروت ١٩٦٩ . دار العلم للملايين .

(٤) : هو شاعر أعمى جيد اللسان ، كان من أروى أهل الكوفة ، مولى لمبدالله

ابن غطفان وهو غير أبي البلاد الطهوي .

(٥) : يبض : يخرج منه ماء

(٦) : البيان والتبيين : ج ٣ / ص ١٠٤ .



والدعوة الى الاخلاق الفاضلة عند بعض الشعراء أثر من آثار التغييرات التي أحدثها الاسلام . وقد عمل صفاء كثير من نفوس شعراء المدر والوبر الذين صاروا يستشعرون المعاني الاسلامية الروحية على التقيد بما جاء به الاسلام من أخلاق فاضلة جعلتهم يدافعون عنها في شعرهم .

وقد لجأ بعضهم الى كشف الاخلاق السيئة عن طريق فضح أصحابها وتعميق الاحساس بسلبية أخلاقهم . ففي الغيبة والنميمة يقول سويد بن أبي كاهل اليشكري (١) :

بئس ما يجمع أن يفتا بـني      مَطْعَمٌ وَخَمٌّ وَدَاءٌ يَسْذَرُعُ (٢)  
ويحسني إذا لا قيتـه      وإذ يخلـوله لحمي رتـعُ (٣)

فهذا يولد ردة فعل تعمل على ببذ هذه القيمة السلبية السيئة . وقد كان القرآن عالـجها . فذم الذين يتعرضون للناس في غيابهم قدحا وذما ، واعتبرهم كأنهم يأكلون لحم ميت . . . . . زيادة في التفسير وفضحا لهذه المواقف السلبية فقال : " يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه (٤) " .

فهذا التصيير العجيب الذي ينهي عن الغيبة يبدعه القرآن ابدا عا رائعا حين يعرض مشهدا تتأذى له أشد النفوس كثافة وأقل الارواح حساسية ، مشهد الاخ يأكل لحم أخيه . . . . . ميتا . . . . . ثم يجادرفيعلن عنهم أنهم كرهوا هذا الفعل المشير للاشمئزاز وأنهم اذن كرهوا لاغتياب (٥) .

ثم لجأ بعض الشعراء الى فضح سلبيات هؤلاء المغتابين بمواقف ايجابية تشكل سـياجا فاضلا حول المجتمع الجديد . وكان الحكماء من الشعراء يثبتون هذا الامر في شعرهم ويثبون أفكارهم هذه في كل مكان ، وقد توفرت بعض هذه الصفات لدى الشاعر سويد بن الصامت (٦) الا نضاري ، فكان يـقـول (٧) :

(١) : انظر ترجمته في الشعر والشعراء ج ١ / ص ٣٨٤ ، والاغاني ، طبعة دار الكتب

ج ١٣ / ص ١٢ ، والخزانة : ج ٢ / ص ٥٤٦ .

(٢) : الفضليات : ص ١٩٠ وقوله : وخم : غير مي ، ويدرع : يلبس .

(٣) : رتـع : أكل بنهم .

(٤) : سورة الحجرات : آية ١٢ / .

(٥) : في ظلال القرآن : ج ٧ / ص ٥٣٥

(٦) : انضاري بن الاوس ، وكان قومه يدعونه الكامل لحكمته وشرفه .

(٧) : اسد الغابة : ج ٢ / ص ٤٨٩ - ٤٩٠ ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٠ م

ألا رب من تدعو صديقاً ولو ترى  
مقالته كالشَّهيد ما كان شاهداً  
يسرك بأدبيه وتحت أديمه  
تبين لك العينان ما هو كاتم  
فرشني بخير طالما قد بويستني  
وخير الموالي من يريش ولا يبرى

فالقيمة الإيجابية الرائجة في هذه القطعة تظهر في مقاومة العنصر  
الديني الذي يضر بالأخلاق وهي دعوة إلى تطهير القلوب من مثل  
هذا الاتجاه اللئيم الذي يحل على تتبع عورات الآخرين ، وكشف  
سرايتهم تمشياً مع أهداف الإسلام في نظافة الأخلاق وطهارة القلوب  
وقد تشدد الرسول الله (ص) في هذا الأمر متمشياً مع الأسلوب  
القرآني العجيب في إشارة الأشمزاز والفرع من شبح الغيبة البغيض  
فقال ، وقد سأله أبو هريرة : يا رسول الله ، ما الغيبة ؟ قال (ص)  
" ذكرك أخاك بما يكره " . قيل : أفرأيت أن كان في أخي ما أقول ؟  
قال (ص) : " أن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وأن لم يكن فيه ما تقول  
فقد بهتته " (٧) .

ومن الواضح أن الشاعر في القطعة السابقة متأثر بهذه التعاليم  
الإسلامية الفاضلة التي ترد على الذين يطعنون بالإسلام ، ويزعمون  
أنه خال من الأخلاق (٨) .

- (١) : يبرى : يختلق .
- (٢) : المأثر : السيف .
- (٣) : تبرى : تخت ، والعقب : العصب .
- (٤) : الشز : هو النظر بمؤخرة العين ، وأكثر ما يكون في حال الغضب ، وإلى الأعداء
- (٥) : راشه : قواه وأعانه على معاشه وأصلح حاله ، والبرى : اللاحث  
والقطم .
- (٦) : انظر سورة الحجرات في التفاسير القرآنية .
- (٧) : رواه الترمذی وصححه . جامع الأصول ، ج ٨ / ص ٤٤٧ ، الكتاب الخامس في  
الغيبة والديممة .
- (٨) : لاحظ موقف " البحث عن الدين الحقيقي " تأليف المسليو زكولي ، والرد عليه  
في كتاب روح الدين الإسلامي ، عفيف عبد الفتاح طبارة . ص ١٩٩ .

وبما امتد سورهذه التعاليم ليشمل بعضا من الشعراء الذين ظلوا على دينهم ، وغرفوا بحسن الاخلاق ، وسعة الافاق والارشاد كما كان شأن أبي زيد الطائي<sup>(١)</sup> وهو يدعو الى التمسك بالاخلاق الفاضلة الراقية ، وعدم الانسلاخ منها حين تسلّم امارة أو منصب ما ، يقول<sup>(٢)</sup> :

إذا نلت الإمارة فاسم فيها إلى العلياء والحسب الوثيق  
فكل إمارة إلا قلـــــــيلا مغيرة الصديق على الصديق

ألا تلاحظ مصي أن هذين البيتين وثيقة ايجابية من جانبين ؟ فالجانب الاول فيه كشف لسيرة بعض الامراء السلبية ممن كانوا يستخدمون الامارة لمصالحهم الشخصية وينسلخون عن اخلاقهم الفاضلة التي كانوا عليها . والجانب الثاني : وليد الجانب الاول وفيه دعوة حارة الى التمسك بالاخلاق الفاضلة قبل وبعد تولي الامارة . فلطالما غيرت الامارة اخلاق الاصدقاء حتى عن اقرب اصدقائهم ، وبعيدا عن الشرح الادبي ، وعلى ضوء الدراسة الاجتماعية والتاريخية يكون هذا الشعر وثيقة تدين كثيرا من أعمال الولاة في عصر الشاعر . وبعد ذلك يطالب بسيرة حسنة ، وبسلوك معتدل كيلا يبدر ضعيفا فيتضعع ، أو جلفا لا تقبله النفوس ، ويضرب مثلا عن السيرة الحسنة مع الاصدقاء<sup>(٣)</sup> فيقول

فلاتك عندها حلوا فتحسى ولا مُرّاً فتتشبب في الحلق  
أعاتب كل ذي حسب ودين ولا أرضى معاتبة الرقيق  
وأغض للصديق عن المساوى مخافة أن أعير بلا صديق<sup>(٤)</sup>

هذه أيضا مقطوعة فيها حس فكوى متزن يملك قوة المعاصرة فالمعاناة من الانسلاخ الطبقي ظاهرة تعاني منها بعض الاحزاب ، ولا سيما الاشتراكية منها . كثر أولئك الذين كانوا على جانب من الاخلاق الفاضلة العالية ، يعطفون على الفقراء والمساكين ، ويدعون الى اصلاح حالهم والوقوف الى جانبهم ، فيتأمل المجتمع كل خير منهم ولكن ما يكاد أحدهم يستلم منصبا أو مركزا ما ، حتى ينسلخ من واقعه ومجتمعه القديم ، فينسى الفقراء والمعوزين ، ليدور في فلك الطبقات الثنية التي كان ينقدها ويراهها آكلة حقوق الفقراء .

(١) : وهو المنذر بن حرمة من طيء أدرك الاسلام ، ومات بصرايا ، معمر ، له شعر جيد ، انظر أخباره في الشعر والسعراء ص ٥٧ ، والاغانى ج ٧ ص ٢٤ ، طبقات فحول الشعراء ، ص ٥٠٥ .

(٢) : البصائر والذخائر ، أبو حيان التوحيدي ، ج ١ ص ١١٤ .

(٣) : المصدر السابق نفسه .

(٤) : نسب هذا البيت في عيون الاخبار : ج ٣ ص ١٦ الى ابن الاعرابي .

ومن أجمل ما خلفه الفكر الايجابي من قيم هامة ، الدعوة الى بعث روح العمل ، والسعي وراء الحرية في بعض أشكالها . . . . . فقد تضيق البلاد بالمرء لئذ يلاقيه فيها أوحزن يعاني منه نتيجة ضيق الخناق حوله ، فيفكر في حل لواقعه فلا يجده الا في الهجرة الى بلاد الله الواسعة ، حيث يجد خلاصا مما يعاني . وهذا ما سجله الشاعر عبدالله بن الحارث بن قيس القرشي في قوله :  
 انا وجدنا بلاد الله واسعة      تنجي من النذل والمخزاة واليهون<sup>(٢)</sup>  
 فلا تقيموا على ذل الحسبية      ولا خزي المات وغيب غير مأمون<sup>(٣)</sup>  
 فالشاعر هنا كان يستهدي في قوله أي الذكر الحكيم التي تدعو الى الهجرة من دار الكفر بالدين والعزة والحرية ، كما في قوله تعالى : " ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم . . . قالوا : فيما كنت ؟ قالوا : كنا مستضعفين في الارض ! قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة ، فتهاجروا فيها ؟ ! " فالقرآن هنا يعالج نفوسا بشرية ، ويهدف الى استجاشة عناصر الخير والبرورة والعزة فيها ، والى مطاردة عوامل الضعف والشح والحرص<sup>(٥)</sup> . أما السياق الشعري في مواجهة الهجرة ، فجانبه الايجابي لا يملك المعاصرة اذا كانت المواجهة في مقدم من يعاني من النذل والمخزاة واليهون ممكنة الوقوع .

ووجه الاختلاف بين الهجرة التي دعا اليها القرآن ، والهجرة التي دعا اليها الشاعر ، أن الاولى هي الهجرة المعتبرة في الاسلام ، هجرة بالدين والايمان والثانية هجرة بالحرية ودعوة الى استبدال العزة بالنذل والكرامة بالخزي واليهون . وهي قريبة من دعوة الشفري الى الرحيل عن موطن الذل والهوان في قوله :<sup>(٦)</sup>

(١) : وهو الشاعر المعروف بالمبرق ، لبيته الذي يقول فيه :  
 اذا أنا لم أبرق فلا يسعني      من الارض بر ذوقها ولا بحر  
 (٢) : في السيرة :

فلا تقيموا على ذل الحياة وخز      في المات وغيب غير مأمون  
 (٤) : سورة النساء ، الاية ٩٧ .

(٥) : في ظلال القرآن : ج ٢ / ص ٥٠٠ .

(٦) : أمالي الغالي : ج ١ ، ص ١٥٥ ، الطبعة الثالثة ، وهناك شك في نسبتها

الى الشفري لكنها في الباب الذي نتاوله على حل حال .

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فاني الى أهل سواكم لا مـجـيل  
وفي الارض منأى للكريم عن الاذى وفيها لمن خاف القلى متعزل  
روح المغامرة هذه تخلص المرء من المضايقات التي تحيط به ، بدرجة  
قدرها ثلاثمئة وستون من المئة دون أن يجد منفذا ومخرجاً ما هو  
فيه ، ولا شك أن الملجأ المطلوبة هنا ، فتكون ايجابية هذه الدعوة  
انها تعزز فكرة الهجرة طلباً للافضل وخلاصاً من الشر .  
وقد يكون العجز والضعف والهوان مسيطران على المرء ولا يشعر بميل  
الى الهجرة تجاة بنفسه من كل هذه المعوقات الفكرية والاقتصادية  
والاجتماعية .

ربما كانت الحاجة الاقتصادية ماسة ، وهناك ضرورة في الرحيل لكن  
المرء لا يجد مشجماً أو دافعاً على الهجرة في سبيل التماس الغنى  
والتخلص من الحوز . هذه الظاهرة السلبية تحتاج الى نوع من الشعر  
يبدها ، ويولد قدرة في المرء وطاقته ايجابية كبيرة وقد ذكر أبو حيان  
التوحيدى بيتاً من هذا الشعر جاء فيه (١) :

فَسِرْ في بلاد الله والتمس الغنى تحشّ ذا يسار أو تموت فتمذرا  
وقد ذكر أن هذا البيت قد بيّنت أكثر من مئة ألف في المساجد (٢)  
وهو يريد أن الناس يضربون في الارض من أجل المال فينامون في  
المساجد .

في نهاية هذا الموضوع ، نشير الى أننا تحدثنا عن أكثر الخواطر  
والافكار التي كانت تصور مظاهر العقلية الجاهلية عن حلم وحكمة  
ودعوة الى العلم والفلسفة . فقد استمرت هذه القيم على شاكلة ،  
خطرات فلسفية مبثوثة في كثير من دواوين الشعر الاسلاميين .

الا أن الجديد في بعض هذه الخطرات عند بعض الشعراء ، هو  
جمع بين الحلم والاسلام ، فيعتبرهما وزعاً مشتركاً للانسان ، وقد

(١) : البصائر والذخائر : ج ٢ / ص ٧١٠ / والبيت في عيون الاخبار ج ١ / ص ٢٤٣

غير منسوب وقبله :

إذا المرء لم يكسب معاشاً لنفسه  
وهار على الدين كلاً وأوشكت  
وما طالب الحاجات من حيث يبتغي  
فلا ترض من عيش بسدون ولا تنم  
شكا الفقر أو لاقى الصديق فأكثر  
صلات ذوى القربى له أن تتكبرا  
من الناس الا من أجعد وشعرا  
وكيف ينام الليل من كان مغسراً

(٢) : البصائر ، والذخائر : ج ٢ / ص ٧١٠ .



## المناحي الاقتصادية

- بداية الاقتصار العربي في الدولة الإسلامية
- تصوير الواقع السلبي الذي خلفه التناقض الطبقي
- فضح أصحاب الخراج وأصحاب الصدقات

## في المناحي الاقتصادية :

=====

الاصل من القصد في المعيشة ألا ينسرق الانسان ولا يقتل<sup>(١)</sup> .  
والاقتصاد هو العلم الذي يتناول تفسير الحياة الاقتصادية وأحداثها  
وظواهرها ، وربط تلك الاحداث والظواهر بالاسباب والعوامل العامة  
التي تتحكم فيها<sup>(٢)</sup> .

ومن الملاحظ أن الحديث عن أي مذهب اقتصادي لا يمجّع هو  
حديث عن الطريقة التي يفضل المجتمع اتباعها في حياته الاقتصادية  
وحل مشاكلها العظيمة<sup>(٣)</sup> .

— بدايات الاقتصاد العربي في الدولة الإسلامية :

قد يكون بعض العلماء المسلمين دون دراسة عن النظام الاقتصادية  
أو عبّر عن الواقع الاقتصادي الذي كان سائدا بالنظام . ويحتمل أن  
تكون تلك المدونات قد اندثرت أو اختفت ولم يسمح لها بالظهور  
تحت تأثير قوة أوساطة الأغنياء الحاكمين من أمراء وخلفاء ، " وبما  
اتخذوا القهر وسيلة لذلك ، أولم لهم اتخذوا المال والعطايا يتقدمونها  
للعلماء ليتحكموا في أقلامهم ، وسيطروا على عقولهم<sup>(٤)</sup> " .

وبما كان هذا هو السبب الرئيس الذي جعل ظهور علم الاقتصاد  
السياسي في الفكر العربي غير واضح ، كما يجب أن يكون الوضع  
في مثل هذه المسألة الدقيقة التي تحتاجها الأمة لتسعد بحياتها  
كلها .

غير أن كثيرا من الشعراء الذي تناول الاقتصاد أودار حول الواقع  
الاقتصادي لجاء من عبث العابثين ، كما لم يلتفت نظر أولئك الذين اتغذوا  
القهر وسيلة للتحكم في أقلام العلماء . فجاء يعكس أحوال المجتمع  
الإسلامي الاقتصادية في أطواره المختلفة ، وكان راصدا للتغيرات الاقتصادية  
منذ تكون الدولة الإسلامية على يد الرسول في المدينة المنورة .

(١) : لاحظ المعاجم العربية ، مادة قصد .

(٢) : اقتصادنا . محمد باقر الصدر ، ص ٦ ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٦٩م

(٣) : المصدر السابق نفسه .

(٤) : السياسة والاقتصاد في التفكير الإسلامي ، د . أحمد شلبي ، ص ٢١ .

الطبعة الثالثة ، القاهرة .



ومهمة هذا الفصل تتمثل في الكشف عن المواقف والافكار الاقتصادية الايجابية من خلال هذا الشعر الاقتصادي كما يتناول بعض المواقف السلبية أيضا ولكن كيف بدأ الاقتصاد العربي في الدولة الاسلامية؟ تحدث القرآن الكريم عن اتصال العرب الاقتصادي بغيرهم من الامم في سورة ايلاف فقال : " لا يلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف " فاحد هاتين الرحلتين كانت الى الشام حيث الروم ، والاخرى الى اليمن حيث الحبشة أو الفرس ، واذا فهناك حركة تجارية ، وهذا يشير الى وجود الطبقة •

والقرآن يقسم العرب الى فريقين ، فريق الاغنياء المستأثرين بالثروة المسرفين في الربا ، وفريق المعدمين • وقد واقف الاسلام في صراحة وحزم وقوة الى جانب هؤلاء الفقراء المستضعفين ، وناضل عنهم ، و زاد خصومهم ، والمسرفين في ظلمهم (١) • فكانت مواقف الرسول الاقتصادية مبنية على معالجة الواقع الذي يجده بين يديه ، فلا يدخر شيئا من أموال المسلمين ، للمسلمين ، بل يوزع " الا يرايات التي ترده في الحال على المستحقين وربما تغنى بها بعض من أصابته •

روى ابن الاثير (٣) أن معاوية بن ثور قدم هو وولده بشر وافرين على النبي (ص) وكان قال لولده بشر : " اذا جئت رسول الله (ص) فقل ثلاث كلمات لا تنقصن منهن ولا تزيد عليهن ، قل : السلام عليك يا رسول الله ، أتيتك يا رسول الله لاسلم عليك ، نسلم اليك ، " وتدعولي بالبركة " • قال بشر : ففعلتھن ، فمسح رسول الله (ص) على رأسي ، ودعالي بالبركة وأعطاني عذرا عفرا (بيضاء) فقال ابنه محمد بن بشر :

وأبي الذي مسح النبي برأسه	ودعاه بالخير والبركات
أعطاه أحمد إذ أتاه أعفرا	عفرا ثواجل لسن باللجبات (٤)
يملا من رقد الحي كل عشية	ويعود ذاك الملء بالعذرات (٥)

(١) : في الادب الجاهلي ، طه حسين ، ص ٧٦ ، الطبعة الثانية ، دار المعارف

بمصر ١٩٢٧ م

(٢) : المصدر السابق ص ٢١٨ •

(٣) : اسد الغابة : ج ١ / ص ٥٢٥ ، دار الشعب ، القاهرة ١٩٧٠ م •

(٤) : لجبات جمع لجة : وهي التي قل لبنها •

(٥) : الرقد : القدرح الضخم •

وكان بعض الأبل والخيل والماشية يبقى لدى الرسول ، فيجعلها في مراع خاصة لها (١) .

ثم جاء أبو بكر فيما بعد فصار ينفق موارد الدولة كلها أولاً بأول فلما مات لم يجدوا عنده من مال الدولة إلا ديناراً سقط من غرارة (٢) .

ثم جاء عمر بن الخطاب فأشأ بيت المال على حكاية المأوردى (٣) ، وفرض العطاء حين استدعى عقيل بن أبي طالب ومحزومة بن نوفل وجبير بن مطعم ، وكانوا نساب قريش ، وقال لهم : اكتبوا للناس على منازلهم (٤) . ثم توسعت العلاقات الاجتماعية ، ولمت الطبقة بوسائل مشروعة وغير مشروعة ، مما يدل أنها تجسبت التقيد بسمات الاقتصاد الاسلامي وأمام هذه الحالة ، كان لابد من المعالجة القرآنية السريعة المتمثلة بالمواقف القرآنية

حافظ الاسلام على الملكية الفردية ، الا أنه حارب تكديس الثروة وجمعها في يد فئة قليلة عن طريق الزكاة ، والتبليغ ، وتحريم كنز الأموال ، وجعل العمل والميراث الطريقين المشروعين للحصول على المال . فالعمل ابتغاء من فضل الله كما في القرآن " فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله (٥) " .

والميراث ساعد في توزيع الثروة على أكبر قدر ممكن من الذرية كما في القرآن : " يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فان كن نساء ، فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ، وان كانت واحدة فلها النصف ولا بويه لكل واحد منهما السدس ما ترك ، . ان كان له ولد ، فان لم يكن له ولد وورثة أبواه فلأمه الثلث ، فان كان له اخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين أنا وكم وأبناءكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليماً حكيماً . ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين

(١) : الاحكام السلطانية ، للمأوردى . ص ١٧٦ .

(٢) : الاداب السلطانية ، للفخرى . ص ٧٥ .

(٣) : الاحكام السلطانية للمأوردى . ص ١٩٨ .

(٤) : فتح البلدان ، البلاذري : ص ٤٥٤ ، طبعة ليدن ، ١٨٦٦ م .

(٥) : سورة الجمعة ، آية ٦ .

ولهن الربع ما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثلثين  
الثلث ما تركتم من بعد وصية يوصون بها أو دين وان كان رجل يورث  
يوث كلاله أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان  
كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصي بها  
أو دين غير مضار وصية من الله ، والله عليم حكيم (٢) .

وتحريم كنز الأموال واضح في قوله تعالى : " والذين يكتسبون  
الذهب والفضة ولا ينفقون في سبيل الله فبشرهم بعذاب العليم " (٣)  
وإذا حصلت الثروة من طريق الفبي في الحرب ، فان القرآن جاعل  
فيها حقوقاً للمستضعفين من الأمة الذين لم يتمكنوا من الاشتراك  
فقال الله تعالى : " واعلموا أن ما غنمتم من شيء فان لله خمسة  
وللرسول ، ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل (٤) " .  
والوصية عامل حيوى في التقليل من مساوى تكديس المال كما في  
قوله تعالى : " فلهن الثلث ما تركتم من بعد وصية يوصون بها  
أو دين (٥) " .

وقد علل الاسلام أسباب تشريعه السابق في توزيع المال بقوله ،  
تعالى " كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم (٦) " . وبعبارة  
هذه المعالجة صار المال عند الناس على شأكتين . نادر قليل لا يلبث  
أن يصرف في وجهه المشروع له . وكثير مكسب لا يمر مشروعة ،  
وأخرى غير مشروعة . فالأمر المشروعة ما ورد من الفبي ومن الدولة  
وغير المشروعة ما حصلت بطرق ملتوية ، فتضخم أمر الطبقة الفلبية .  
واجه بعض الشعراء الإيجابيين تلك الطبقة ، ففضح طرقها غير  
المشروعة في الكسب وتساءل عن مصدر أموالها وطلب الخليفة  
بمحاسبتها وإعادة أموال الشعب المتهوبة الى بيت مال المسلمين يوعى  
شامل واحساس صادق . كما فعل عبد الله بن همام السلولي (٧) .

- 
- (١) : الكلاله : من لا والد له ولا ولد .
  - (٢) : سورة النساء ، آية ١١ — ١٢ .
  - (٣) : سورة التوبة ، آية ٣٤ .
  - (٤) : سورة الانفال : آية ٤١ .
  - (٥) : سورة النساء : آية ١٢ .
  - (٦) : سورة الحشر : آية ٧ .
  - (٧) : لاحظ المناحي الاجتماعية في العصر الاسلامي من هذا البحث .

ولكن هذه الاصوات الادبية المناضلة ضد هذا الوضع ، لم تكن قادرة على صعد التسرب المالي الذى راح يشكل تجمعا فطبعة • كما لم تكن حلا قريبا أو بعيدا يعالج أوضاع الطبقة الفقيرة التي خلفها نهم الطبقة الاولى للمال • فيما بعد صار واضحا تماما وجود هاتين الطبقتين الاقتصاديتين •

" الاولى تتألف من تلك الارستقراطية العربية من اصحاب الثروات النخمة والاقطاعات الكبيرة ، والضيايع الواسعة ، الذين تركزت في ايديهم ثروة الكوفة ••• ومن أولئك الدهاقين الذين كانوا يطلون الارستقراطية الفارسية ، والدين استطاعوا باسلامهم في الوقت المناسب أن ينقذوا بقايا نفوذهم القديم ، وأما الاخرى فتتألف من تلك الكتلة الشعبية النخمة من العرب الذين لم تتح لهم فرصة الثراء ، ومن أولئك الموالى الذين كانوا في ظروف اجتماعية واقتصادية سيئة ، ومن أولئك الاجانب الذين لم يقتلوا بالاسلام ، وانما قبلوا دفع الجزية في نظير احتفاظهم بديانتهم السابقة (١) " •

وفي البصرة أيضا وجد قوم ملكوا الارض واقتلوا القصور وجمعوا المال الكثير منذ أيام عمر بن الخطاب • وقد سأل عمر أس بن جحية عن مسلمي البصرة فقال له : " لقد انثالت عليهم الدنيا فهم يهيلون الذهب والفضة (٢) " • ومن الواضح أن وجود هاتين الطبقتين لم يكن مفاجئا • فقد تحدث القرآن عن المسرفين الذين لا يحبهم الله من أبناء الطبقة الثرية ، ونهى عن الاسراف فقال : " ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين (٣) " • كما دعا الى انقاذ الطبقة المعدمة اللاصقة بالتراب لشدة عوزها وحاجتها ، فتحدث عن المسكين ذى القربى (٤) •

وهكذا وجد الشعراء أنفسهم أمام مفاهيم خطيرة تحتاج حياة الامة الجديدة ، فأدرك بعضهم واجبه تجاه الواقع الجديد ، وقال في اغراض

(١) : خليف ، يوسف :! : حياة الميعر في الكوفة ، ص ٤٧١ ، القاهرة ١٩٦٨ م •

(٢) : محمد بن جرير الطبرى ، تاريخ الطبرى : ج ٤ / ص ١٥١ ، طبعة مصر •

(٣) : سورة الاعراف : آية ٣١ •

(٤) : لاحظ سورة البلد في القرآن الكريم •

فسجل الأحداث الاقتصادية السلبية وفضحها فكان سجلا خالدا في هذا المضمار . وقد أثبت الشعر الاقتصادي الايجابي أنه كانت تقوم بين الطرفين علاقات اجتماعية لا تخلو من القهر نتيجة للتضامن الكبير بينهما ، كما أن هذا الفرق الكبير كان يشير في نفوس كثير من المعدمين المرارة والالام . فيعبرون عن هذا الاحساس بصورة أدبيّة ايجابية ، وأحيانا يلجأ بعضهم الى أسلوب سلبي قائم على الاستكاسة والاستجداء والاستعطاف .

ولا شك أن الأسلوب الايجابي الذي يدعو الى التغيير ، ويحقق الاحساس بالفوارق ، ويدعو الى التغيير ، وهو أسلوب نقدي شمرى يشبه الى حد كبير مذاهب النقاد والادباء الثوريين في عصرنا (١) كما أن الأسلوب السلبي القائم على الاستعطاف ، يشبه الى حد كبير مواقف الادباء والمفكرين الاصلاحيين في بداية هذا القرن (٢) وقد تكون الشواهد الشعرية السبيل الاوضح الى النفوس ، ونحن نحاول اثبات هذا السجل الادبي والتاريخي بين السلب والايجاب . كان أصحاب المفاهيم الاقتصادية السلبية من الشعراء يظهرن مواقفهم من خلال الحديث عن همومهم الفردية والشاوى من الفقر ، فيستجدون ويستعطفون ، ويجعلون من وصف حالهم وسيلة للحصول على المال فيحازون الى مواقع السلطة ، ومكان الثروة يبحثون عن حلول لديهم تخلصهم من الفقر والعوز . وربما لجأ الواحد منهم التهرج والسخرية فيضحك الناس منه ، دون مبالاة مادامت النتيجة هي الحصول على المال كما في قول الحكم بن عبدل الاسدى (٣) وهو يمدح بعض أجواد الكوفة مستجديا (٤)

يا أبا طلحة الجواد أغثنى	بسجال من سبيك المقيوم
أحي نفسي — فدتك نفسي فاني	مفلس — قد علمت ذاك — عديم
أو تطوع لنا بسلف دقييق	أجره — ان فعلت ذاك — عظيم

(١) : لاحظ التزام الشاعر بوسالة اجتماعية . محمد غنيمي هلال ، الادب المقارن ،

ص ٣٩٧ ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٩٧٠ م .

(٢) : أمثال : لطفي المنفلوطي ، ومصطفى صادق الرافعي ، ومحمد عبده .

(٣) : انظر ترجمته في الاغاني ج ٢ / ص ٤٠٤ — ٤٢٦ ، طبعة ، دار الكتب ،

(٤) : الحيوان ، للجاحظ ، ج ٥ / ٢٩٧ — ٢٩٩ .

قد علمتم فلا تقاس علي —  
 ليس لي غير جرة واصيص  
 وكساء ابيعه برغيف  
 واكاف اعاريه شريط  
 وث حبلتي فقد ذكرت اصيصي  
 ولم يمش ابن عبد الى نهاية الشوط في استجدائه ، فراح يضع يده على اسباب هذا  
 التفاوت الطبقي الكبير ، فينتقل من السلبية الى حالة من التحرك الايجابي  
 غير الفعال ، فينتجه الى الطبقة الاستقرائية يصب سياطه اللاذعة عليها ، ولا يوفر  
 منها احدا .

ولكنه لا يرى في مجائده لهم جهادا امام ابناء طبقتهم ، ويفعل ذلك انتقاما  
 لشخصه بعد ان سألهم فلم يعطوه . وهكذا تنقل المشكله من اطارها الجماعي  
 العام الى اطارها الفردي الخاص بوعي قاصر لم يبصر المشكله في اطارها  
 الحسي الاجتماعي ، وأكتفى بجعلها هموما فردية ، تفرغ التذمر من ربح  
 المجاهدين من أجل الحق والعدل .

ويمضي شعراء آخرون يدعون الى الثورة الشاملة التي تنهي مظاهر  
 الظلم الاجتماعي ، وينهجون في شعرهم منهج الواقعية الثورية . يلتزمون  
 قضايا المجتمع في رؤيا الاشتراكية ، ترى الحياة في حركتها التاريخية ،  
 وتدرك ارتباط الظواهر الاجتماعية بالبناء العام للمجتمع .

وقد مثل هذا التيار الشاعر الناصر عبيد الله بن الحر الذي " كان  
 شجاعا فاتكا لا يعطي الامراء طاعة " (٣) . وكان يوجه جهده وجهده اصحابه  
 الى بيوت المال في الاقاليم الاسلامية المختلفة يلهبها ويستولى على  
 ما فيها ، ثم يوزعها على اصحابه الصالحين الذين كان يقول عنهم : انهم " بطالني  
 واصحابي واخواني اتقي بهم ان نابني أمر ، او خفت ظلامه من أمير جائر " (٤)

ادرك ابن الحر عقم صيحات الاستجداء والاستعطاف ، فانطلق ثائرا اقتصاديا  
 ينظر الى الواقع الاجتماعي الفاسد ، ويدرك سوء توزيع الثروة الذي اوجد واقعا  
 اقتصاديا فاسدا كذلك ، فكان لا بد ان يثير بهؤلاء الفقراء على اصحاب الاموال

(١) : شيط : اسم رجل .

(٢) : انظر اخباره في : اسباب الاشرف ، للبلاذري ج ٢٩٠/٥ (طبعة

القدس ١٩٣٦ )

(٣) : المصدر السابق نفسه .

(٤) : المصدر السابق نفسه .

الظائلة من الامراء والولاة • وقد كان فصحهم بعض الباحثين<sup>(١)</sup> لهذا قاصرا حين رأى فيه نزعة أرسنقراطية •

ان شعر عبدالله يصور احساس الفقراء الذين ينتمون الى الطبقة الدنيا ، ويحفل بالام الشقاء والفقر • وقد مثل هذا الاحساس بالدفاعه ثورية قاد فيها جموع الفقراء ، وتطلع الى علاقات جديدة تنفي فيها صور القهر ، ولجأ الى القوة في سبيل تغيير الواقع الفاسد وايجاد المجتمع الجديد ، ولم يبال بالموت في سبيل الوصول الى الاهداف ، السامية دون وجل أو خوف ، وكان يقول :

تخوفني بالقتل قومي ، وبما أموت اذا جاء الكتاب الموجل  
لعل القنا تدنى بأطرافها الغنى فتحيا كراما تجتدى ونوم —  
ألم تر أن الفقر يزرى بأهل — وأن الغنى فيه الحلي والتجميل<sup>(٢)</sup>  
وانك ان لا تركب الهول لا تنلى من المال ما يرضى الصديق ويفضل  
وقد كان مؤمنا بأية السيف ، وأنها الطريق الصحيح لاعادة الحق الى  
اصحابه بعد أن فرغت آية القلم من مضمونها ، ولكنه كان يشكو  
قصر الوعي الثورى في اصحابه ، فكان يتمنى لو أن لديه أربعة رجال  
مثل صلابة رفيقه جرير لكان هاجم بيت المال وخلّصه من مصعب  
بن الزبير وأعادته الى الناس :

لو أن لي مثل جرير أربعة  
صبحت بيت المال حستى أجمعه  
ولم يهلني مصعب ومن معه<sup>(٣)</sup>

ويفتخر بنزعته التي تقوم على العدالة والاشتراكية ، فالمغرم قسمة  
حقبة بين أصحابه<sup>(٤)</sup> :

إذا ما غلنا مغلما كان قسمة ولم نتبع رأى الشحيح المتأرك  
هذان موقفان متناقضان من الطائفتين المتناقضتين • الاول سلبى مثله  
ابن عبّ دل • والثاني ايجابى مثله عبّ دل بن الحر •  
ولا بد من الاعتراف بخيبة الامل التي ظهرت فيما بعد عند

(١) : خليف ، يوسف : حياة الشعر في الكوفة ص ٤٨٣ •

(٢) : البلاذرى ، أنساب الاشراف : ج ٥ / ص ٢٩٦ •

(٣) : المصدر السابق : ص ٢٩٧ •

(٤) : المصدر السابق : ص ٢٩٢ •

الذين تأملوا نجاح التيار الايجابي ، حيث كان مؤلماً الا ينجح هؤلاء في ايجاد المجتمع الذى ناضلوا من أجله .

ربما كان لهذا الاخفاق كثير من الاسباب في طبيعتها تبديد القوة المادية ، وعدم عقد مؤتمرات مشتركة لأصحاب الحق الموزعين في الدولة الاسلامية المتزامية الاطراف ، لدعم القوة الفكرية . كذلك يلاحظ أن الظروف التي كانت البلاد الاسلامية تمر بها لم تكن مساعدة لقيام تلك الافكار في مؤسسات شرعية ، ولا سيما بعد أن أجهضت حركاتها أكثر من مرة في أكثر من اقليم اسلامي . وهناك مواقف أخرى أكثر دقة اتخذها الشعراء من الواقع الاقتصادي والسياسي ، أهمها :

— تصوير الواقع السلبي الذى خلفه التناقض الطبقي .

— فضح أصحاب الخراج وأصحاب الصدقات .

— مقاومة سياسة الولاة الاقتصادية الفاسدة ورفضها .

تصوير الواقع السلبي الذى خلفه التناقض الطبقي :

أدى ذلك الكيان الطبقي المتناقض الى ايجاد افرازات ضارة بالفقراء أهمها تلك التي خلخلت كيان الاسرة . فأمام الغنى الفاحش ، مثل الفقر بقامته الهزيلة فارتعدت فرائض النسوة الفقيرات وهن يشاهدن نساء القصور بوفر نعيم وعيش حلو عميم ، فتعشق لديهن الاحساس باليأس والشقاء . وصار بعضهن يرغب بتأجير زوجة ليتخلصن من الفقر ، فتصدع كيان الاسر وتمزقت العواطف الانسانية .

وعلى ما يبدو فإن هذه الظاهرة انتشرت بوقت مبكر ، فقد

اهتز كيان أسرة الصحابي سعيد بن زيد (١) زوج فاطمة بنت الخطاب

وتعرض لهذا الاذى المنتشر حين صوره في قوله (٢) :

تلك عرساي تتطقان على عمدي اليَوْمَ قولَ زَوْوِ (٣) هــنـر  
سألتني الطلاق أن رأتما لي قليلاً ؛ قد جئتني بـكـر  
فلعلني أن يكسر المال عندي ويغترى من المفارم ظهري

(١) : وهو سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل صحابي قديم ، كان زوج فاطمة ، أخت عمر

ابن الخطاب ، وفي بيته أسلم عمر . والأبيات تروى حيناً لسعيد وحيناً لولده

وتروى كذلك لنبيه بن الحجاج كما في الخزائن وشرح أبيات الكتاب للشنترى

ج ٢ / ص ١٧٠ .

(٢) : البيان والتبيين : ج ١ / ص ٢٣٥ ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٤٨ م .

(٣) : الهنر : الكذب والخطأ .



ويلتفت من التمني الى واقع مائل أمامه ، فيرسم صورة لأمانيه المستقبلية تعكس لنا الواقع البيتي للطبقة الفنية التي ترفل بأثواب النعيم حيث العبيد والنساء المناصيف ، والخير العقيم مما يسر وتطرب له النسوة فيرضين :

وَتَرَىٰ أَعْبُدُ لِنِسَاءٍ وَأَوَاقٍ وَمَنَاصِيفٍ مِنْ خَوَادِمِ عَشْرِ (١)  
وَجَرُّ الْأَذْيَالِ فِي نَعْمَةِ زَوْجٍ لِّتَقُولَانَ نَحْضِعُ عَصَاكَ الدَّهْرُ  
وَيَجْتَبِ سِرَّ النَّجِيِّ وَلَكِنَّ أَخَا الْمَالِ مُحَضَّرُ كُلِّ سَرٍّ  
وَيَكُنْ كَأَنَّ مَنْ يَكُنْ لَهُ كَنْشَبٌ يَحْبَبُ وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَحْشُرُ عَيْشَ ضُرٍّ  
والحق أن هذه الأبيات تدل على وعي الشاعر القاصر أيضا . فقد رأى أمامه واقعا طبقيا غير صحيح ، فلم يتجه الوجهة الثورية المطلوبة ، فيرفع صوته محتجا ، ويعلوه في الارضين من حوله يثير الناس ، ويحقق احساسهم كما فعل أبو ذر الغفاري (رض) بل استسلم للواقع كما هو ، وراح يتمنى أن يصل الى المراتب المادية العليا وهو يعالج تعذر نساءه عليه . في حين كان عليه - وقد سألتاه الطلاق لقلته ماله - ان يفعل ، فما قامت بيوت عمادها المال وحده . ويبدو أن أثر الابتكارات المالية والفنى في تمزق أوامر الاسر الاسلامية كان واضحا . فعلى مدى حكم الخلفاء الراشدين والامويين كانت تلك المواقف تتكرر .

كما يلاحظ أن النزوات ، وما خلفته من مفاهيم وفي لم تمنح تلك المفاهيم ، وكانت سلبيات التناقض الطبقي تظهر دائما بنفس الآلية تقريبا . ولستمع معا الى هذا الحوار بين أعشى همدان وزوجته :

قالت تعاتبني عرسي وتسالني : أين الدراهم عينا والدنانير  
فقلت : أنفقتها والله يخلفها والدهر ذو مرة عسر وهسور  
إن يرزق الله أعدائي فقد رزقت من قبلهم في مراعيها الخنازير

(١) : المناصيف جمع الصف بفتحين ، المرأة التي بين الحديثة والمسنة ورجل صف أيضا .

(٢) : عبد الرحمن بن عبد الله بن جشم الهمداني : شاعر اليمانيين ، بالكوفة من شعراء الدولة الاموية ، ومن الغزاة ، قتلته الحجاج أيام ثورة عبد الله الرحمن بن الاشعث حين انحاز اليه ، الاعلام ج ٤ / ص ٨٤ .

قالت فرزقك رزق غير متسنع  
وقد رضيت بأن تحيا على رمق  
وما لديك من الخيرات قطمير  
يوماً فيوماً كما تحيا الضافيرو<sup>(١)</sup>  
ولم يقف أثر المال في افساد العلاقات الاسرية فحسب ، فقد ظهر  
هذا الاثر السلبي في برزخ ظاهرة النفاق لـاغنياء .

بين بعض الشمره كيف يحب الناس الاغنياء ، وان كانوا بخلاء لا خير  
فيهم يرتجى . قال سلمة بن زيد بن وهب الفهري<sup>(٢)</sup> :

رأيت الناس مذ خلقوا وكانوا  
وان كان الغني قليل خير  
فما أدري علام وفيهم هذا  
اللدنيا ؟ فليس هناك دنيا  
يحبون الغني من الرجال  
بخيلاً بالقليل من التوال<sup>(٣)</sup>  
وماذا يرتجون من البخال<sup>(٤)</sup>  
ولا يرجي لحادثه الليالي

وقد لا يصدق المرء أن كثيراً من الخازين كانوا يتدفعون الى القتال  
طمعاً في مال يصيبونه ، لا جهاداً أو حياء في الجهاد . فبمنز  
المقاتلين يفضح نواياه بذاته وهويكي على المهلب بن أبي صفرة  
حين مات ، والحقيقة أنه يبكي المفام والمكاسب التي فقدما بموت  
المهلب فيبكيه بكاء علاقة متعمدة يوضحها نهار بن توسعة التميمي بقوله<sup>(٥)</sup> :  
ألا ذهب الفزو المقرب للغنى  
أباح لنا سهل البلاد وحزبها  
ولا شك أن هذا الشمر وأمثاله وثيقة تكشف عن سلبيات أصحابه الذين  
اندفعوا الى القتال تحت تأثير حب المال ، وما يرونه من تناقض طبقي  
كان يحثهم على القتال مخبرين الوجهة الحقبة التي يقاتل من أجلها  
المسلم عادة .

وليس هذا جديداً على المبصرين . كما أنه معروف قديماً للمبصرين  
المسلمين المتصفين . ومن طريف هذا الامر ما قاله رجل يسمى ابن  
ظبي<sup>(٦)</sup> كان وقد مر بابة مطرك<sup>(٧)</sup> بالبصرة ، فقيل لها : هذا قاتل أبيك

(١) : الحيوان ، للجاحظ : ج ٧ / ص ٦٢ . طبعة الحلبي .

(٢) : لاحظ أخباره في تاريخ الطبري : ج ٣ / ص ٤٢١ .

(٣) : البخال : ج بخل : ج ٣ / ص ٤٢١ .

(٤) : تاريخ الطبري : ج ٣ / ص ٤٢١ .

(٥) : لاحظ أخباره في تاريخ الطبري : ج ٦ / ص ٣٥٥ وما بعدها .

(٦) : لاحظ أخباره في تاريخ الطبري : ج ٦ / ص ١٦٠ .

(٧) : مطرك بن سيدان الباهلي ، ولي لمصعب بن الزبير .

فقال في سبيل الله أبي (١) فقال :

فلا في سبيل الله لاقى حماة أبوك ولكن في سبيل الدّراهم  
ونقف على كثير من النصوص الشعرية والنثرية التي تثبت أسباب الغزو الاقتصادية  
بعيدا عن الأسباب الدنيوية . ولطالما كتب الحجاج بن يوسف الى المهلب وأبنته  
يزيد يريد منهما غزو ناحية معينة لخيراتهما . وقد كتب مرة الى يزيد  
ابن المهلب أن اغز خوارزم ، فكتب اليه : " أيها الأمير ، إنها قليلة  
السلب ، شديدة الكسب (٢) " .

كما كان قتيبة بن مسلم الباهلي قد أباح نهب البلاد التي ذهب فيها  
غازيا ، فدوّن الشعر وثائق ايجابية تفضح سلبيات المطامع المادية التي  
أبعدت الغازين عن صلب معتقدتهم ، وأستهم أنهم مبشرون وليسوا  
خازنين . وقد عبر كعب الأشقر عن واقع قادة الجند الذين يندلقون  
تحت رايات المطامع المادية يزيدون أموالهم كل يوم ، ويمزقون أواصر  
المجتمعات البشرية بدعوى الريادة الدنيوية !... (٣) قال :

كل يوم يحس قتيبة نهباً	ويزيد الأموال مالا جديداً
دوخ السُّفد بالكائب حتى	ترك السُّفد بالعراء قموداً
قوليذ يكي لفقْد أبيه	وأب موجد يكي الوليداً
كلما حلّ بلدة أو أتاها	ترك خيله بها أخذوداً

وقد عالج هذه المسألة كثير من الباحثين ، ونفى بعضهم أن يكون  
المال وراء الفتح ، مدعياً أن النزعة الروحية أقوى فيهم من النزعة المادية .  
ولعل تتبع الخيط الاقتصادي من أول نشوء الدولة الإسلامية يفتد الرأي  
العاطفي الذي سلكه الباحث . وقد صار واضحاً أن السبيل الذي  
سلكناه في اظهر أثر المال في ايجاد انحرافات فكرية قد كشفها الدهر  
الايجابي الذي لعبه الشعر الاقتصادي ، بقصد من الشعراء ، أو دون ،  
قصود . ولا شك أن اعتراف الباحث نفسه بالاثّر المادي واضح في  
قوله " ولكن المادة على كل حال كان لها تأثير قليل أو كثير فيهم (٥) " .

(١) : تاريخ الطبري : ج ٦ / ص ١٦٠ .

(٢) : المصدر السابق ص ٣٩١ .

(٣) : المصدر السابق ص ٤٨٠ وتنسب الايات لرجل من جعفي ، أيضا .

(٤) : لاحظ التطور والتجديد في الشعر الاموي ، شوقي ضيف

ص ١١٨ .

(٥) : المصدر السابق نفسه .

وقد لا يصدق المرء أحيانا المبالغ الخيالية التي جمعها بعض من  
أفاد من الحروب، كأن تصل ثروة أحدهم الى " ألف ألف ألف<sup>(١)</sup> ألف "  
وهكذا عمّق الوجود الطبقي التناقضات الاجتماعية وجرف الناس بعيدا  
عن الروح الإسلامية الحقّة تحت تأثير المال . فانتشر الظلم ، وفقـد  
العـدـل<sup>(٢)</sup> ، وكان الذين أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج والعصية  
الحريّة ، مما دفع عمر بن عبد العزيز أن يكتب الى والى خراسان جهلته  
الشهيرة ، " إن الله بعث محمدا (ص) داعيا ولم يبعثه خازنا<sup>(٣)</sup> "

- 
- (١) : تاريخ الطبرى : ج ٦ / ص ٣٧٩ .  
(٢) : تاريخ الطبرى : ج ٦ / ص ٥٥٩ .  
(٣) : المصدر السابق نفسه : والرواية الاخرى " خاتنا " .

## فصح اصحاب الخراج واصحاب الصدقات :

=====

الخراج والصدقات نظام السياسة الاقتصادية في الاسلام لحفظ التوازن بين الطبقات ، فعن طريق الإتاوة ( الخراج ) والصدقة ( الزكاة ) تكفل الدولة مبدأ التوازن الاجتماعي . فالدولة الاسلامية " تكون مسؤولة بصورة مباشرة عن ضمان معيشة المعوزين والعاجزين ، بقطع النظر من الكفالة الواجبة على افراد المسلمين أنفسهم " (١) .

وقد حمل القرآن ولي الأمر مسؤولية الإعالة والإيفاق مينا المصارف ، ومُسَدِّراً " حكما عاما في الصدقة بجميع أقسامها ، فتشمل المال الذي تدفعه الدولة الى العاجز والمعوز لانه ضرب في الصدقة (٢) " .

فقال تعالى : " انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل فريضة من الله ، والله عليم حكيم (٣) " .

وقد حمل الوالي مسؤولية توزيع هذه الاموال ، قال الامام موسى بن جعفر بشأن تحديد مسؤولية الوالي في الاموال : " ان الوالي يأخذ المال فيوجهه الوجه الذي وجهه الله له ، على ثمانية أسهم ، للفقراء والمساكين ، يقسمها بينهم بقدر ما يستغنون في سلتهم ، بلا ضيق ولا تقيّة ، فان فضل من ذلك شيء ، رد الى الوالي ، وان نقص من ذلك شيء ، ولم يكتفوا به ، كان على الوالي أن : يونسهم من عنده ، بقدر سحتهم حتى يستغفوا (٤) " .

وهذا الموضوع واسع بابه ، ولكن المهم فيه أن تعرف دور الدولة في المحافظة على العوازن الاجتماعي ، وأن تعرف ايضا مواقف الشعراء من الولاة الذين لا ينفذون ارادة الاسلام في المحافظة على هذا التوازن الاجتماعي وحين ينحرفون عن التحالف السطوية .

وقد تخلّى ولاة الخلفاء عن هذا النظام الاقتصادي ، فدخله اضطراب كثير ، فمن جهة كثرت الاقطاعات للولاة والعمال وزعماء الع (٥) وب .

(١) : اقتصادنا ، محمد باقر الصدر . ص / ٦١٨ . دار الفكر بيروت بلا تاريخ

(٢) : المصدر السابق ص / ٦١٩ .

(٣) : صورة التوبة : الآية / ٦٠ .

(٤) : اقتصادنا ، محمد باقر الصدر . ص / ٦٢٧ .

(٥) : لاحظ فتوح البلدان ، للبلاذري ص / ٣٦١ وما بعدها . فصل طريق عن اقطاعات البصرة أعطى منها لزعماء العرب وولاة العراق

ومن جهة فرض على الناس كثير من الضرائب الاستثنائية ، وكان الولاة يتفلسفون في ذلك ، فتارة تفرض باسم أجور عمال الخراج ، وتارة تفرض باسم نفقات العقود وسك النقود وغير ذلك من تذرع بقوة الجيش وحاجة صاحبة من المعونة (١) وقد استنفذ بعض الشعراء فرض التذكير بما جاء في الاسلام ، وعلم ان فرائض القوم لم تعد ترتعد خوفا من الله كما كان الامرايام الرسول (ص) وايام اصحابه الاوائل وان فرائضهم ترتعد خوفا من التشهير فلجا بعضهم الى الشعر ، يرفع به صوت المقيهورين ، ويفضح سوء تصرف الولاة الظالمين .

هذا عبد الله بن همام السلولي (٢) يفضح الولاة والقادة الذين يأكلون اموال الشعب ، ويطاردهم في كل مكان متجها اتجاها وانسعا يأخذ على عاتقه كشف ظلم وزيف ، يقف مع الشعب ، ولا يهمه الحزب والحاكم سواء . اكان زبيريا ام أمويا ، ولا يرى واليا ظالما سارقا يجب ان يقف بوجهه ويفضحه . وله في هذا المجال مواقف ايجابية مشرفة .

فقد فضح ولاة وعمال خراج المنطقة الشرقية من دولة ابن زبير كما اثار نقمة الشعب عليهم ، وذكره بأن عماله لصوص يستولون على قوات الشعب ومقدراته ، يحتكرونه ثم يبيعونه للتجار ، ويقتسمون مال الخراج فيما بينهم ، ويصرفون تلك الاموال المنهوبة على ملذاتهم وشهواتهم . ويظهرون الورع والتقوى ويغتمبون حق الشعب ، ثم يقدم كشف اجتماعيا واقتصاديا بحالهم قبل توليهم وبعد . مظهرا المفارقة الكبيرة متسائلا عن مصدر غناهم ، وبعد ذلك يفضح اسماؤهم ومواقفهم ، ويطالبه بمعاقبتهم ليعترفوا بكل شيء لهبوه او سلبوه ، يقول (٣) :

(١) : تاريخ الطبری ج ٦ ص / ٣٠١ .

(٢) : انظر اخباره في نهاية الارب ص / ٢٢٨ ، وجمهرة الانساب ص / ٢٦٢ ، والشعر والشعراء ص / ٢٤٨ .

(٣) : انساب الاشراف للبلاغري ص ١٦١ وما بعدها طبعة بيت المقدس .

يابلن الزبير أمير المؤمنين ألم  
باعوا التجار طعام الأرض واقتهم  
وفيك طالب حق ذو رأييه  
اشدد يدك بؤيد<sup>(١)</sup> أن ظفرت به  
إنا مئينا بضرب<sup>(٢)</sup> من بني خلف  
يلاحظ المرء كيف بدأ الشاعر قصيدته بندا<sup>١</sup> ابن زبير وبالا<sup>٢</sup> عراف به أمير المؤمنين  
وما هذا الا ليشعره بعظيم الجبرية التي يرتكبها عماله من جهة و ليشعره بضرورة  
المحاسبة القاصمة التي بدأ يجرد لها كثيرا من العمال ، ثم يحث الخليفة على  
انزال العقاب بهم :

خذ العصفير فانتف ريش ناهضيه  
وما أمانة عتاب<sup>(٥)</sup> بسالمة  
وقيس كلفة<sup>(٦)</sup> قد طالت إمارته  
وخذ حجيرا<sup>(٧)</sup> فأتبعه محاسبة  
مارأيتي منهم الا ارتفاعهم

ثم يكشف المفارقة بين من يغزو ويعرض نفسه للموت دون ان يصيبه شيء \*  
ومن يلتصق بالأرض لا يبرحها ، تأتيه الأموال وهو متكئ \* وذلك ليعمق احساس  
الجماهير بالمظالم السائدة ، فيقول :

- 
- (١) : زيد : مولى لعتاب بن ورقاء وكان خازن دحرجة الجمل .  
(٢) : دحرجة الجمل : عامر بن مسعود والي الكوفة لابن الزبير ، وزيد مولى  
وكان خازن دحرجة الجمل .  
(٣) : الضب الذي قصده هنا هو دحرجة الجمل نفسه .  
(٤) : العصفير : هو عبدالله بن أبي عصفير والي المدائن لابن الزبير —————  
(٥) : عتاب : هو عتاب بن ورقاء الرياحي ، الجواد المشهور .  
(٦) : هو قيس بن يزيد بن عمرو بن شرا جعيل الكندي .  
(٧) : هو حجير بن حجار بن الحر ، كان عاملا على الزوابي . ويوقف  
من تيم بن ثعلبة . وكانوا على صدقات بكر .  
(٨) : الصحاة : طعام يتخذ من صفار السمك .

وما غلامٌ على أرضٍ مسالمةٍ  
يُجْبى إليه خراجُ الأرضِ مَكْتَباً  
والواليُّ الذي مهرانُ أمّره  
ودونك ابنُ أبي عَشٍّ وصاحبَه  
لا تجعل مالَ بيتِ المالِ مأكلةً  
ومنقذُ بنُ طريفٍ من بني أسدٍ  
وما أخيلسُ جُعْفِيٌّ بما نفعه

كَمَنْ غَزَا دَسْتَلَيْ (١) غيرَ مُجْتَعِلٍ  
مُسْتَهْزِئاً بغناءِ القَيْلَةِ الفضلِ (٢)  
فزالَ مهرانُ مذموماً ولم يَنْزِلْ (٣)  
قبلَ السَّبْعِ فَقَدْ أَجْرَى عَلَى مَهْلٍ (٤)  
لكلِّ أَرْزَقٍ مِنْ هَمْدَانٍ مَكْتَحِلٍ  
أُبَيْتُتُ عَاطِلَهُمْ قَدْ رَاحَ ذَا ثِقَلِ (٥)  
مِنَ الْمَتَاعِ قِيَامُ اللَّيْلِ بِالطَّوِيلِ (٦)

دعوة الى انقاذ بيت المال ، وكشف لاولئك الذين يتظاهرون بالورع دون ان  
يمنعهم ورعهم من الخيانة ، ومتابعة كاملة لكل اللصوص من العمال  
ولستم ببقية العريضة الفاضمة يقول :

وَأَخْرَانِ مِنَ الْعَمَالِ عِنْدَهَا  
مُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرٍ وَالَّذِي كَذَبَتْ  
وَمَا فَرَاتٌ وَإِنْ قِيلَ : «امْرُؤٌ وَرَعٌ»  
وَالْحَارِثِيُّ سِيرَضِي أَنْ تَقَاسَمَهُ  
بعض المالّة إن ترفّق بها تنل  
بكرُ عليهم غداة الرّوع والوهل (٧)  
إن نال شيئاً بذاك الخائف الوهل (٨)  
إذا تجاوزت عن أعماله الأول

- 
- (١) : دَسْتَلَيْ : كورة كبيرة في فارس بين الرى وهمدان .  
(٢) : القيلة الفضل : التي تلبس ثوبا واحدا كالها متبذلة .  
(٣) : هو سعيد بن حرمة الكاهل الوالي . ومهران : مولى لزيد وهو الذي  
جعل الوالي في عداد العمال .  
(٤) : ابن أبي عَشٍّ والي بالثفور . وصاحبه : عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني  
(٥) : منقذ : هو نعيم بن دجاجة ، وكان على أسفل الفرات .  
(٦) : زحر بن قيس : وقيل هو محمد بن أبي سيرة وكان على جوحى .  
(٧) : محمد بن عمير بن عطارد احد اجواد العراق المشهورين وصاحب بكر  
ابن زيد بن رويم .  
(٨) : هو فرات بن زحر ، قتله المختاريوم السبيعي .  
(٩) : الحارثي هو السري بن وقاص : والي نهاوند .



وَأَدْعُ الْأَقَارِعَ فَاقْرَعِهِمْ بِدَاهِيَةٍ  
كَانُوا أَتَوْنَهَا رَجَالًا ۚ لَا رِكَابَ لَهُمْ  
لَنْ يَخْتَبُواكَ وَلَمَّا يَعْلُ مَا مَهُمُ  
إِنْ السَّيَاطُ إِذَا عَمَّتْ غَوَارِبُهُمْ

وَاحْمِلْ خِيَانَةَ مَسْحُودٍ عَلَى جَمَلٍ (١)  
فَأَصْبَحُوا الْيَوْمَ أَهْلَ الْخَيْلِ وَالْأَبْلِ  
ضَرَبَ السَّيَاطُ وَشَدَّ بَعْدُ فِي الْحَجَلِ (٢)  
أَبْدَوْا ذَخَائِرَ مَنْ مَالٍ وَمَنْ حُلَلٍ

ولا يكتفي الشاعر بفضحهم بل يدعو الى انزال العقاب الصارم بهم .  
فصرب السيات ، وشدد الحجل في السجون كفيلا باخراج ماسوقه  
من مال وحلال .

ان شخصية الشاعر هنا تمثل شخصية البطل الايجابي  
الثوري ، وصوته صوت ايجابي يقابل الاصوات السلبية الراضخة  
تحت مظامها ، وهي عارفة كل ما يجري ، ولكنها فضلت السكوت مدة ثم  
تجاوزت سكوتها الى ضجيج القصور مادحة كاذبة .

ولا شك انه قد تجسدت في هذه القصيدة وأمثالها مظالم الفقراء  
الذين كانوا يريدون القبض على سارقي قوت الشعب ومحاكمتهم ولكنهم  
لا يجروون على الحديث ، فيكون مثل هذا الشعر رثمه لهم يتنفسون منها ،  
ويعبرون عن أُمانيهم فيها . وغني عن البيان ان هذا الشعر ثوري  
تقدمي بالنسبة لذاك العصر ، وهو الذي يقدم نماذج الشخصيات  
الاجابية الواثقة من امكانية صنع مستقبل زاهر بالرغم من المعاناة  
اليومية ، وبالرغم من تشويه التعاليم السماوية كل يوم . كما انها شخصية  
اجابية . الا ان صوت عبد الله كان في الطبيعة .

كثير من الشعراء ظل يفضل السكوت طالما ان مصالحه  
ومصالح قبيلته لم تصب بسوء . فلا يرتفع لهم صوت الا اذا  
امتد الحيف الى تلك المصالح .

(١) : مسعود أحد عمال بني أسد

(٢) : الحجل : جمع حجل : وهو القيد .

فقد تقدم الشاعر الراعي على لسان قومه بني يهودا شكواه الى عبد الملك بن مروان يشرح فيها سلبات عمال الصدقات ، وفي هــ سـ لـ ذـ هـ عبارات الشعرية التي رفعها صوت ايجابي من شخصية سلبية ، الا انها عبارات واقعية من اليوميات التعسفية التي كان المسلمون يعانون منه لتحت ظل الخلافة الاسلامية التي لم تكن متمسكة الا بما يخدمها من الدين •

يمثل الراعي اذ في نوعية جديدة من الشخصيات السلبية ، تميزت بالموقف المتناقض . من ذلك مثلاً سكوته قبل الجور المحدث به وهو يصرى جوراً وضيقاً يحيط بخير قبيلته من المسلمين ، ولكنه ظل ساكناً بالرغم من حاجة المسلمين الماسة الى كل صوت ثوري • وباعتبار ان البحث يتناول الشعراء على الاغلب فاننا ندرج صوته بين الأصوات الثورية التي سلكت سبيل فرض الظالمين • قال الراعي (١) وقد رفع صوته الى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين ، يفصح طريقة جباية اموال الزكاة :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة	تشكو إليك مهلةً وعيلاً
عرباً ترى الله في أموالنا	حق الزكاة منزلاً تنزيلاً
إن السعاة عصوك يوم أمرتهم	وأثوا دواهي لو طمت وغولا

ثم يستعرض اعمالهم ووحشيتهم ووحشيتهم وهم يحبون الزكاة :

أخذوا العريف فقطعوا حيزومه	بالأصحية قائماً هــ لولا (٢)
حتى اذا لم يتركوا لعظامهم	لحمًا ولا لفؤاده محقبولا (٣)
جاءوا بهمهم وأحلب أسارت	منه السياطيرا هــ أجفبولا
أخذوا حمولته وأصبح قائداً	لا يستطيع عن الديار حوبولا (٤)
يدعو أمير المؤمنين ودونهم	خرق تجرّبه الرياح ذيبولا (٥)

(١) : جمهرة اشعار الادب ، لابي زيد القرشي • ص/٣٥٥ • طبع المطبعة الرحمانية بمصر •

(٢) : العريف : شيخ القبيلة ، الحيزوم : الوسط • الاصحية : السياط •

(٣) : النك : الصحيفة الخاصة بالصدقات • الاحلب العريض • اسارت :

أبقت البديهة ولا جفيل : الجبان •

(٤) : الحمولة : ما يحمل عليه الدواب • حوبلا : تحوببلا •

(٥) : الخسر : الغسلة •

ثم أمر برفع المظالم ، والغاء الضرائب الاستثنائية ، وأمر بحط الجزية  
عن أسلم<sup>(١)</sup> وأرسل إلى الأطراف عمالا جددًا ينفذون سياسته العادلة  
ولكن هذا لم يمنع استمرار الظلم في المناطق البعيدة عند أولئك العمال الذين  
كانوا يلبذون كتاب أمير المؤمنين ويستحلون المحركات • فقد قدّم رجل إلى الخليفة  
فوجده على المبرقة<sup>(٢)</sup> قال :

إِنَّ الَّذِينَ بَعَثْتَ فِي أَقْطَارِهِمْ  
طُلُوعَ الثَّيَابِ عَلَى مَنَابِرِ أَرْضِهِمْ  
بِهِدُوا كِتَابَكَ وَاسْتَحِلُّوا مَحْضُومَ  
كُلِّ يَجُورٍ وَكُلِّهِمْ يَتَظَلَّمُ

والما كل بغيرة الثياب عن قذارة نفوسهم ، وإنهم ليسوا أعفاء • ويبدو أن الخليفة  
الجديد لم يستطع أن يطهر دولته من الذئاب البشرية المعتصبة لحقوق الجماهير .  
فكانت الأصوات الإيجابية تستغل الروح الإيجابية التي تمتع بها فترفعه أصوات  
المسحوقين ، وتطالبه بانزال أقصى العقاب بهؤلاء المارقين • ومن جماهير  
خراسان ينطلق صوت كعب الأشقر فيطأ طب الخليفة قاتلا :<sup>(٣)</sup>

إِنْ كُنْتَ تَحْفَظُ مَا يَلِيكَ فَأَلَمْنَا  
عَمَالَ أَرْضِكَ بِأَهْلَادِ ذُنُوبِ  
لَنْ يَسْتَجِيبُوا لِلَّذِي تَدْعُو لِسْمِهِ  
حَتَّى تَجْلِسَ بِالسُّوفَرِ قَابِ  
وَلَا شَكَّ أَنَّ طَبَقَةَ الْمَوَالِي كَانَتْ مِنْ أَكْثَرِ الْمُتَضَرِّجِينَ جُوعًا وَفَقْرًا وَكَانَ صَوْتُهُمْ يَعْجِسُ عَنْ  
مَدَى الظُّلْمِ الَّذِي لَحِقَ بِهِمْ • وَقَدْ عَبَّرَ شَاعِرُهُمْ أَبُو حَرَّةٍ عَمَّا آتَاهُمْ مِنَ الْمِمْ وَجُوعًا فَقَالَ :  
أَبْلَغُ أَمِيَّةٍ عَلَيَّ إِنْ عَرَضْتَ لِهَيْبَةٍ  
وَابْنِ الزُّبَيْرِ وَأَبْلَغُ ذَلِكَ الْعَرَبِ  
أَنَّ الْمَوَالِي أَصْحَتْ وَهِيَ عَاتِيَةٌ  
عَلَى الْخَلِيفَةِ تَشْكُو الْجُوعَ وَالْحَرْبَ  
وَكَأَنَّهُ قَدْ صَارَ مِنَ الْمَعْرُوفِ لَدَى النَّاسِ أَنَّ مَنْ يَتَوَلَّى أَمْرًا لِلدَّوَاةِ لَا بَدَّ أَنْ يَفْتَنِيَ  
عَنْ طَرِيقِ الْخِيَانَةِ وَالسَّرِقَةِ ، فَكَانَ صَوْتُ بَعْضِ الشُّعَرَاءِ •

(١) : لاحظ تاريخ الطبرى : ج ٦ / ٥٦٨ - ٥٦٩ - ٥٧٠ •

(٢) : البيان والتبيين : ج ٣ / ٣٥٩ •

(٣) : المصدر السابق : ص / ٣٥٨ •

(٤) : لاحظ تاريخ الطبرى أحداث ٦٣ هـ / ١٣٠ م • ج ٧ / ٣٩٣ - ٣٩٤ •

دار المعارف بمصر • القاهرة ١٩٦٦ •

(٥) : لاحظ : اتجاهات الشعر الذي في القرن الثاني مطلق هـ داره

ص / ٢٤ •

كهداهد كسر الرماة جناحيه يدعو بقارة الطريق هديلا  
ان هذا المقطع مثل صورة واقعية كانت تكرر دائما في حياة شعب مسلم مسكين باسم  
الاسلام •

ومن الملاحظ أن فصح قوت القهر السياسي والاجتماعي • واسا ليبيها القاسية هذه  
قد عالجها كثير من الأدباء الثوريين في العصور الحديثة • ويعتبر عبد الله النديم  
البطل الثوري المصري خير من صور طريقة تحصيل الضرائب • وبهيب قوت الشعب  
وخيرات في مصرية أيام القرن التاسع عشر • وقد كتب ذات مرة يصف تلك الطرق :  
(( كانت طرق تحصيل الضرائب تقشعر لها الأبدان • قوامها الاذل واللاهانة  
والإيلام • فإذا هبط الأمور قوية للإشراف على تحصيل الضرائب • طلب سكانها  
واحد بعد واحد • فمن دفع لجا من عذاب اليم ولا يناله الا بعض السياط  
تشبع لهم الأمور للضرب • ومن قصرت يده القاه الجلا دون على الأرض وطعوا أمابه  
بالسياط فإذا لجا من الموت اودع السجن )) •

فالصورة التي وصفها الراعي قريبة من مقالة النديم •

فقد جاء السعادة الى شيخ القبيلة • فقوده واقفا وصاروا يلهبون وسطه بالسياط  
حتى اكلوا لحمه من كثرة الضرب • ثم جاءوا بصحيفة الصدقات وهو يرتجف خوفا • فاخذوا  
حمولته من الدواب وتركوه عاجزا بين عويل وصراخ • ثم ادعى الشاعر ان الشيخ  
المساوب صار يستجد بالخليفة ما هو فيه •

ويبدو أن حقيقة الحال غير ذلك • لكن الشاعر لا يملك الا ان يقول ما قال •

ثم ينسج صورة واقعية اكبر من الأولى يصف فيها قوى القهر التي كانت تطارد  
قبيلته من مكان لا تحدر لتحتلبها • ويستجد به ليخلص قومه ما هم فيهم  
ويطلب اليه ان يرفع الظلم عنهم فيقول :  
(١)

أخليفة الرحمن ان عشتريسي  
امسى سوامهم عزيز فلمسولا (٧)  
قوم على الاسلام لما ينعسوا  
ماعنهم ويضيعوا التهليل (٤)

(١) : لاحظ البطل الثوري في الرواية العربية، احمد محمد عطيقص / ١١٥ • منشورات

وزارة الثقافة - دمشق / ١٩٧٧ •

(٢) : جبهة اشعار العرب • لابي زيد القرشي • ص / ٣٥٥ •

(٣) : السوام / الابل ترعى • عزيز • متفرقة من هزالها •

(٤) : الماعون : المعونه والبر والخير • والتهليل التكبير • اراد انهم محافظون

على الصلالة •

قطعوا اليمامة يُطردون كأنهم  
يحدون حُدُباً مائلاً أشرافها  
شَهري ربيع ما تذوق لبونهم  
واتاهم يحيى فشد عليهم  
كتباً تركن غيهم ذا عاصمة  
إن الذين أمرتهم أن يعدلوا  
أنت الخليفة عدله ونواله  
فما دفع مظالم عمت أبادها  
فترى عطية ذاك إن أعطيت

قوم أمابوا ظالمين قتيلاً  
في كل مقردة يد من رعيلاً  
الا حوضاً وخمة وذبيراً  
عقداً يراه المسلمون ثقيلاً  
بعد الغنى وفقيرهم مهزلاً  
لم يفعلوا مما أمرت فتيلاً  
وإذا أردت لظالمهم تكيلاً  
عنا وانقد شلونا الماكولاً  
من رينا فضلاً ومنك جزيراً

وإذا كان هذا يحدث في نجد وبين البدر ، فما كان يحدث في ريف العراق  
من العسف والظلم في جمع الخراج كان أشد وأحد ، وقد هاجر الموالي  
أزاء ذلك كله ففرع عمال الخراج إلى الحجاج وكتبوا إليه : " ان الخراج  
قد انكسر ، وان أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار ، فكتب السبي  
البصرة وغيرها ان من كان له أصل في قرية فليخرج إليها • فخرج النساس  
وعسكروا ، فجعلوا يبكون وينادون : يا محمداه • يا محمداه • • • وجعلوا  
لا يدرون اين يذهبون • فجعل قراء أهل البصرة يخرجون اليهم مقنعين  
فيبكون لما يسمعون منهم وينسبون " (٧)

وقد شعر عروبن عند العزيز بالظلم المحيط بأهل الأمصار من  
جرائم جمع الخراج ، فأمر أن يحل في غير ظلم ، فان يك كافاً فسبيل  
ذلك ، والا فالدولة توفّر للجند الأعطيات •

- (١) : الحذب : الأبل • الأشراف : الاسمة • المقرية : الطريق  
في الجبل الرعل : القطيع •
- (٢) : اللبون الناقة ذات اللبن • الذبيل : الياض •
- (٣) : العقد : ما تبه عليهم من الصدقات •
- (٤) : العيلة : الفقير •
- (٥) : الفهيل : ما يكون في شق التواة يريد : انهم لم يفعلوا شيئاً •
- (٦) : عمت : من التعليل ، وهو سوء الغذاء • الشلو • العضو •
- (٧) : تاريخ الطبري : ج ٦ / ٣٨١ •
- (٨) : تاريخ الطبري : ج ٦ / ٥٦٨ •

فالشاعر الراعي يتحدث عما حلَّ بقبيلته ، لكن هذا حال اغلب البلاد حتى صار كثير من الشعراء يعلنون هذه الحقيقة وهم يرفعونها الى من يتولى امارتها فقد ولي حارثة بن بدر كوره (سرق) من أعمال الأهواز ، فخرج اليها فشيّعته الناس ، وكان فيهم ابو الأسود الدؤلي ، فقال له :  
(١)

أحاربنَ بَدْرٍ قَدْ وَلَّيْتَ اِمْرًا	فكن جرداً فيها تخون وتسرق
فلا تحقرن يا حارث شيئاً تصببه	فحظك من ملك العراقين سرق
فإن جميع الناس إما مكسب	يقول بما يهوى وإما مفسد
يقولون أقوالاً بظن وشبهة	فإن قهيل هاتوا حقوقاً لمحققوا
ولا تعجزن فالعجز أخبت مركب	فما كل مدفوع إلى الرزق يُرزق
وبارز تميماً بالغلسي إنما الغلسي	لسان به المرء الهيوثة ينطسق

ولا شك ان الشعر الاقتصادي قد صور نظم الدولة الاقتصادية ، وما اعتيود تطبيقها من خلل واضطراب . كما صور المشكلة الاقتصادية في اطارها الاجتماعي وكان كثير من الشعراء يفرغ في هذا الشعر روح التذمر الاجتماعية والسياسية والمضايقة التي حلت بالناس ، والا فما هو المدخل الى الليل من كبار السولة الذين جنحوا عن الصواب وابتعدوا عن الحق كمصعب بن الزبير الذي راح يعبث بأموال الدولة ، وأخذ اعطيات الجند ويتركهم جياعا ليمهر سكينه بنيت الحسين الف الف درهم ، فيطلق صوت عبدالله بن همام السلوي فاضحاً قوى القهر الجديدة مخاطباً اخاه عبدالله بن الزبير وهو قابع في مكسبة :  
أبلغ امير المؤمنين رسالتي  
من ناصح لك لا يريد خداعاً  
بضح الفتاة بألف الف كاملاً  
وتبيت سادات الجنود جياعاً  
لولا بي حقم اقول مقاتلتي  
وأبث ما ابثتكم لارتاعاً  
واذا بدا واضحاً لدينا أن الشعر الاقتصادي قد فصح قوى القهر السياسي التي كانت تسيطر على رقاب المسلمين ومور الخلل والاضطراب الذي حل يكون قد وقعنا على دور الشعر في بيان سبب واضح من أسباب انهيار الدولة الإسلامية بشكل مبكر

(١) : ديوان أبي الاسود الدؤلي ص / ١١٨ . وقد تنسب الأبيات لاس ابن ابي اياس الدؤلي وحارثة بن بدر بن حسين التميمي . تابعي ، مات غرقاً في معركة مع الخوارج سنة

(٦٤) الاصابة ج ١ / ٣٧٠ .

(٢) : الاغني : ج ٤ / ٣٦٣ طبعة الساسي .

## المناحي التربوية

- التربية وبناء الشخصية
- الفضائل التي دعا إليها الشرع التربوي
- نتائج التربية الفاشلة

## التربية :

=====

التربية علم يرمي الى مساعدة الطفل والمراهق البالغ على تكوين شخصيتهم وتبنيها . وهي نظام اجتماعي ينبع من فلسفة كل أمة (٢) كما أنها عطية نمو ، بمعنى أن الغرض الأول والأهم والطريقة المثلى ، والأخطر هي أن تكون التربية مجالا للنمو المتربي جسدا وعاطفة وعقلا واجتماعا ومعرفة ومهارة ، إنها عطية نمو للشخصية الانسانية كاملة بوصفها كلاً لا يتجزأ ، بوصفها جسدا ونفسا ، عقلا وعاطفة وعملا ، بوصفها مواقف وتصرفات ، مشاعر ونوايا ، مفاهيم وأعمال (٣) . وعلى هذا تكون التربية من الوجهة الأولى ، علما معياريا ، ومن الوجهة الثانية جهازا اجتماعيا يعبر عن روح العقيدة السائدة في أمة من الأمم ، ومن الوجهة الثالثة حوضا خصبا تتكامل فيه كل متطلبات المتربي .

ومن التعريف الثاني أيضا تكون " التربية الاسلامية جهازا اجتماعيا يعبر عن روح الفلسفة الاسلامية من جهة ، ويحقق تلك الفلسفة من جهة أخرى " (٤) .

وقد لا يكون الشعور مزرعة للأعمدة التربوية التي تقوم عليها أمة من الأمم ، ولكنه لا يخلو من القيم التربوية ، والفضائل التربوية والبحث في شخصية الأولد الخلقية والنفسية والجسدية .

فاذا تجاوزنا تعريف التربية الى هدفها ، فليس من شك أننا لا نستطيع حصر هذه الأهداف أو تحديدها ، وإنما نكتفي بالحديث عن أهمها حسب ما جاء في الشعر الذي نثبته في هذا الفصل ، ونشير الى امتدادها المعاصر وأثرها في التربية العربية اليوم .

ولا يشترط أن تكون أهداف التربية العربية كما أرادها الشعر الاسلامي موافقة لأهداف التربية المعاصرة مادامت أهداف ومثل وطرائق كل أمة

(١) : لسان العرب ، مادة ربا ، ج ٣ / ص ٢٥٥ .

(٢) : التربية في الاسلام : د . أحمد فؤاد الأهواني . ص ٧ ، دار المعارف ،

بمصر ، القاهرة ١٩٦٨ م .

(٣) : معالم التربية ، فاخر عاقل ، ص ٤٨ - ٤٩ ، الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٦٤

(٤) : التربية في الاسلام : أحمد فؤاد الأهواني ص ٧ ، القاهرة ١٩٦٨ م .



تتغير بتغير الحياة ، وتطور أهدافها ومثلها . ان " أهداف التربية العربية المعاصرة وان اتفقت مع الاهداف العامة لكل تربية ، فانها تختص بأهداف تشاركها فيها جميع الامم الآخذة بأسباب التقدم والنهوض . وهذه الاهداف التربوية متصلة أوشق الصلصلة بأهداف العرب السياسية والاجتماعية والاقتصادية لا تتفصل عنها ولا تستطيع الا أن تخدمها " (١) .

وقد حدد بعض الباحثين (٢) في مجال التربية ، الأهداف التربوية العربية المعاصرة بما يلي :

- ١ - التحرر الاقتصادي والثقافي والاجتماعي والسياسي .
- ٢ - التقدم العلمي .
- ٣ - تنشئة المواطن الصالح .
- ٤ - خدمة قوميتنا العربية دون تعصب أو شطط .
- ٥ - العدالة الاجتماعية ، والديمقراطية الصحيحة .
- ٦ - تعليم المرأة (٣) .

والصورة الايجابية لهذه الاهداف واضحة ، غير أنها تزداد وضوحاً حين نعرف نوعية المواطن الصالح الذي نسعى الى تنشئته في التربية العربية المعاصرة . وقد كان هذا المواطن الصالح هدفاً رئيسياً للتربية العربية القديمة في أيام الاسلام الاولى .

ان الامم تختلف في تصوّر هذا المواطن ، كما تختلف في تحديد سماته وخصائصه . ولكن ما يجب أن تسعى التربية العربية الى بنائه في هذا المواطن غير مستحيل أيضاً . انه ذو عقل فكري متحرر وادراك كلي واع مفتوح ، متفان في عمله الموكل اليه ، غير شره ولا باغ ساع الى خدمة الخير ، لا يقبل ظلماً ولا حيفاً ، كما لا يسكت عن حق ضائع ولا ينزل سيفاً عن ظالم قاهر ، يتمتع بسمات المحبة والافسة لعيال الله كلهم ، عارف ماله وما عليه ، ليس ملاكاً كي لا يكون مستحسلاً خطاءً ثواب .

(١) : معالم التربية : فاخر عاقل : ص ٤٣ / دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٤ .

(٢) : د . فاخر عاقل .

(٣) : المصدر السابق نفسه .

وقد تجاوزت التربية الإسلامية القديمة تنشئة المواطن الصالح ، ولم تحصر نفسها في تربيته واعداده فقط . لأنها تسعى إلى هدف أعم وأشمل ، أنها تريد اعداد الانسان لتكون الانسانية كلها على تربية واحدة صالحة ، واحداثها الانسا الحق بجوهره الحق من حيث هو الانسان .

من هنا كانت التربية الإسلامية تعتمد في طريقتها معالجة الانسان كله معالجة شاملة دون اغفال شيء من الجوانب الروحية والوجدانية والعقلية والجسدية .

وقد سعى الاسلام أن يضع من مزيج طاقات الانسان كأنا بشريا ذا فعالية ايجابية . كما أدرك استعدادات الانسان المتباينة الموجبة والسالبة ، فلم يتركها كما تشاء كي لا تختل التوازن في الانسان الذى يريد الله قوة متكاملة .

وفي سبيل تحقيق تلك الاهداف لجأ الاسلام في تربيته إلى استخدام وسائل كثيرة أهمها : التربية بالقدرة وبالموعظة ، وبالا مثال وبالترغيب والترهيب ، وبالقصص . وقد كان لبعض الشعر التربوى في الاسلام شرف استخدام بعض تلك الوسائل التربوية التي يلقيها الشعراء أبناءهم .

وبما قيل : ان التربية ليست تلقينا ، وإنما ليست كذلك ، ولكن التلقين أحيانا من وسائلها . أنها فن وعلم مشدودان بطرفين رئيسيين هما المربي والمترس .

والتربية أنواع . فهناك التربية الجسدية ، والعقلية ، والاجتماعية والاخلاقية ، وتربية المثل العليا . وكون الحديث يدور حول الشعر التربوى ، فالتربية أنواع التربية فيه فجد عقلية ، واجتماعية وأخلاقية وتربية على المثل العليا ، وهو لا يخلو من تربية عسكرية كذلك . ولما كان الغرض الاساسي من حديث التربية هنا هو الشعر العربى في الاسلام ، لا التربية كما يريد القرآن<sup>(١)</sup> ، فانه لا بد من الوقوف ،

(١) : من أراد وسعة في هذا فليظفر :

- ١ - تاريخ التربية الإسلامية . د . احمد سليمي ، دار الكشف ، بيروت ١٩٥٤م
- ٢ - تاريخ التربية ، مصطفى أمين ، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٢٥م
- ٣ - التربية الإسلامية . د . احمد فؤاد الهواني . دار المعارف بمصر ٩٦٨

على الشعر الذى قيل من عهد النبوة الى عهد بني أمية • معلمين  
أننا لا نقصد بالتربية هنا المؤسسات التعليمية ، أو الطرق القسيسية<sup>التربسية</sup>  
بل المقصود بها العملية الصناعية الصعبة لان " صناعة الانسان ليست  
عملية عفوية سهلة ، بل هي أشرف الصناعات وأصعبها ، ودون أن تعرف  
أمم الارض أو بمعرفتها ، فان صناعة الانسان تؤثر على كل أنواع الصناعات  
تقدما أو تخلفا ، خيرا ، أو شرا ، ربحا أو خسارة ، أمانا ، أو أجيال<sup>(١)</sup>ا  
ان أهم ما يسدور حوله هذا الشعر هو بناء الشخصية في  
الولد ، وفرس الفضائل الرفيعة فيه كذلك •

---

(١) : د • على ، اسعد : كتاب الامهات : ص ٤٣ ، دمشق : دار السؤال •

بناء الشخصية كما جاء في الشعر التربوي الاسلامي :

=====

التربية في الشعر التربوي خلقية أولا ، ولا غرابة فهي تابعة عن مصدر ديني ، والدين أصل من أصول الاخلاق . وقد حوى هذا النوع من الشعر بيانا وأظهر كشافا بالاصول الاخلاقية للسلوك الانساني ، كما يريد هــ هؤلاء الشعراء ، وفيه بيان عن البواعث الخلقية ، ونظر في الحكم الاخلاقي ، وفي الخاية من الفعل الخلقى .

وحسب التعريف الاول للتربية والذي يقر بأنها علم معيارى ، تكونون % الاخلاق من العسوم المميزانية التي تبسط للناس مثالا عليا ينبغي اتباعها وتختلف عما يكون عليه الانسان في الواقع (١) .

ويعتبر المؤلفون الادبيون سقراط هو أول من تكلم في علم الاخلاق كلاما له قيمته ، بل يعتبرونه واضع علم الاخلاق ، حين أحس بتدهور الاخلاق ، وحلول أن يكشف عن المبادئ العامة الخلقية المسلم بصحتها وانتهى الى أن الفضيلة وليدة المعرفة أى أنها أمر يمكن تعليمها وتعلمها (٢) هذا شيء عن الاخلاق في الشخصية " أما الشخصية فهي من الشخص والظهور ، ومرجع الصفات الخلقية في تكوينها يعود الى المجتمع الذى جزه الشعراء ودرسوه ، وجربوه ، فصاروا يقدمون الاراء التربوية في المجال التجريبي لبناء الشخصية المحبوبة في المجتمع ، المتكاملة فهي نموها الخلقى والجسدى ، لتظهر ايجابية في تصرفاتها . وقد كان غرض الشعراء التربوي - في أغلب قصائدهم - غرضا منفصلا عن غيره ، قائما بذاته تربويا في أهدافه .

ومن خلال قصيدة للشاعر الاسلامي يزيد بن الحكم الثقفي وهو يخط ابنا له اسمه (بدر) نستطيع أن نقف على الاساليب التربوية التي يستخدمها الشعراء في تربية أبنائهم ، كما نستخلص الاهداف التربوية التي يراد الوصول اليها في تربية الاولاد عشية ساد الاسلام في الربع العربي وربما على أغلب العقول العربية ....

قال الشاعر يزيد بن الحكم :

يا بدر ولا مثال نضربها لذي اللب الحكيم

دم للخيل بسوده ما خير ود لا يسود

(١) : التربية في الاسلام ، د . أحمد فؤاد الهواني ، ص ١١٢ ، دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٦٨ .

(٢) : المدخل الى الفلسفة ، تأليف كولبة ، ترجمة أبو عالم غيفي ، ص ٩١ ، القاهرة مطبعة لجنة التأليف ١٩٤٢ م .



يعلم يصبح علمه وبالا عليه . وهذه قيمة تربية كـبيرة  
يقدمها الشاعر العربي في مجال التربية العملية بعيدا عن التظير الذى  
لا ينفذ دون عمل .

ثم يعلمه الحكمة ، ويوقفه على سراتساع الشر وسرعة انتشاره . وهو  
يسلط الاضواء على صغائر الامور ، وتجري مسحا للاحداث بأنواعها  
ويرى أن كبار الامور كانت صغيرة دقيقة ثم كبوت وعظمت واستضحك  
خطرهما .

وينصره حين يأخذه بيده ، ويمعه من اللجوء الى النار حين  
القلال . . . لانه سيجلب نارا آخر فيصرع أهله ، ثم يبين له نهاية  
كل ظلم ، وما نهاية الظلم الا ظلم وخيم يرتد على أهله الذين سارعوا  
اليه أولا .

ثم يعلمه شيئا من التربية التجريبية ، استقاء من الايام ، وأمورا  
أخرى ، فيقول :

والمرء يكرم للغنى      وهان للعدم العديم  
قد يقتر الحول النقصي      ويكثر الحق الاثيم (٢)  
يملى لذاك ويبتلى      هذا فأيهما المضميم  
على المتربي ألا يثق بعهود الايام والليالي ، ولا يركض خلف العصبية  
كثيرا ، فربما كشفت له الايام عن قطيعة للاخ القريب ، وصلة مبین  
بميد فيكون أخا لك لم تلده أمك .

وهذا مفهوم تربوى رفيع المستوى ، فيه الوجه الايجابى المهم  
اذ يشده الى الانسان ليرفع من شأنه ، ويحطم الحلقات الضيقة السبي  
تحجز الناس عن بعضهم وهي تحاول حصرهم في حجر الدم والعصبية  
المقيدة دائما .

ثم يخرج في تعليمه الاصول التربوية الى الواقع الاقتصادى للمرء ،  
وقيمته في حياة الانسان ، فيعناه عن ضياع المال والتبذير فيه . لان  
الناس يكرمون المرء لماله — أو هكذا يرى الشاعر واقع الحال على الرغم  
أنه عاش في وقت مبكر من التاريخ الاسلامي . قيمة مثل هذا

(١) : هذا رأينا في قوله

والتبل يصرع أهله      والظلم يرتعه وخيم

(٢) : الحول : كثير الحيل للوصول الى الرزق .

الشعر الايجابي تظهر أيضا في بيان أثر المال ودوره في مجتمع ما زالت  
تعاليم بيده ساخنة يشع ريحها ، ويحلو طعمها في كل بيت ، فتظهر  
أن المرء يكرم للفنى لا لشيء آخر ، ويحتقر الفقير لفقره . . .  
هذه المعاني التي تناولتها القصيدة تجعلنا وجها لوجه أمام حقائق  
اجتماعية مريرة ، وتجعلنا نتساءل عن الاثر الذي خلفه الذين في نفوس  
الناس كما أقره القرآن .

لماذا لم يظهر هذا الاثر قويا في نفس الشاعر ، ليقول لابن  
بأن المرء يحترم لدينه ، وعقله ، وعمله ، لا لماله أو سلطانه ؟ .  
هذا التساؤل يمثل الحقيقة المرة ، التي تقول بعدم قدرة التعاليم  
الدينية بالرغم من سموها في ذلك الوقت على الأقل - على غرس مفاهيم  
جديدة يحترم الإنسان بموجبها على نطاق جماهيري واسع ، لا على نطاق  
حوادث فردية قام بها جلة الصحابة ممن كانوا يثرون على انفسهم  
ولو أن بهم خصاصة من فقر وحاجة .

وكشف الشاعر العربي عن أمر مهم كما يفتر ولده بوجاحة  
عقله ظنا منه أن العقل كفيلا بتوفير المال فيعلمه أن الرزق غدير  
موقوف على العقل والتدبير ، وقد يفتر المحتال الحذر الذي يكثر  
من الحيل ، ويستغني الاحمق السيء العقل .

ويحاول الشاعر العربي ألا يفتر بشيء من الصفات المحمودة التي تحبها  
العرب في الفتى ، فيلجأ الى بيان سلبيات البخل ونهاية الانسان  
البخل منه والكريم .

قد يقصر الانسان متاخلا في تأدية الحقوق المالية متفيا برعاية  
المال والحلال وتتميتها في المرامي وهذا قصر نظر وقصور مذموم .  
عند الشاعر العربي الذي ضرب المثل بالانسان البخل كيف يبخل  
بماله وهو للحوادث كالهدف المنسوب للرمي .

ثم يعود الى الامثال فيعلمه أن من مضى من الامم باد وهلك كهلاك  
هوك الشجر المتفتت . وهذه حقيقة الحياة ونهاية لكل الكون . كل  
نسيم وسوس الى زوال وفناء .

وهذا النظر التربوي مأخوذ عن المجتمع ، حيث لجأ العربي الى  
واقع الحياة يقطع فيه لولده عينات معاصرة ، يذكره بحيوات خالية ،  
محاو لا اخراجه من ربة العبودية المادية . ليكمل الطال في يده ،

بدل أن يكون في قلبه - فيقول :

والمرء يبخل في الحقوق ، وللكلالة مايس (١)  
ويرى القرون أمامه همدوا كما همد العشيم  
وتخرب الديار فلا يؤمن يمدوم ولا لعسيم  
كل امرئ ستيم من العرس أو ملها يثيم  
ما علم ذى ولد أيشكله أم الولد اليتيم  
ويتفق الشاعر العربي في حديثه التربوي الرائد عند التربية العسكرية  
ومتدباتها الجسدية ، والقتالية بما للقتال من أدوات لا يستغنى عنها  
فيقول :

والحرب صاحبها الصليب على ثلاثها المزموم (٢)  
من لا يمل ضراسها ولدى الحقيقة لا يخيم  
واعلم بأن الحبيب لا يستطيعها الصريح (٣) والسوم (٤)  
والخيل أجودها المكنة هب عند كتبها الزوم (٥)

يدرك الشاعر بحكمته ضرورة التربية العسكرية لا تمام الشخصية في  
عالم التربية الفاضلة ، فيتحدث عن مستلزمات الحرب من فارس قسوى ،  
شديد ، يصبر على الشدائد المزعجة ، وعزم متين وقوة ارادة • وخيل  
لجينة كثيرة العدد وعند حملة الحرب ، عضوض على اللجام وذلك لشدة  
شباطها •

ان مجمل ما في هذه القصيدة تفيد أن الخير واجب لذاته ،  
يفعله المرء لانه واجب ، فالواجب الخلقي في التربية هو الغايمة  
لا الكمال ، أو قلقل انه الطيبة أو المفعة أو الايجابية التربوية الستي  
عرفها المناطق بالفضيلة •

ومن هنا كان لهذه الوثيقة احترام كبير في هذا المجال التربوي ،  
نعمدها لتستخلص منها أهداف التربية العربية للفرد في الاسلام كما ،  
جاءت في الشعر العربي ، وغير تلك التي سعى اليها القرآن الكريم أو

- (١) : الاسافة : اخراج المال الى المرعى •  
(٢) : الصليب : القوى الشديد ، وتلا تل الحرب : شدا دها المزعجة :  
والحزوم : الماضي على ماقد عليه من الحزم •  
(٣) : السوم : الطول ، كثير الضجر •  
(٤) : المناهب : من ينهب الارض في عدوه ، والكبة : الحملة في الحرب ،  
الازوم : العضوض •

(٥) : حماسة أبي تمام : ج ٢ / ص ٦٦ - ٦٩ / القاهرة • ١٤٥٥ م



الحديث النبوى . فعلى ضوء ماحللناه منها نستنتج الاهداف التالية :

- ١ - رعاية النمو النفسى والافعالى وفهم الذات .
- ٢ - الوقوف عند السلوك الاجتماعى ومعرفة القيم الايجابية للاخذ بها والسلبية لتجنبها .
- ٣ - الايمان بقيمة الصديق الوفى والخليل المحب لتماسك الافراد والجماعات .
- ٤ - الحفاظ على العلاقات الاجتماعية الطيبة مع الجار والضيف .
- ٥ - التواصل العلمى والقدرة على متابعة القراءة والكتابة والعلم .
- ٦ - رفض الظلم ، ومعرفة نهاية كل ظالم لتجنبه ، والاخذ بالعبوة اللازمة .
- ٧ - اناطة الرزق بالغيب ، وربط ذلك بالسعى الحثيث بما فى القسم الاول من سلبية غير مقبولة ، ولدت فكرة التواكل حتى ايامنا هذه .
- ٨ - العيش من خلال منظار المعرفة القائل بزوال كل ما فى الدنيا من نعيم أو بؤس .
- ٩ - العمل على تربية النفوس تربية عسكرية لان الحروب تحتاج الى نفس قوية ، وعزائم جبارة . ، والحفاظ على وسائل الحرب المهمة من باب الاحتياط والاعداد .

وبقى الحديث عن الاهداف التربوية العامة غير محصور فى نطاق هذه القصيدة وحدها ، فربما كان كثير من لخصنا الشعر قادرا على تحديد أغلب تلك الاهداف التربوية التى يريد العربى غرسها فى أولاده . وهذا النوع من أنواع الاهتمام بالأطفال الذى نجده فى الشعر العربى القديم ، يعتبر من أهم مميزات التربية الحديثية (١) . ان حديث بناء شخصية الأولاد الخلقية من خلال الشعر التربوى غير خاص بالذكر ، فبالإضافة الى أغلب تلك السمات التى للأولاد يريد الشعر للفتاة العربية أن تتحلّى بسمات كثيرة لتكون ذات شأن .

وقد ظهر التركيز التربوي على الفتاة منذ الجاهلية ، وقد أوضحت أمّ نabee أصول التربية المرادة للفتاة العربية في زوجها أيام الجاهلية وهي في واقع الحال ذخّر وذكر من أمّ الماضي لا أمّ الحاضر والمستقبل (١) ثم جاء الاسلام فلم يعد هذا الدور التربوي للبنات مقتصرًا على الامهات . وأصبحت التربية عطية بنائية متكاملة يشارك فيها الآباء والأمهات .

وصار الآباء يسعون في شغلهم التربوي الى معالجة ما استجد من حوادث أثرت على سلوكية الفتيات ، فصاروا يريدون لهن منهجا سليما يسد النقص في حياتهن الزوجية كي لا يشقى بهن أزواجهن وكي تصبح الواحدة ملهن متأهلة لبناء أسرة سليمة .

فأبو الاسود الدؤلي يريد بناء شخصية ابنته على أمور حسنة وأخرى معنوية . يريد أن يذهب عنها الغيرة ، وأن تأخذ بالعفو وأن تسبخ الوضوء للصلاة . كما يريد لها أن تأخذ زينتها التي أخرجها الله للعباد ، ويفصل لها أزين الزينة ، وأطيب الطيب . ثم يحدثها على أخذ العفو ، وكف الأذى ، فيقول (٢) :

" اياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق ، عليك بالزينة ، وأزين الزينة الكحل ، عليك بالطيب ، وأطيب الطيب اسباغ الوضوء ، وكوتي ككما قلت لا مك في بعض الأحيان :

خدي العفو متى تستدي مودتي ولا تنطقي في سوتي حين أغضب

فاني وجدت الحب في الصدر ولا اذى اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فحديث أبي الاسود مع ابنته حديث مرب دائم ، وقد وضع

خطوطا واضحة في تربية الفرد الشخصية حين أراد الخروج الى فارس

وطلبت منه ابنته ألا يخرج قائلة : يا أبت لك قد كبرت وهذا صميم

الشتاء فانتظر حتى ينصرم ويسلك الطريق أمنا فاني أخش عليك ، فأجابها

شعرا ضمنه مجموعة من أركان الشخصية الناجحة ، فقال : (٣)

(١) : د . علي ، اسعد : كتاب الامهات ، ص ١٣١ وطبعه دار الوال

(٢) : ديوان أبي الاسود الدؤلي : ص ٩٥ — ٩٦ / مطبعة المعارف ، بغداد

١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م .

(٣) : المصدر السابق ص ١٢٠ — ١٢١ .

إذا كنت مملئاً بأمر تربيده  
توكل وحمل أمرك الله اما  
ولا تحسبن السير أقرب للسردي  
ولا تحسبنني يا بنتي عز مذهبني  
وإني ملاقي ما قضى الله فاصبري  
وايك لا تدربن هل ما أخافه  
وكم قد رأيت حاذرا متحفظاً

ان الخصال الحميدة التي يمكن استنتاجها من شعر أبي الأسود دقيقة ، لطيفة . فالتفريق حاصل هنا بين التوكل من العزم الذي يبعد التردد ودقة محمودة أن يحمل المرء وأن يستقصي الاسباب ثم يحمل أمره الله بعد ذلك . ثم ان العمل ضرورة كبيرة للانسان يجب ألا يحول دون السير اليه خوف مما يخفيه القدر في هذا السير ، أو جلوس وتواكل .

فالموت الذي تخشاه المرأة على أبيها أو زوجها أو معيلها لا يصدده جلوس في البيت كما لا يجلبه رحيل في سبيل العيش ، فطالما أدرك الانسان موعد أهلـه وبين أصحابه .

واذا تذكرنا أن العرب تهتم بالشعر كثيراً وتحفظه سريعاً ، وتحمل بما جاء به ان كان محبوباً ، علماً أن مجمل ما يراد غرسه في شخصية الاولاد من قيم تربية عن طريق الشعر أفضل بكثير مما يراد غرسه عن طريق النثر . لان تكرار الشعر وتداوله يولد نوعاً من الثبات والالية في تصرفات المرء وأعماله . وحين تصل التصرفات الى درجة الثبات والالية تكون عنواناً للمرء ، وتنسب الى شخصية التي تشكل كلاً مجموعاً من عدة جزئيات . خلقية ، كالتوكل ، والعزيمة ، والعمل الجاد ، والامانة ، والصدق ، والسعي الحثيث في سبيل الرزق والمحبة الى آخر هذه الجزئيات التي جاءت في هذا النوع من الشعر التعليمي بما فيه من قيم ايجابية تربية . وقد بدا واضحاً أن الغرض من هذا الشعر تكوين الشخصية القوية الصالحة ، واعدادها للحياة الاجتماعية

كما بدأ أن يحدث تغيير في السلوك هو الغاية الأخيرة المقصودة من  
هذا الشمر . وهذا هدف التربية ، وهو من أهداف التعليم  
أيضا .

الفضائل التي دعا اليها الشعر التربوي :

=====

استخدم العربون غراس الفضائل في حقل التربية ، لعل أن الفضيلة تسد نقصا ، بل لأنها سمات ايجابية يفترض أن يتحلى بها المتربى ليأخذ دوره المطلوب في المجتمع .

ان تعليم الفضائل تربية بالمعنى المثالي وهذا يعني أن التربية القديمة أدركت أهمية المثل العليا في تنمية الافراد والجماعات وتبدت أهمية هذه المثل في أنها " تنبع من تاريخ الامة ومن حضارتها ومن ثقافتها ، ومن خبراتها الماضية ، ومن دينها ، ومن طرائق تعاملها وعلاقاتها بالامم الاخرى وعلاقات الافراد في (١) لها . " .

ثم ان التعليم المراد منه احداث تغيير في السلوك يفترض أن يأتي من انسان تراكت لديه الخبرات ليكون قادرا على استخدام الاسلوب الملائم والمؤثر في نفس المتعلم المقصود من وراء الاسلوب الناجح احداث التغير الايجابي في سلوكه . وقد يكون للفضائل دور كبير في احداث السلوك المطلوب ، وهذا ما يبرر استخدامنا الشعر التربوي القائم على تقديم الفضائل لعامة المتعلمين بقصد تنمية المثل العليا في صدور هؤلاء المتعلمين . ومن المفيد لنا أن نتصدى لبعض هذا الشعر لنقف على الفضائل الخلقية الكبيرة التي يزخر بها ، وهو يحاول صناعة الانسان الحق بأبي الحضارة دائما .

وما يجب معرفته هو أن لكل شاعر أسلوبه الخاص في غرس هذه المثل . فبعضهم يلجأ الى بيان السلبي من القيم وفضحتها ، ليأخذ المتربى بها لفها من قيم ايجابية ، وبعضهم يلجأ الى المباشرة في التعليم المثلي الهادف .

هناك الدعوة الى تجنب انسان السوء اللئيم ، الجبان ، ثقيل الروح الذي لا يصبر على زلة تبدر منك مهما كانت ضئيلة ، وأنت الإنسان ، فيهم عليك بلا رحمة ، ويوقعك في خصومة أنت في غنى عنها ، ثم يسعى جاهدا أن يخلم منك . كثير سؤال الناس ، شحيح في عطاءه جشع في حياته . وقد نهى أبو الاسود الدؤلي صديقه صاحب

---

(١) : معالم التربية : د . فاخر عاقل ، ص ٣٣ ، بيروت ، دار المعلم

هذه القيم السلبية وذمه وهو يدعو الى مجابهته قائلاً (١) :  
 لا توادخ الدهر جبسا واضعاً      فلهب الشد السريح المنزع (٢)  
 ما يبل منك فأحلى مغنم      ويرى ظرفاً به أن تمنعه (٣)  
 يسأل الناس ولا يعطيهم      هبلته أمه مأجشمه  
 ثم يلجأ الى المباشرة في التعليم المثلي الهادف في القصيدة ذاتها ، فيكشف  
 عن فضيلة الصدق التي يجب أن يتحلى بها المرء مادام الكذب لا بد  
 أن يكتشف ، ويخزي صاحبه أمام الناس • كما يعلم الشاعر العربي  
 حسن المعاملة التي من أصولها ألا يهين المرء من اكرمه كما في  
 قوله (٤) :

حقيق القول اذا ما قلت      واحذرن مغزاته في المجمة  
 لا تهني بعد اكرامك لسي      فشديد عادة متزعمة  
 ومن الاصول التربوية الايجابية التي يريد الشعر غرسها في المتربي  
 قضية بحثت فيها التربية المعاصرة كثيراً ، تلك هي قضية الصدق  
 في الوعد مع الاولاد ، والوفاء بالعهود ، وعدم الكذب عليهم أولهم  
 ولنقل انهم استخذوا أهم وسائل التعليم من تشويق واثارة ، وتصريح  
 ايجابي كقول باحداث النجاح من خلال تنفيذ الوعد أو الوعيد •  
 والا هم من ذلك أن يكون العطاء للوفاء ، لا بويقا يقوى التعزيز السلبي •  
 وقد أدرك أبو الاسود الدؤلي من خلال التربية التجريبية التي  
 خاضها في الحياة القيمة الفعلية لهذا الاسلوب الناجح في التربية  
 فقال (٥) :

لا يكن برقك برقاً خلساً      ان خير البرق ما لغيث معه  
 فمثل هذا المسعى في التربية يحدث جدية في تحقيق المواقف المطلوبة  
 مادام القول يحقق فعلاً أمام التلميذ دائماً • فالبرق مؤثر لا بد أن ،  
 يحدث استجابة • فان كان الغيث مرافقاً له ، فهي الاستجابة الايجابية

(١) : ديوان أبي الاسود الدؤلي : ص ٣٧-٣٨ ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٤

(٢) : الجبس : اللثيم الثقيل الريح ، الراضع : اللثيم • ولهيب الشد : سريح

الحمة والتهمج • والمنزعة : الخصومة •

(٣) : الظرف : الحذوق والبراعة •

(٤) : المصدر السابق نفسه •

(٥) : المصدر السابق نفسه •

المطلوبة ، وان كان الغيث خلّبا لا غيث معه ، فهي الاستجابة السلبية المذمومة •

وهناك دعوة الى التمسك بالحق ، والابتعاد عن الباطل ، وهذا أمر خطير في حياة الافراد لبناء الامة القوية فبالحق تشيب النفوس على العزة والكرامة والمحافظة عليه في تربية الافراد يحقق راحة كبيرة في النفوس التي اذا شعرت بالحق وبالارتياح أنتجت فتقدم لتقدم أفرادها ، قال أبو الأسود (١) :

لا تشدد بن بحق باطل      ان في الحق لذى الحق سعة  
والدعوة الى الصمت اذا لم يسأل الانسان فضيلة تربية يريد الشعراء •  
المربون غرسها في عقول المتعلمين • وهي من كمال قوام شخصية المرء  
الذي يجب عليه -- ليكون حاديا على الكثير من سمات الشخصية  
السليمة -- ان يتجنب ما لا ينفع من الكلام • وان يتحلى بخير الخصال  
أطل الصمت اذا لم تسئل      ان في الصمت لا قوام دعه  
رب ما شحدث قاله      لا يضر المرء ان لا يسأله (٢)  
ومن الملاحظ خلال تتبع شعر أبي الأسود الدؤلي أن مجموع آرائه  
تشكل فصلا خاصا في التربية الفاضلة ، وتربية المثل العليا • كما  
شاركه غيره من الشعراء هذا الغرض من وقفوا على التربية السلي  
تفيد فأثبتوها شعرا لمكانة الشعر في النفوس • فقد دعا  
مسكين الدارمي (٣) الى حسن اختيار الماحب وأكد على القيمة  
الفردية للخليل • من خلال التأكيد على حسن اختيار هذا الخليل  
فاشترط للصحة الصفات الحسنة الكثيرة • وطالب بالصدق مع الناس  
وتجنب الكذب ذلك الداء الذي ينخر عظام الامم المتخلفة فيقصد لها

(١) : المصدر السابق نفسه •

(٢) : أبو الأسود الدؤلي ، المصدر السابق نفسه

(٣) : هوربيعة بن عامر بن أياف من دارم تميمي من أهل العراق •

عن النهوض ، خاصة وأن الصدق في معناه الواسع باب تربية كبير وحده . وأكد الشاعر العربي على الجوهر لا المظهر فقال (١) :

أصبح الأختيار وأرغب فيهم      رب من صحبته مثل الجرب  
وأصدق الناس إذا حدثتهم      ودع الكذب لمن شاء كذب  
رب مهزول سمين عرضهم      وسمين الجسم مهزول الحسب

كذلك على المرء أن يتجنب صحبه الاحمق ، لاسباب واقعية . فهو مصاب بانحراف كبير في صحته النفسية المتلهلة وما دام الحال عنده غير صحيح نفسياً ، فانه من الخطأ مجالسته ، لانه سيفسد المجلس ، ولن يستمع الى قول الحق فيعزوى ، بل يتنادى في غيبه وحمقه . وقد لخص الشاعر العربي كل هذه المطالبات في قوله (٢) :

اتق الا حمق أن تصحبه      انما الاحمق كالثوب الخلق  
كلما رقت منه جائباً      حركته الريح وهناً فاحرق  
أو كصدع في زجاج فاحش      هل ترى صدع زجاج يتفك  
وإذا جالسته في مجلس      أفسد المجلس منه بالحق  
وإذا نهضته كي يرعوى      زاد جهلاً وتنادى في الحمق

ثم يلجأ الشاعر الى تقسيم الناس الى فصائل متوافقة أو متنافرة ، فالمحصول الخلقى عند فاحشين التقيا واحد . ويرى أن الفحش يأتي بالعادة . فاذا تكررت آيته عند المرء صار فاحشاً ، وصار كغراب سوء أو حمار سوء ، أو غلام سوء ان جاع سرق جاره أو شبع فسد وفسق (٣) يقول :

وإذا الفاحش لاقى فاحشاً      فهناكم وافق الشن الطبق  
انما الفحش ومن يعنتاده      كغراب سوء ماشاء نطق  
أو حمار سوء ان اشبعته      رمح الناس وإن جاع نهق  
أو غلام سوء ان جوعته      سرق الجار وإن يشبع فسق

ولما كان الشاعر يريد للمرء أن يتجنب الفحش ، فقد صار يبين أنه يتكون بالعادة ، ولجأ الى كشف سلبياته عن طريق ضرب الامثلة كوسيلة

(١) : خزائن الادب ، ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر البغدادي ج ٣ / ٧١

القاهرة ١٢٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

(٢) : المصدر السابق نفسه / ص ٦٩ / ٧٠

(٣) : المصدر السابق نفسه .



من وسائل التربية الناجحة في تجنب القيم السلبية •

نتائج التربية الفاشلة :  
=====

ليس أصعب على المرء من الفشل ، ولا سيما إذا كان هذا الفشل  
تربوياً • فإنه يولد الاحباط ويغمر المرارة والقسمة والالام •  
فقد يمضي الاب وقتاً طويلاً من حياته في تربية أبنائه ، ثم  
يفشل في تربية أحدهم ، أو في تربيتهم كلهم ، فيعيش الالام  
والحزن ، ويعتصر قلبه أسى يجعله يستعرض تاريخ المتابعة  
التربوية التي صرف عليها شطراً من حياته في صورة من  
التربية التجريبية • كما في قول أمية بن أبي الصلت (١) وقد  
أدرك فشله في تربية أحد أولاده فعقه (٢) وخذله :

غدتك مولودا وعلتك يافعا	تعل بما أدنى إليك وتهمل
إذا ليلة نابتك الشكو لم أبت	لشكواك الا ساهرا أتلمل
كأني أنا المطروق دونك بالذى	طرقت به دولي وعيني تهمل
فلما بلغت السن والغاية التي	اليها مدى ماكنت فيك أو مل

ثم يستمر في حديثه بالحسنى مذكرا اياه بأنه لما أدى حق التربية  
جازاه بالسوء والمجاهرة • كأنه صاحب الدمة والفضل ثم تمنى  
— حين لم يرع حق الابوة — لو أنه عامله معاملة الجار لجاره بالرعاية  
ثم يعاتبه على تصرفه معه حين لم يجد له ما يكافئه سوى أن ينسبه  
الى الغباوة !... وأدرك الامور لعلم أن التفيد في رأيه  
هو لا في رأى أبيه • وهكذا هياً نفسه للخلاف والرد على أهل  
الصواب كأنه مجبول على ذلك ما ألم أباه وحز في نفسه فقَالَ (٣)  
جعلت جزائي منك جبها وغلظة

فليتك اذ لم ترع حق أبوتي	كأنك أنت المعصم المتفضل
وسميتني باسم المفيد رأيه	فعلت كما الجار المجاور يفعل
تراه معدا للخلاف كأنه	وفي رأيك الفيد لو كنت تعقل
	بررد على أهل الصواب موكل

(١) : عبدالله بن ربيعة • من الشعراء المخضرمين • وهو من ثقيف شاعر مجيد •

(٢) : حماسة أبي تمام ج ١ / ص ١٥٤ • القاهرة ١٩٥٥ م •

(٣) : المصدر السابق نفسه •

وإذا فشل الأب في تربية أولاده ، فإنه يصل إلى قمة الاحباط .  
فيحاول التعبير عن ألمه الكبير بهجائهم وذمهم ، ويكشف لنا عن  
سوء معاملتهم له في وقت تقسو فيه تلك المعاملة حتى يصبح أبهم  
بهم أولاً هم بسلبه .<sup>(١)</sup>

وحين نتذكر أن التربية هي علاقة بين المربي والمربي تعذر  
في عدم تجاوز هذه العلاقة السلبية .  
وهكذا تكون التربية كما صورها الشعر التربوي قد تعهدت وحدة  
الشخصية في مسعاها إلى تربية الطبع والتعمق في صوغ العواطف .  
وان التواصل الاجتماعي لا يكون إلا بحاطفة جياشة ووجدان مرفف  
والتربية لا تكون ثمرة إلا إذا أنشأت الطفل عن حب الحق والخير ،  
والجمال . كما أنها لا تؤدى رسالتها إلا إذا ارتفعت بالأسان إلى  
آفاق المحبة والتضحية والنضال من أجل الحق والحريّة والمثل العليا .  
ومن هنا تأتي أهمية التربية القديمة في تكوين المجتمع العربي المعاصر  
وفي الوقت الذي صارت الانحزالية عن التربية العالمية أمراً مستحيلاً  
في هذا الوقت يجب ألا ننزل عن التربية الإسلامية القديمة  
لأنها كما ذكرنا تعهدت وحدة الشخصية حين تجاوزت تربية الذكاء  
للولوصول إلى تربية الطبع .

وكي تكون التربية الإسلامية التي نقصدها واضحة تماماً أما من  
يهمهم إعادة النظر في التراث ، لابد من الاعتراف بأن الهدف الذي  
يرمي إليه شعر التربية الإسلامية أوسع بكثير مما رمى إليه فقهاء  
أهل السنة ، والمختصون ، بالتربية منهم . لأن هذا الشعر دعوة  
إلى تعليم جوهر الدين ، وعظيم الأخلاق ودعوة إلى بناء الشخصية  
المتكاملة التي تجعل المرء في وقتنا الحاضر أكثر حضارة وفتحاً  
وتشجيعه على مد يده إلى أناس آخرين يشاركونه بناء المدينة  
التي يتمتع بها العالم المعاصر .

كما تبعد عنه التحجير ، وتوصله بالعقلاء أصحاب المثل العليا  
وصلاً مبنياً على اختيار واضح بعيد عن المطابقة الدينية ، أو الاقتصادية

(١) : انظر أعرابياً يهجو بنيهم في أمالي القالي : ج ٢ / ص ١٩٨ ، دار

الكتب المصرية ، ١٩٢٦ م ، تصوير ، دار الفكر ، بيروت .

أو العرقية • وإنه اختيار أرضه صُلبة مادامت مبنيةً على القيم  
والمثل العليا التي تفجر المحبة في قلب الإنسان لا خيه الإنسان  
وقد نعرف قيمة الشعر الإسلامي! التربوي أكثر حين نقارن غرضه  
بالغرض الذي يريده أهل السنة وبعض علماء التربية الذين جعلوا  
الغرض من التعليم والتربية عندهم " هو معرفة الدين ، عطاءً  
وعملًا (١) .

---

(١) : التربية في الإسلام : د . أحمد فؤاد الأهواني ، ص ٩٩ ، دار المعارف  
بمصر ، القاهرة ١٩٦٨ م .

# ثمرة البحث

لدراسة الشعر العربي خطوط كثيرة من أهمها دراسة قائمة على أساس من استعراض تاريخ الادب، وبيان أهم الأغراض الشعرية التقليدية والجديدة ودراسة قائمة على تناول شخصيات الشعراء تحت ما يعرف بالتراجم • فكان من الطبيعي وأنا ابحت فيما يفيد أن أقف عند خط جديد في دراسة الشعر العربي ، فاخترت الايجابية والسلبية في هذا الشعر ، ضمن مدة محصورة بين الجاهلية والاسلام •

ولست أدعي أنني قد ركبت سنام البحث الادبي في هذه الدراسة كل ما في الامر أنه قد تأتي لي أن أقف وقفة جديدة أمام الشعر العربي القديم ، وبشكل خاص أمام المقطعات الشعرية التي لم تلق الالتفات المناسبة من الباحثين والدارسين •

وقفت لا أشير الى مواقف جديدة لا صاحب تلك المقطعات من مفاهيم عربية وانسانية أحياناً •

وهذا ما يفسر تجاوزنا للمنتعة الفنية التي تمتلكها تلك المقطعات فقد اعطينا اهتمامنا الى تلك النصوص على انها مواقف من مفاهيم تعكس لنا احوال المجتمع العربي ، وعلى انها سجلات حية نستقرئ فيها دقائق الظروف الاجتماعية ، والفكرية ، والاقتصادية والتربوية ، من خلال ما يصورف بالدراسة التي تقوم على الفهم التاريخ والاجتماعي ، وضمن المنهج التاريخي والاجتماعي في دراسة الادب ، مع الاسقاطات العصرية حسب تطورها كل مفهوم من تلك المفاهيم من حالة الايجاب الى السلب ، او من السلب الى الايجاب بحسب العصر والموقف •

والجديد الذي يمكن رؤيته من خلال دراسة المقطعات الشعرية التاريخية والاجتماعية ، هو بناء مفاهيم جديدة عن المجتمع العربي بين الجاهلية والاسلام وأخذ صورة جديدة او جديدة عن الشعر العربي في هذه المرحلة بعيدا عن الدراسات النقدية التي ترى الشعر اغراضاً متعددة •

ولأن تلك المقطعات الشعرية كانت تأتي في غالب الاحيان رد فعل سريع على حدث ما ، أو مفهوم ما ، فألقي وثقت بصديق مضامينها ودقة تصويرها للاحداث التاريخية والاجتماعية التي رسمتها تلك المقطعات للمجتمع العربي بين الجاهلية والاسلام في المناحي التي تناولناها في البحث •

كما ان هذه المقطعات الكثيرة جعلتنا نقف على شعراء كثيرين منهم انقل المجد ومنهم المكثر المجد • وأغلب هؤلاء من المغومرين الذين

يشكلون في مجموعهم تيارا آخر يقابل تيار شعراء القصور ، يمكن لشعرهم ان يسد " كثيرا من الفجوات التي تطالعنا في أدبنا العربي .

فالدراسة تخطت المفهوم المدرسي في دراسة الادب العربي من جهة الوقوف عند اغراض شعرية جديدة تلقى الضوء على قيمة أخرى للشعر العربي وتظهر أثره في الحياة العربية المعاصرة عامة .

إن التجارب الأدبية العربية المعاصرة ، وللت بوضوح على ان الدراسات التي بين ايدينا للادب القديم ليست كافية ، لانها بين محققة ومجلة لذلك الماضي .

ولنا اعتقد بضرورة نظرة ثالثة علنا على ايجاد الخط اقنر في دراسة الادب القديم يتناول أهم جوانب الحياة ، فيبين السالب والموجب تكون الإضاءة .

ان تحقيق الماضي يعني تحقيقا للحاضر ، كما أن اجلال الماضي لا يعطي الشرعية للحاضر ، ويجب أن نعترف أن الماضي حي ، فالماضي هو الحاضر ولا يوجد شيء يقذف في سلة مهملات التاريخ .

وإذا كنا نريد أن نحقق نجاحا في أدبنا الحاضر ، فإن علينا أن نبحث عن هذا النجاح في أدبنا الماضي ، فإذا نجح أدبنا الحاضر على أساس من نجاح الماضي ، أمكنا أن نتوجه إلى بناء مستقبل سليم على أساس من الماضي .

وهما يكن من قيمة بحثنا هذا في ذاته ، فإنه فيما يعرضه هنا يبدأ النقاش الجاد لشعرنا العربي القديم الذي يغص بالأخطاء . . . .

إن الاحوال المادية العربية بما أحدثه الخس الاقصادى العربى ادخله النفط العربى ، وما أحدثه قيام المشاريع الاقتصادية الكبرى في الوطن العربى . والاحوال الفكرية الجديدة التي أحدثتها تيارات فكرية حديثة ، مادية وروحانية ، بعضها جديد وبعضها مستند على القيم ، أكدت ضرورة التجديد الادبي ليلائم التجديد الشعرى التجديد الاجتماعى والفكرى والاقتصادى والتربوى .

وحين عدنا لتلقي نظرة جديدة على ادبنا القديم بهدف احياء التجارب الصالحة منه في بناء المستقبل ، لم نوافق المجتمع العربى على جميع قيمه ، ولم نتنازل عن حقنا في الحكم على كل مفهوم من خلال الموقف المواجه له ليأتي ما يكون في الشعر المعاصر والمستقبلي مستثيرا بنو السالب والموجب فيما كان .

كذلك فتجاوز الشوامخ من شعراء العصرين في أغلب الدراسات والوقوف عدد شعراء آخرين يمكن أن يرسموا صورة أخرى للشعر العربي ، يقوى تيار الخط الجديد في دراسة الادب ، لاسيما بعد أن يتاح لنا الوقوف على مجموع واسع من نتاج هؤلاء المغمورين .

وليحذر الشعراء اليوم أن يقيموا في الخطأ الذي وقع فيه الكثيرون قبلهم حين جعلوا من أنفسهم مجرد أدوات لرأى القبيلية أو لرأى الحاكم . فيقرنون أنفسهم هؤلاء في نظرة عصرية شاملة ، فيطلي عليهم انتقادهم الحزبي أو القومي ما ينبغي أن يقولوه بعد أن تحدد لهم المضامين والقضايا .

ان الشعراء يجب أن يعرفوا أنهم هبة الله للبشرية ، ورسالة محبته الدائمون . وتعميق التيار الايجابي الخير من أهم مهمات رسالة المحبة ، وكشف التيار السلبي وتنفير الناس منه ، لا يقلل عن التيار الايجابي مهمة عند هؤلاء الشعراء .

وهذا الخط الذي نعتقد جدته يجب أن يجعل من الشعراء اصحاب نفوس لوامة ، تحاسب أصحابها على كل خطوة يخطونها فتشجع خط الخير وتعززه ، وتشبط خط الشر وتشجبه في اطار اساي عام ، لافي اطار اقليمي ضيق . وهذا شقيقي فيما يعتقد أنه تجريح أو انتقاص من شأن بعض المفاهيم العربية السلبية التي مرت دراستها ضمن ثنائيا البحث وتضاعفه .

وببقى أن أشير في خاتمة هذا الموضوع الى اكانية استكمال هذا البحث في دراسة بقية العصور العربية حتى العصر الحديث . ليتتم استكمال هذا الخط في دراسة الشعر العربي ، كما يمكن تبني هذا الخط الجديد في دراسة النثر العربي ، لتكتمل لدينا صورة جديدة عن الادب العربي كله . وعلى الله قصده السميع .

## الفهارس الفنية

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الأعلام

فهرس البلدان والمواضع

فهرس الفهارس



## فهرس المصادر والمراجع

الالف :

- الأمدى ، المومتلّف والمختلف ، مطبعة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٤ هـ .
- ابن الاثير ، جامع الاصول ، مكتبة الحلواني والملاح والبيان ، دمشق ١٩٧١ م
- أسد الغابة ، كتاب الشعب ، القاهرة ١٩٧٠ م .
- الكامل في التاريخ ، بيروت ، ١٩٦٥ م
- ابن حزم اللدلي ، الفصل في الملل والاهواء والنحل ، القاهرة ، ١٣٢٩ هـ
- ابن رشيق ، الحمدة ، القاهرة ، ١٩٦٨ م
- دار الجيل ، بيروت ١٩٧٢ م .
- ابن حجر ، الاسما بة ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٣ هـ .
- فتح الباري ، دار المعرفة ، بيروت ، بلا تاريخ
- ابن سحنون ، آداب المعلمين ، طبع حسن حسني عبد الوهاب ، تونس ، ١٣٤٨ هـ
- ابن سلام ، طبقات الشعراء ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٢ م .
- ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، المطبعة الازهرية ، القاهرة ١٩٤٩ م .
- ابن مؤاحم ، وقعة صفين ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٣٨٢ هـ
- ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٩ م .
- ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .
- الشهبو الشعراء ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٣٢٣ هـ
- ابن هشام ، السيرة النبوية ، الشلبي والابيارى ، وابو الفضل ، القاهرة ١٣٣٧ هـ
- ابن يعقوب ، تاريخ اليعقوبي ، نشر هوتسا ، ليدن ١٨٨٣ م .
- أبو الأسود الدؤلي ، ديوان ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٤ م
- أبو تمام ، الحماسة ، مطبعة محمد علي عبيح ، القاهرة ١٩٥٥ م .
- أبو حيان ، التوحيد ، البصائر والذخائر ، مكتبة أطلس ، دمشق ١٩٦٤ م .
- أبو زيد القرشي ، جمهرة اشعار العرب ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة بلا تاريخ
- دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٦٧ م
- أبو سعيد التميمي السمعاني ، الانساب ، مكتبة المتنبي ، بغداد ، ١٩٧٠ م .
- أبوسعبد ، محمد بن احمد ، الابانة عن سرقات المتنبي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة
- ١٩٧٤ م .
- أبو علي القالي ، الاطلي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٥ م .
- دار الفكر ، بيروت بلا تاريخ
- أبو الفرج الاصفهاني ، الاغاني ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٩ م .
- دار الكتب ، القاهرة .
- طبعة الساسي ، القاهرة .

- أبو الفرج الاصفهاني ، الاغاني ، طبعة بولاق ، القاهرة ١٩٢٠ م .  
الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٧٠ م .  
أبو الفضل أبراهيم ، جاد المولي ، البجاوى ، ايام العرب في الجاهلية ، القاهرة  
أبو صالح محمد بدر الدين ، المدخل الى العربية ، مكتبة الشرق ، حلب ، ١٩٦٣ م  
أبو هلال العسكري ، كتاب الصنائع ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، بلا تاريخ  
الاوائل وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٥ م .  
أحمد أمين ، فجر الاسلام ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٩ م  
أحمد شلبي ، السياسة والاقتصاد في التفكير الاسلامي ، الطبعة الثالثة ، القاهرة  
تاريخ التربية الاسلامية ، دار الكشاف ، بيروت ١٩٥٤ م .  
أحمد فؤاد الامواني ، التربية في الاسلام ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٨ م  
أحمد محمد عطية ، البطل الثوري في الرواية العربية ، وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧٧ م  
أسعد علي ، كتاب الامهات ، دار السوئال ، دمشق ، ١٩٧٨ م  
مصباح القراءة للتأليف العلمي ، دار السوئال ، دمشق ، ١٩٧٩ م  
تفسير القرآن المرتب ، منهج ليسر التبروي ، دار السوئال ، دمشق  
٩٧٩ م .  
فن الحياة ، فن الكتابة ، دار السوئال ، دمشق ١٩٧٧ م  
الأصمعي ، الاصمعيات ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٤ م .  
الأعشى ، ديوان ، الطبعة النموذجية ، القاهرة ١٩٥٠ م  
دار صادر ، ودار بيروت ، بيروت ١٩٦٠ م  
لجين ، ١٩٢٧ م .

( الباب )

- بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٥ م .  
البغدادى ، خزنة الأدب ، بولاق ، القاهرة ١٢٩٩ هـ  
البلاذرى ، فتوح البلدان ، ليدن ١٨٦٦ م .  
القاهرة ١٣١٩ هـ

( التاء ) :

- التبريزى ، شرح القصائد العشر ، دار الاصمعي ، حلب ، ١٩٧٣ م .

( الثامن )

ثريا ملحس ، القيم الروحية في الشعر العربي ، دار الكتاب اللبناني  
بيروت ، بلا تاريخ .

( الجيم )

الجاحظ ، البيان والتبيين ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٦٨ م  
الحيوان ، الحلبي ، القاهرة ١٩٤٨ م .

دار صعب ، بيروت ، بلا تاريخ .  
جبروان السابق ، الكنز ، الطبعة الاولى ، بيروت ، بلا تاريخ .  
جميل صليبة ، المطلق ، الطبعة الثانية ، بيروت ، بلا تاريخ  
جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار العلم للملايين  
بيروت ١٩٧٠ م .

الجسوالقي ، المغرب ، القاهرة ١٩٦٩ م .  
جمن فريزر ، الحسن الذهبي ، دراسة في السحر والدين ، القاهرة ١٩٧١ م .

( الحاء ) :

حسان بن ثابت ، ديوان ، طبعة البرقوقي ، القاهرة ، بلا تاريخ .  
حسن سحران ، معجم أنكليزي عربي ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ١٩٦٧ م .

( الخاء ) :

خير الدين الزركلي ، الأعلام ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، بلا تاريخ

( الدال ) :

داميان غرانك ، الواقعية ، لندن ١٩٧٠ م .

( الـ ذال ) :

الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، دار المعارف بمصر ، القاهرة بلا تاريخ .  
دمشق ، ١٩٨١ م .

(الراء) :

ر — بلاشير ، تاريخ الادب العربي ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٣ م

زكريا ابراهيم ، مشكلة الحرية ، دار مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ م  
(السين) :

السيوطي ، اسباب النزول ، دمشق بلاتاريخ  
سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٩٦٧ م  
سلامة بن جندل ، ديوان ، المكتبة العربية ، حلب ، ١٩٦٣ م

(الشين) :

الشهرستاني ، الملل والنحل ، القاهرة ، ١٩٦٨ م  
شوقي ضيف ، العصر الاسلامي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، بلاتاريخ  
التطور والتجديد في الشعر الاوى ، لجنة التأليف والترجمة  
النشر ، القاهرة ، ١٩٥٢ م

(الطاء) :

الطبرى ، تاريخ الاسم والملوك ، لندن ١٨٩٣ م  
دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٧ م  
طه ابراهيم : تاريخ النقد الادبي عند العرب ، دار الحكمة ، بيروت بلاتاريخ  
طه حسين ، في الادب الجاهلي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٢٧ م  
الطيفلي الخوى ، ديوان ، لندن ، ١٩٢٧ م  
(العين) :

عبد الفتاح طبارة ، روح الدين الاسلامي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٨ م  
عروة ابن السورد ، ديوان ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٥ م  
عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسي للادب ، دار الثقافة ، بيروت .  
عمر فروخ ، تاريخ الادب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٩ م  
عقريبة العرب في العلم والفلسفة ، دار اليقظة ، دمشق بلاتاريخ

عدة مؤلفين ، الوعي التربوي ، مكتبة رأس بيروت ، بيروت ١٩٧٢ م .  
(الفـاء) :

فريدريك فون دير لاين ، الحكاية الخرافية ، القاهرة ١٩٦٥ م .  
(القـاف) :

قد امه بن جعفر ، نقد الشعر ، مكتبة الخاجي بمصر ، والمثنى ببغداد ١٩٦٣ م .  
(الكـاف) :

كعب بن زهير ، ديوان ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، بلا تاريخ .  
كمال يازجي ، معالم الفكر العربي في العصر الوسيط ، دار العلم للملايين  
بيروت ١٩٧٤ .

(الـلام) :

ليلى صباغ ، المرأة في التاريخ ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٥ م .  
(الميم) :

المازندراني ، مناقب آل طالب ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٧٦ م .  
الماوردي ، الاحكام السلطانية ، القاهرة ١٩٠٩ م .  
المبرد ، الكامل القاهرة ، ١٩٣٧ م .  
محمد أسعد طلس ، التربية والتعليم في الاسلام ، دار العلم للملايين  
بيروت ١٩٧٥ م .

محمد النويهي ، الشعر الجاهلي ، دار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة بلا تاريخ  
محمد غنيمي هلال ، الادب المقارن ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .  
محمد باقر الصدر ، اقتصادنا ، دار الفكر ، بيروت بلا تاريخ .  
محمد مندور ، النقد المتهجي عند العرب ، مكتبة الفجالة ، القاهرة ، بلا تاريخ  
محمد كرد علي ، الاسلام والحضارة الدينية ، لجنة التأليف والنشر والترجمة  
القاهرة ، ١٩٥٩ م .

المرتضى ، الامالي ، دار السعادة ، بيروت بلا تاريخ .  
المرزباني ، العوشح ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، بلا تاريخ .  
المسعودي ، مروج الذهب ، مكتبة الشرق الاسلامية القاهرة ، بلا تاريخ  
بولاق ، القاهرة ١٢٨٣ هـ .

مسلم ، صحيح مسلم ، القاهرة ١٣٤٩ م .  
المفضل الضبي ، الفضليات ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٤ م .  
المولي والبجاوي وابو الفضل ، أيام العرب في الجاهلية ، دار احياء الكتب العربية  
القاهرة ١٩٤٢ م .

(النون) :

- العثمان القاضي ، شعر الفتوح الاسلامية ، في صد الاسلام ، الدار القومية ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .  
النويرى ، زهر الاداب ، القاهرة ، ١٩٥٣ م .  
نهاية الارب في فنون الادب ، القاهرة ، نسخة مصورة ، بلا تاريخ  
نورى حمودى القيسي ، الطبيعة في الشعر الجاهلي ، دار الارشاد ، بيروت ١٩٧٠ م  
الفروسية في الشعر الجاهلي ، مكتبة النهضة ، بغداد ١٩٦٤

(الهاء) :

- هـ . آ . ل ، تاريخ أوربا ( العصور الوسطى ، القسم الاول ) ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٧ م

(الياء) :

- يوسف بيومي : النقد الادبي ، دار الجيل ، القاهرة ، ١٩٧٤ م  
يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٦ .  
حياة الشعر في الكوفة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨ م  
مجلات ودوريات وبحوث خاصة :  
١- العربي ، العدد ٢١٦ ، ١٩٧٦ م .  
٢- مجلة الجامعة الاسلامية العدد الثاني ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م  
٣- المجلة العربية ، السنة الثالثة ، العدد الثالث .  
٤- المجلة العربية ، السنة الرابعة ، العدد الرابع .  
٥- استراتيجية تطوير التربية العربية ، بحث خاص وضع لجنة المظلمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٧٩ م . جامعة الدول العربية .  
٦- المجلة الآسيوية مجلد ١٩٠٥ .  
٧- منشورات اتحاد الكتاب العرب ، المؤتمر العام الثاني عشر دمشق ١٩٧٩ م .  
٨- محاضرات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٥٤ م

فهرس الأعوم



- آل طالب : ١٨٦ —  
الامدى : ١٣٣ —  
ابن أبي عيش : ٢٧٢  
ابن يبيص : ٢٤٧  
ابن الاثير : ٥٧ — ٦٣ — ٧٩ — ١٠٧ — ١٧٥ — ٢٤٥ — ٢٥٧ •  
ابن الاعرابي : ١١٥ — ١٢٠ —  
ابن جرير : ١٧٧ — ١٨٩ •  
ابن جني : ٢١ —  
ابن حجر : ٦٠ — ١٥٨ •  
ابن حرب : ١٤٢ •  
ابن الحر : ٢٦٢ •  
ابن حزم : ٧٢ •  
ابن خلدون : ١١٦ •  
ابن خلکان : ٣٥ •  
ابن دريد : ٨٣ •  
ابن رباح : ١٥٤ •  
ابن رشيقي : ٥ — ٧ — ٨ — ٢٠ — ٢٦ — ٤٣ — ١٠٠ — ١٥٥ — ١٥٩ —  
— ١٦٩ — ١٧١ —  
ابن الزبير : ٢٧٠ — ٢٧١ — ٢٧٥ — ٢٧٨ •  
ابن زياد : ١٨٩ •  
ابن اسحاق : ١٠٨ — ١٢٠ —  
ابن سحر : ٢٠٨ —  
ابن سعد : ٨ — ٢٣٤ — ٢٣٥ •  
ابن السكيت : ٢١٧  
ابن سلام : ١٦٠ — ٢١٧ •  
ابن سفيان : ١٧٤ •  
ابن الشجرى : ٥٠ •  
ابن صفية : ١٨٨  
ابن عباس : ١٩٩ •  
ابن عبد : ٢٦٢ •

— ٢١٤ —

• ابن عبد ربه : ٦٨ — ١١٧ — ١٤١ — ١٤٤

• ابن عبد العزة : ٣٢

• ابن عساكر : ٦

• ابن غلاب : ٢٢٧

• ابن قتيبة : ٢٠٨

• ابن كثير : ١١٥

• ابن مزاحم : ١٧١ — ٢٢١ — ٢٢٢ — ٢٢٣

• ابن مفصل : ٢٢٧

• ابن هشام : ٦

• ابن ممام : ٢٣١

• ابن يوسف : ٢٠٨

• ابو الاسود الدؤلي : ١٩٨ — ١٩٩ — ٢٧٨ — ٢٩٠ — ٢٩١ — ٢٩٢ — ٢٩٣

• — ٢١٤

• ابو بكر الصديق : ٧٥ — ١٧٠ — ٢٠٦ — ٢٠٧ — ٢٤٦ — ٢٥٨

• ابو البلاد الطهوي : ٦٤

• ابو البلاد الكوفي : ٢٤٨

• ابو تمام : ٣٢ — ٤٢ — ٨٠ — ٨١ — ٨٣ — ١١٨ — ١٢٧ — ١٣٢ — ١٤٣

• ٢٠٤ — ٢٠٥ — ٢٨٨ — ٢٩٨

• ابو جرول الجشمي : ١٥٧

• ابو حسن : ٢٠٦

• ابو حمزة الضبي : ٢١٤

• ابو حفص : ٢٧٨

• ابو حيان التوحيدى : ٢٤٦ — ٢٥١ — ٢٥٣

• ابو اسحاق : ١١٩

• ابو سفيان : ١٤٢ — ١٧٣ — ٢٠٦

• ابو سعيد التيمي السمعاني : ٣١

• ابو داود : ٧٤

• ابو زيد : ٧٤ — ٢٣١ — ٢٧٤ — ٢٧٦

• ابو زيد الطائي : ٢٥١

• ابو الطروق الضبي : ٢٠١

• ابو عبيدة البكري : ٥٩

- أبو العاصم : ٢٨٥
- أبو العلاء المصري : ١٢٠ — ٢٨٤
- أبو عمرو بن العلاء : ١١٣ — ١٤٣ — ٢٢٦
- أبو علي القالي : ٩٩ — ١٣٠ — ٢١٧
- أبو كسيرة الهذلي : ١٤٣
- أبو المختار : ٢٢٨ =
- أبو الفرج : ٥٣ — ٦٤ — ٢٤٧
- أبو هريرة : ٣٩ —
- أبو هلال العسكري : ٨ — ٧١ — ٧٢ — ١٠٤ — ١٠٩ — ١٩٩ — ٢٠٠
- ٢٢٦
- أبو الوليد : ١٧٦
- أم ياس : ١٤١
- إبراهيم : ١١٧ — ١١٩ — ١٢٠ — ١٢١ — ٢١٥ — ٢٨٥
- احسان سرکيس : ٨٤ — ٨٥
- احمد امين : ٦ — ١١٦ —
- احمد شلبي : ٢٨٢
- احمد فؤاد الالهواني : ٩١ — ٢٨٠ — ٢٨٢ — ٢٨٤ — ٢٩٦
- احمد محمد عطية : ٢٧٦
- احيه بن الجلاح : ٩٣
- ارست رينان : ١٦٥ — ١٧٢ — ١٧٣ — ١٧٨ — ١٨٠
- اسعد بن عمرو بن المنذر اللخمي : ٤٤
- اسعد علي : ٢ — ١٤ — ١٩ — ٢٢ — ٦٦ — ٩٢ — ١٢٣ — ٢٨٣ — ٢٩٠
- اسماعيل : ١١٩
- اسد : ١٠٨ — ١٨٠
- الاشتراكي : ١٧٩ — ٢٢١
- الاشعث : ١٧٣ — ١٧٤ — ٢٢٠ — ٢٢١
- الاصمعي : ٣٥ — ٣٨ — ٨٢ — ١٠٣ — ١٢١
- اعشى همدان : ٢٦٥
- الاعشى : ٦٧ — ٨٥ — ٨٦ — ٩٨ — ٩٩ — ١٠٠ — ١٠١
- الحسن بن جحيه : ٢٦٠

أعس بن أبي أناس : ٢٣٣ → < ٧٨ .

أف اللاقة : ٢٢٠ .

أمروء القيس : ١١٢ — ١٧٣

أمية بن أبي الصلت : ٧١ — ١٢١ — ٢٩٨ .

أمية بن خلف : ٨٤ — ١٢١ —

أمية : ( القبيلة ) ١٥٦ — ١٧٦ — ١٧٧ — ١٨٠ — ٢٠٧ — ٢٣٢ —

• ٢٧٥

أمين الحسيني : ٥١ .

أكثم بن صيفي : ١١٩ —

أياد : ٨٥ — ١٢١ — ٢٠٨ .

أياس بن القائف : ١٢٧ —

أيمن بن حزم : ٢٤٢ .

أوس بن حجر : ٤٣ — ٦٩ — ٧٢ .

( ب )

- بشر بن ابي خازم الاسدي : ٤٦
- بشر بن ابي ربيعة : ١٩٠
- بشر بن المحتضر : ٢٢٧
- بشر : ٢٥٧ — ١٣٣
- بروكلمان : ٤٢
- بغدادى : ٣٢ — ٣٥ — ٢٢٣
- بلاشير : ٥ — ٧ — ٨ — ٤٠ — ٤٢ — ١٥٠ — ١١٦ — ١١٧ — ١٢٢
- البلاذرى : ٢٢٦ — ٢٥٨ — ٢٦٢ — ٢٦٣
- بكرى شيخ أمين : ٢ —
- بكر : ٢٣٩
- بلي زبيد : ٢٢٧
- بني أمية : ٢٨٣
- بني خلف : ٢٧١
- البوج بن مسهر الطائي : ٨١
- بجير : ١١٢
- البرابرة : ١١٣
- البيزنطيون : ١٤٥

( ت )

- تابطشوا : ٦٤
- التبريزى : ٣٥ — ٣٧ — ٣٨ — ٤١ — ٤٢ — ١٠٢ — ١٠٣ — ١١٣ — ١١٤
- ١١٥ — ١٢٠ — ١٢٧ — ١٣٢ — ١٤٣
- الترمذى : ٧٤ — ١٧٩ — ٢٥٠
- تميم : ٨ — ١٨٠ — ٢٣٩

( ج )

- جابر بن حنين التغلبي : ١٠٤
- الجاحظ : ٧ — ٢٦ — ٣٤ — ٥٩ — ٦٢ — ٦٣ — ٦٤ — ٦٥ — ٦٦
- ٦٧ — ٦٨ — ٧١ — ٧٢ — ١٥٧ — ٢٠٨ — ٢١٠ — ٢١٤ — ٢٦١

- جسّاد المولى : ٤٦ - جبير من مطعم  
 • جبير بن مطعم : ٢٥٨  
 • جروان السابق : ١٧  
 • جرير : ١٩٠  
 • جزّ بن معاوية : ٢٢٧ -  
 • جعفر بن قريش : ٢٢٠  
 • جعفي : ٢٦٧  
 • جميل بن مسمر الحذري : ٣٥  
 • جميل صليبة : ٢٤  
 • جواد علسي : ٣١ - ٣٤ - ٣٧ - ٤٩ - ٥٨ - ٦١ - ٦٧ - ٧٠ - ١٠٩  
 • ١١٩ -  
 • الجواليقي : ٢٤

( ح )

- حاجب بن حبيب : ١٣٩ - ١٣٥  
 • حاجب بن زارة : ٤٦  
 • الحارث بن ضاد الجرهمي : ٧٥ -  
 • الحارث بن ولاة الشيباني : ٤٦  
 • الحارث بن ورقاء الاسدي : ١٠٣  
 • الحارث بن عوف : ١٠٢ - ١١٣ - ١٢٠  
 • الحارث بن أبي شمر الفخاري : ٤٣ - ٤٥ - ١٠٦ - ١٠٧  
 • الحارث بن بدر التميمي : ٢٣٠ - ٢٣٣  
 • الحارث الفلابي : ٢٢٨  
 • حافظ الجمالي : ٢٣  
 • حافظ بن حجر : ٥٩  
 • حبابسة : ٢٢٣  
 • حسان بن ثابت : ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ١٥٤ - ١٥٦ - ١٦٠ - ١٦١  
 • ١٦٢ - ١٦٩ - ١٧٥ - ١٧٧ - ٢٢٠  
 • حسان بن ممدوح : ١٧٣ - ١٧٤ - ٢٢١  
 • الحجاج : ٢٢٧ - ٢٣٧ - ٢٤٥ - ٢٦٥ - ٢٦٧  
 • الحليثة : ٩٤ - ١٥٤ - ١٧٠ - ١٦٨ - ٢١٧ - ٢٢٠

- حصين بن الحمام : ٨١
- حصين بن المطذر : ١٨٠ — ١٨١
- حسن حسني عبد الوهاب : ٢٠٨
- حسن سمحان : ١٧
- حسكة بن عتاب : ٧
- الحسين بن علي : ١٨٦ — ١٨٧ — ١٨٩ — ١٩٠
- حنظلة بن الفسيل : ٢٠٩
- الحكم بن عبد الاسدي : ٢٦١
- خميد الارقط : ٨٣
- حمزة : ٢٤٤

( خ )

- خالد بن عبدالله القسري : ٢٤٦
- خالد بن الوليد : ١٨٦
- الخانجي : ٣
- خزامي بن عبد : ٢٤٠
- خزر بن لوزان السندوسي : ٦٢
- الخطيل : ١٧٠
- خلف الاحمر : ١٤٤
- خير الدين الزركلي : ١٧٨
- الخطيب التوسري : ٩٢

( د )

- داميان غراك : ٢٢
- دريد بن الصمة : ٣٨

( ذ )

- الذهبي : ١٢١
- ذي الاصبع العدواني : ٤٨ — ٤٩ — ٦٥

( ر )

- الربيع بن زياد : ٤٧
- ربيعة بن سفيان : ١٢٩
- ربيعة بن مقروم : ٤٩ — ٥٠
- ربيعة : ١٧٤ — ٧٦ — ١٧٨ — ١٨١ — ٢٢٠ — ٢٢١

• الرشيد : ٨٢ .

• ريسان : ١٨٥ — ٢٤١ .

( ر )

• رمرقان بن بدر : ١٧٠ —

• الرثير بن بكار : ١٥٧ — ١٨٩ .

• رارة بن عدس التميمي : ٨٤ .

• الزبيدي : ١٠٨ .

• زياد بن أبيه : ١٧٨ —

• زياد : ٢٠٨ .

• زهير بن أبي سلمى : ١٠١ — ١٠٢ — ١٠٣ — ١١٢ — ١١٣ — ١١٧ — ٢٢٠

• زكي الرسوزي : ١٠٩ .

• زكريا ابراهيم : ١٨٧ .

• زيد بن عمر بن نفيل : ١٢١ .

• زيد مائة بن تميم : ١٣٩ .

( س )

• سانت بييف : ٩ .

• سجستاني : ٢١٧ .

• سعيه بن القريشي : ٤٠ .

• سعد بن ابي وقاص : ١٥٨ — ١٩٠ — ١٩٢ — ١٩٣ .

• سعادة : ١٧٧ .

• سعيد : ٨٣ .

• سعيد : ٢٣٦ .

• سعيد بن زيد : ٢٦٤ .

• سيد بن هبار : ٢٣٠ .

• السفاح بن الرقراق : ٧٥ .

• سليم قهوجي : ٢ .

• السلسل بن عمرو : ١٧٢ .

• يلامه بن جندل : ٩٠ .

• سلطان الفارسي : ٢٣٩ .

• السكري : ٢١٧ .

• سمرة بن جندب : ٢٣٠ .



- سهم بن حنظلة : ١٢٨ — ١٢٩
- سهيل بن عمرو : ١٤٢
- السجوطي : ٦ — ٣٢ — ١٣٧
- سويد بن عبدالله التميمي : ٣٤
- سويد بن أبي كاهل اليشكري : ٢٤٩
- سويد بن الصامت الانصاري : ٢٤٩
- سواد بن قارب : ٢١٠
- سوير جيمس : ١٦٦

( ش )

- شبل بن معبد البجلي : ٢٢٧
- شداد بن عارض الجشمي : ٢٤١
- شريح بن هانئ : ١٧٤
- الشعبي : ٦
- الشمس : ٥٣
- الشنفرى : ٨٠ — ٩٣ — ١٣١ — ١٣٣ — ١٤٤ — ٢٥٢
- الشهرستاني : ٧٢ — ٢٣٧
- شوقر ضيف : ٦١ — ٦٨ — ١٥٣ — ١٩٦ — ١٩٧ — ١٩٨
- شيبان : ١٥٨ — ٢١٦
- الشمترى : ٢٦٤
- شأس بن بهار : ١٠٥ — ١٠٦ — ١٠٧
- شجاع بن وهب : ١٠٧
- الشقيطي : ١٢٠

( ص )

- صفوان بن أمية : ٩٣

( ض )

- الضحاك بن قيش : ٢٤٢
- ضبة : ١٣٠

( ط )

- الطبرى : ١٧٠ — ١٧٧ — ١٧٨ — ١٨٢ — ١٨٩ — ١٩٠ — ٢٠٦ — ٢٠٩
- ٢٣٢ — ٢٤٢ — ٢٦٠ — ٢٦٧ — ٢٦٨ — ٢٧٠
- الطرماح بن حكيم : ٢٠٠

— ٣٢٢ —

طرفه الخزيمي : ٤١ •  
طرفه بن العبد : ٥ — ٣٢ — ٣٨ — ٩٢ — ١١٢ — ١١٤ — ١١٥  
• ١٢٩

طه ابراهيم : ٥٣ — ١٦٠ •  
طه عبد الحسين : ١٧٦ —  
طه حسين : ٨ — ٨١ — ٨٤ — ٢٥٧ •  
الطفيل الدوسي : ٦ •

( ع )

عامر بن شراحيل : ٦  
عامر بن مسعود : ٢٧١ —  
عادل جاسم البيهاتي : ٢٣  
عاصم : ٢٢٧ •  
عامر بن أبي حجر : ٤٥ •  
عاصم بن القرية : ٦٦٦  
عامر بن الطفيل : ١٤٤ •  
عامر بن وائلة : ١٨٠ — ١٨١ •  
عبدالله بن الزبير : ٥ — ٢٣١ •  
عبد الملك بن مروان : ٦ — ٢٤٢ — ٢٤٥ — ٢٤٦ •  
عبدالله بن الحارث : ٢٥٢ •  
عبد الله بن كثير السهمي : ٢٦٣ •  
عبد الرحمن بن الاشعث : ٢٦٥ •  
عبد الرحمن بن عبدالله : ٢٢٩ — ٢٣٠ — ٢٣١ — ٢٦٥ •  
عبدالله بن خليفة : ١٨٢ •  
عبدالله بن همام : ١٨٢ — ٢٧٠ — ٢٢٩ — ٢٥٩ — ٢٦٢ — ٢٦٣  
٢٧٠ — ٢٧٨ •  
عبيد الله بن شداد : ٩٤ •  
عبد قيس بن خفاف البوحي : ٣٤ — ٨٤ — ١٣٧ •  
عبيد الله بن سوار : ٢٠٠ •  
عبد السلام هارون : ٣٤ — ٦٥ — ٦٦ — ٦٧ — ٧٢ — ٩٧ — ١٠٤ — ١٢١

- عبدالله بن عصفور : ٢٧١
- عبدالله بن جدعان : ١٠٨
- عبيد بن الإبرص : ١١٢ — ١١٥ — ١٢٠ — ١٣٠
- عبده بن الطبيب : ١٣٩ — ١٤٨ — ٢٠٩
- عبدالله النديم : ١٠٥ — ٢٧٦
- عبدالله بن رواح : ١٥٤
- عبد المطلب : ١٥٨
- عبدالرحمن بن حنبل : ٢٢٨
- عبيد الله بن زياد : ١٨٩ — ١٩٠
- عبدالله الغزال : ٢٠٠
- عبد مناف : ٢٠٦
- عبدالله بن غطفان : ٢٤٨
- عباد بن الحصين : ٧
- عبيد بن أيوب : ٦٣ — ٦٤
- عز الدين اسماعيل : ٢٦
- عز الدين بن الاثير : ٤٤ — ٤٥ — ٤٩ — ٥٠
- عروة ابن الهمد : ٦٨
- عدى ابن زيد : ١٤٤
- عدى الطائي : ٢٢١
- عدى ابن حاتم : ١٨٢
- عدى بن رعاء الفسائي : ٥٠
- عدى بن زيد العبدي : ١١٤
- عثمان بن عفان : ١٦٩ — ١٧١ — ١٧٢ — ١٧٦ — ٢٢٨
- عصام بن عبيد الزماني : ٣٣
- علي : ١٥٧ — ١٥٨ — ١٥٩ — ١٧١ — ١٧٢ — ١٧٤ — ١٧٨ — ١٧٩ — ١٨١ — ١٨٨
- ٢٠٠ — ٢٠٦ — ٢٠٧ — ٢٢١ — ٢٢٢
- علقمة ابن عبده : ١٤٣
- عمرو بن هند : ٤٣ — ٥
- عمرو بن الخطاب : ١٩١ — ١٩٢ — ١٩٣ — ١٩٧ — ٢١٠ — ٢١٥ — ٢١٦ — ٢١٧ — ٢٢٦
- ٢٢٨ — ٢٤٦ — ٢٥٨ — ٢٦٠ — ٢٦٤
- عمرو بن معد يكرب الزبيدي : ٣٢ — ١٩٢ — ١٩٣ — ١٩٤
- عمرو بن هند : ١٠٤ — ١١٢

- عمرو بن المنذر : ٤٩-١٠٥
- عمرو بن كلثوم : ٤٥
- عمرو بن الحارث : ٧٥
- عمرو بن حجر : ١٤١
- عمر بن سعد : ١٨٩-١٩٠
- عمر بن عبد العزيز : ٢٣٢-٢٣٣-٢٦٨
- عمر فروخ : ١١٢-١١٣-١١٤-١١٦-١١٧-١٦٠
- عمير بن شميم : ٢٠٥
- عمير بن الاملب : ٢٠٩
- عطيق : ٣٦
- عمير بن جعل : ٣٤-٣٥
- عقيل بن أبي طالب : ٢٥٨
- عنتر ابن شداد : ٣٥
- عفيف طبارة : ١٦٤-١٦٥-٢٤٨-٢٥٠
- عوف ابن عطية : ٥٩
- عوف بن مسلم : ٢٤١
- عيسى البابي الحلبي : ١٧٤

— غ —

- غالب غانم : ٢
- غالب : ٢١٨
- غلاب : ٢١٨
- غزوان : ٢٢٧
- غسان بن وطة : ٨٣
- غسان : ١٤٤-١٥٥
- غيظ بن مرة : ١٣٣

— ف —

- الفاكه بن المشيرة : ١٤١
- فاطمة بنت الخطاب : ٢٦٤
- الفرس : ٢١٦-٢١٧-٢٥٧
- فريدريك لافسون ديولايسين : ٦٥
- الفرزدق : ٢١٨-٢١٩-٢٢٣
- فخر الدين قباوة : ١٠٢-١١٤-١١٥-١٧٥

الفضل بن العباس : ٢٠٧ •

فرات بن زحر : ٢٧٢ •

— ق —

القالبي : ١٤٢—١٤٤—١٥٢—٢٩٥ •

القاسبي : ٩١ •

قناني بن جعفر : ٣ •

القريط بن ايف : ٣٧—٣٨—٢٠٤ •

قريبش : ١٠٨—١٠٩—١٢٠—١٥٤—١٥٦—١٧٦—١٩٢—١٩٣—١٩٦—٢٥٨ •

• ٢٥٧

قريب : ٢٢٠ •

قطبة بن اوس : ١٤٤ •

قنير بن حجار : ٢٧١ •

قس بن ساعدة : ١٢١—١٢٢ •

قتيبة بن مسلم : ٢٦٧ •

قيس بن عاصم : ٩٣ •

قيس بن يزيد : ٢٧١ •

— ك —

كارل بروكلمان : ١٠١ •

كعب بن جعيل : ٣٥ •

كعب بن مالك : ١٥٤—١٥٥ •

كعب زهير : ١٤٧—١٦٢ •

كعب بن سور الازدي : ٢١٥ •

كعب الاشقري : ٢٣٢—٢٣٤—٢٦٧—٢٧٥ •

كعب بن زهير : ٢٥٤ •

كمال يازجي : ٢٣٧ •

الكعيت : ٢٤٤ •

كلثوم بن عمرو التغلبي : ٤٥ •

كلثم : ٢١٨ •

كنانة : ١٨٠ •

كنده : ١٧٣—٢٢٠—٢٧١ •

— ل —

ند

ليبد بن ربيعة الحامري : ٣٥—٤٧—١٢٠ •

لطف المفلوطي : ٢٦١ •

• ليلى صبباغ : ٦٩

( م )

• مايكوفسكي : ٨

• مالك بن هبيوة : ١٧٣

• المازندراني : ١٨٦

• المشنى : ٣ - ٣١

• الموردي : ١٠٣ - ٢٥٨

• مارجوليث : ١١٥

• مجاشع بن مسعود : ٢٢٧

• مرة بن عباد : ٨٣

• المخلق : ١٠٠ - ١٠١

• المزار الفقهسي : ١١٨

• المرزوقي : ٤٦ - ١١٨

• المرزباني : ٣٤ - ٥٠ - ١٦١ - ٢٤٦

• محمد غنيمي : ٨ - ٢٦١

• محمد بدر الدين أبو صالح : ٢٤

• محمد النوبهي : ٣٣ - ٣٤ و ٧٨ - ٨١ - ١٠٣

• محمد علي صبيح : ٨٠

• محمد حسين : ٨٦

• محمد مندور : ٥٣

• محمد الكفراني : ١٦٠

• محمد بن بشر : ٢٥٧

• محمد باقر الصدر : ٢٥٦

• محمد بن مسلمة : ٢٢٨

• محمد بن طلحة : ٢٠٩

• محمد عبده : ٢٦١

• محمد كرد علي : ٢٣٣

• محمد : ٢١٥ - ٢٤٠ - ٢٦٨

• محمد عبد الهادي : ٢٥٤

• محمد أحمد علي : ١٠٥

• محمد مصطفى زيادة : ١١٣

- محمد أسعد طالس : ١١٩
- محمد بن عمير : ٢٧٢
- محمود شكري الالوسي : ٦٧
- المخبل السعدي : ١٥٨ — ٢١٦ — ٢١٨
- مخزومة بن نوفل : ٢٥٨
- المختار : ٢٧٢
- مصاد بن مذعور : ٦٠
- مضر : ١٤٣ — ١٨١
- مصعب بن الزبير : ٢٦٣
- مصطفى صادق الرافعي : ٩٧ — ٢٦١
- المرقش الاصفر : ١٢٩ — ١٣٠
- المرقش الاكبر : ١٢٩
- المنذر بن ماء السماء : ٧١ — ٢٠ — ١٠٦ — ١٠٧
- مروان بن الحكم : ٢٤٢
- معاوية بن أبي سفيان : ١٧١ — ١٧٢ — ١٧٣ — ١٧٤ — ١٧٧ — ١٧٩ — ٢٣٠
- ٢٢٩ — ٢٣٢
- معاوية بن ثور : ٢٥٧
- معاوية بن خديج : ٢٣٠
- معاوية بن صخر : ٢٢٩
- معاوية بن الضحاك : ٢٢٢
- محسن بن أوس المزدي : ٢٥٤
- محمر بن الثني : ٢٢٦
- المتشرب بن وهب : ١٠٦
- المتسير زكولي : ٢٥٠
- المكعب : ٥ — ١١٢ — ١٣٠
- المهلب بن أبي صفرة : ٢٣٢
- ميمون بن قيس بن جندل : ٩٨
- ( ن )
- النابغة : ٥٩ — ١١٢ — ١٤٧
- النابغة الجعدي : ١١٨

النعمان بن المذر : ٣٤ — ٤٣ — ٤٤ — ٤٧ — ٨٤ — ١١٢ — ١١٦ — ١١٧

• نبيلة ابواهيم : ٦٥

• نبيه بن الحجاج : ١٠٩ — ٢٦٤

• النجاشي : ٢٢١

• نجيب البهيتي : ١٦٠

• نصر بن مزاحم : ١٧٩

• نصر : ٢٢٧

• النضر بن الحارث بن كلة : ١٥٧

• النعمان القاضي : ٢٣٧

• النعمان بن عوف : ٢٢٧

• النعمان بن عدى : ١٩١

• النمر بن تولى : ٨٣

• النويرى : ٦٥ — ٦٨ — ٦٩ — ٧٠ — ٧٢ — ١١٥

• نمير : ٢٣١

• النوار : ٥

• نوري حمود القيسي : ٨٦ — ١٣٤

• النورى : ٣٩ — ٦٥ — ٦٨ — ٦٩ — ٧٠

( ه )

• هاشم الدفتردار : ١٦٤

• هاشم : ١٧٧

• هاشمي : ١٢٢

• هاشم بن حرمل : ٢٠٩

• هاشمي بن عمرو : ١١٥

• هرم بن سلطان : ١٠٢ — ١١٣

• هوذة بن علي الحنفي : ٨

• هبلد بنت عقبه : ١٤١ — ١٤٢

• همذان : ١٧٨ — ٢٧٢

• همروس : ١٠

• هوانن : ١٥٧ — ١٨٠



( و )

- واصل بن عدنان : ٢٠٠
- وائل : ٢٢٠
- ورقة بن نوفل : ١٢١
- الوليد بن عقبة : ١٧١ — ١٧٢
- وكيع : ٢١٥
- الولدال : ١١٣

( ي )

- ياقوت : ١٢٥
- يحيى الجبوري : ١٣ — ١٥٣
- يزيد بن معاوية : ١٠٩
- يزيد بن المهلب : ٢٦٧
- يزيد بن قيس الصعق : ٢٢٦
- يزيد بن عبد الملك : ٢٢٣
- يزيد بن ضبة الثقفي : ١١٥ — ١٢٠
- يزيد بن عمرو : ١٣٩
- يعزى بن الحكم الثقفي : ٢٨٤ —
- يزيد بن أبي العامر : ٢٨٥
- اليعقوبي : ١٢٥ — ١٢٦ — ٢٣٢
- يوسف بن موسى : ٣ —
- يوسف عز الدين : ٢٥
- يوسف خليف : ١٧٨ — ١٩٩ — ٢١٠ — ٢٦٣
- يونس بن حبيب : ٢٢٦

## فهرس البلدان والنواضع

( أ )

- ابوقبيص : ١٠٨
- افريقيا : ١٢٥
- انكلترا : ١١٣
- الامواز : ٢٧٨
- اربيا : ١١٣
- ايطاليا : ١١٣

( ب )

- باريس : ٩
- البصرة : ٦ — ١٥٧ — ١٧٨ — ١٨٨ — ١٩١ — ١٩٢ — ٢١٨ — ٢١٩
- ٢٢٧ — ٢٦٠ — ٢٦٩ — ٢٧٧
- البحرين : ٥ — ١١٢ — ٢٠٠
- بدر : ١٧٥ — ٢٢٤ — ٢٣٣ — ٢٤٢ — ٢٨٤
- بغداد : ٣ — ١٣ — ٣١ — ١٥٣ — ٢٩٤
- بيروت : ٣ — ٥ — ٧ — ١٧ — ٢٠ — ٢٤ — ٢٦ — ٢٧ — ٤٢ — ٤٤ — ٤٥
- ٤٦ — ٤٧ — ٥٠ — ٥٣ — ٥٤ — ٥٨ — ٦٠ — ٦١ — ٨٢ — ٨٥
- ٩٠ — ٩١ — ٩٤ — ٩٧ — ١٠٠ — ١٠١ — ١٠٧ — ١١٧ — ١١٩
- ١٢١ — ١٥٧ — ١٦٠ — ١٦٤ — ١٦٩ — ١٩٦ — ٢٠٠ — ٢٠٦
- ٢٠٧ — ٢١٨ — ٢٣٧ — ٢٤٨ — ٢٥٦ — ٢٦٩ — ٢٨٠ — ٢٨١
- ٢٨٢ — ٢٩٠ — ٢٩٣ — ٢٩٥

بيت المقدس : ٢٧

( ت )

- تهامة : ١٢٥
- تونس : ٢٠٢

( ج )

- جابلص : ٢٢٢
- جابلق : ٢٢٢
- الجزيرة : ٧٦

( ح )

- الحبشة : ٢٥٧ •
- حلبين : ١٥٧ — ٢٢٢ •
- حضر موت : ١٢٥ — ١٨٠ •
- حلب : ٢٤ — ٣٥ — ٣٨ — ٩٢ — ١٠٢ — ١١٤ — ١١٥ — ١٢٠ — ١٢ — ١٧٥
- حسيندر آباد : ٢٢٨ •
- الحيرة : ١٠٤ — ١٠٧ •
- الحجاز : ١٢٥

( خ )

- خراسان : ٢٦٨ •
- خوارزم : ٢٦٧ •

( د )

- دبي : ١٢٥
- دجلة : ٢٢٧ •
- دمشق : ٥ — ١٤ — ١٩ — ٢٣ — ٣٢ — ٤٠ — ٥٠ — ٥١ — ٦١ — ٦٤
- ٦٦ — ٦٩ — ١٤٤ — ١٥٣ — ١٥٧ — ١٧٥ — ٢٣٩ — ٢٨٣ •
- دومة الجندل : ١٢٥ •

( ذ )

- ذى المجاز : ١٢٥ •

( س )

- سورية : ٨٠ — ٨١ — ١٩٢ — ٢٠٥ — ٢٥٧ •

( ش )

- الشام : ٥٨ — ١٠٧ — ١٢١ — ١٢٥ — ١٧١ — ١٨٦ — ٢٠٥ — ٢١٨
- ٢٢٢ — ٢٢٣ — ٢٥٧ •
- شبه الجزيرة العربية : ١٥٤ •

( ص )

- صفين : ١٧١ — ١٧٢ — ١٧٣ — ١٧٤ — ١٧٨ — ١٧٩ — ١٨٠ — ١٨١
- ٢٢١ — ٢٢٣ — ٢٢٣ •
- صليبا : ١٢٥ — ١٥٧ •
- الصين : ١٢٥ •

— ٣٣٣ —

( ط )

الطائف : ١٢١ — ٢٠٨ — ٢٤١ •

( ع )

العراق : ٥٨ — ١٠٣ — ١٠٥ — ١٠٧ — ١٧٠ — ١٧٣ — ١٧٤ — ١٧٨

• ١٨٦ — ١٩٠ — ٢٤٦ — ٢٦٩ — ٢٩٩ •

حكاظ : ١٠٥ — ١٢١ — ١٢٥ — ١٤٤ •

عمان : ٥

( غ )

غوطة دمشق : ١٠٧ •

( ف )

فارس : ١٥٨

الفرات : ٦٩ — ١٧٢ — ١٧٣ — ٢٢٧ •

فرنسا : ١١٣ •

( ق )

القاهرة : ٣ — ٥ — ٦ — ٨ — ٢٤ — ٣٢ — ٣٣ — ٣٤ — ٣٧ — ٣٩ — ٤٠ —

٤١ — ٤٢ — ٤٣ — ٥٠ — ٥٣ — ٦٥ — ٦٧ — ٧٨ — ٨٠ — ٨١ —

٨٣ — ٨٦ — ٩٣ — ٩٩ — ١٠٤ — ١١٦ — ١١٩ — ١٢٧ — ١٢٨ —

١٣٠ — ١٣٢ — ١٣٣ — ١٣٧ — ١٤٤ — ١٥٤ — ١٥٥ — ١٥٧ —

١٥٨ — ١٥٩ — ١٦٦ — ١٧١ — ١٧٢ — ١٧٦ — ١٧٧ — ١٧٨ —

١٧٩ — ١٨٦ — ١٨٧ — ١٨٨ — ١٨٩ — ١٩١ — ١٩٢ — ١٩٣ —

١٩٧ — ١٩٨ — ١٩٩ — ٢٠٨ — ٢١٤ — ٢١٦ — ٢١٧ — ٢٢٠ —

٢٢٦ — ٢٢٩ — ٢٣١ — ٢٣٢ — ٢٣٣ — ٢٣٤ — ٢٣٧ — ٢٤١ —

٢٤٢ — ٢٤٩ — ٢٥٤ — ٢٥٦ — ٢٥٧ — ٢٦١ — ٢٦٤ — ٢٧٥ —

• ٢٨٤ — ٢٨٨ — ٢٩٦ — ٢٩٨ •

القادسية : ١٩٠ — ١٩٢ •

القدس : ٢٦٢ •

( ك )

الكوفة : ١٩٩ — ٢٢٩ — ٢٣٠ — ٢٤٨ — ٢٦٠ — ٢٦٣ — ٢٧١ —

— ٣٣٤ —

( ل )

لـجـبـان : ١٧ — ٨٠ •

لـسـدن : ٢٢ — ٨٦ — ٩٨ •

لـيـدن : ١٨٢ — ٢٢٦ — ٢٤٢ — ٢٥٨ •

( م )

مـصـر : ٣ — ٣٥ — ٥٩ — ٦٨ — ٧٤ — ٧٨ — ٩٣ — ٩٧ — ١٠٤ — ١٠٥ •

١٠٦ — ١١٣ — ١٢٥ — ١٢٩ — ١٣٠ — ١٣٣ — ١٣٥ — ١٣٧ —

١٤٣ — ١٥٧ — ١٥٨ — ٢٢٣ — ٢٢٦ — ٢٢٨ — ٢٣٠ — ٢٣٧ •

٢٥٧ — ٢٦٠ — ٢٧٥ — ٢٨٠ — ٢٨٢ — ٢٨٤ — ٢٩٦ •

المـدائن : ٢٧١ •

المـديـنة : ١٦٠ •

مـكـة : ١٠٨ — ١٢١ — ٢٧٨ •

مـيـسان : ١٩١ — ١٩٢ •

( ن )

نـجـد : ١١٢ — نـجـران ١٢١ •

نـجـران : ١٢١ •

النـجـف : ١٨٦ •

نـهـولـد : ٢٧٢ •

( هـ )

الـهـند : ١٠٠ — ١٢٥ — ٢١٨ •

( و )

وـاسـط : ١٩١ •

( ي )

الـيـمن : ٨٤ — ٨٥ — ١٢٥ — ١٧٤ — ١٨٠ — ١٩٣ — ٢٢١ — ٢٥٧ •

الـيـونـان : ١١٣ •

=====

فهرس الفهارس

آ - د	فهرس الموضوعات : .....
٣٣٦ - ٣٠٤	الفهارس الفنية : .....
٣١١ - ٣٠٥	فهرس المصادر والمراجع : .....
٣٢٩ - ٣١٢	فهرس الاعلام والمواضيع : .....
٣٣٤ - ٣٣٠	فهرس الاماكن : .....
٣٣٦ - ٣٣٥	فهرس الفهارس : .....